الوعي

جامعية – فكرية – ثقافية

السنة الثالثة والثلاثون

رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٠ هـ - آذار-نيسان - أيار ٢٠١٩م

٣٩٠
٣٩١
٣٩٢

ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً... ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّة: التغيير الكوني القادم ص ٧ (كلمة العدد)

العلماء هم بيضة القبان في التغيير وإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة ص ٣١

نداء من ثورة الشام إلى أخواتها من الثورات المتجددة: (ثورة الشام... مسيرة وعبر) ص ١٢٨

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- بين يدي العدد ٤
- كلمة الوعي: التغيير الكوني القادم ٧
- نشاطات حزب التحرير في مناسبة هدم الخلافة ١٣
- المميزات التي تفرد بها حزب التحرير عن سائر الأحزاب الأخرى ١٥
- النصرة فرض كفاية ولا يسقط الإثم عن أهل القوة حتى يقوم هذا الفرض ٢٤
- العلماء هم بيضة القبان في التغيير وإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة ٣١
- السلطان عبد الحميد الثاني تاريخ مشرف ورجل زمانه ٣٧
- في ذكرى هدم الخلافة (قصيدة) ٤٦
- صلاحية نظام الحكم في الإسلام لكل العصور ٤٨
- الخلافة الحقيقية على منهاج النبوة... قاب قوسين أو أدنى ٥٧
- بشر هذه الأمة بالرفعة، والسنا، والتمكين في الأرض ٦٨
- أسدُ العرين (قصيدة) ٧٩
- الأمة تشهد لحظة موت الحضارة الرأسمالية ٨٠
- تعامل الآباء المؤسسين لأميركا مع الهنود الحمر... صور من البشاعة المغيبة عن الأنظار ٨٧

٣٩٠
٣٩١
٣٩٢

السنة الثالثة والثلاثون
رجب شعبان رمضان ١٤٤٠ هـ
آذار نيسان أيار ٢٠١٩م

ثمن النسخة

لبنان	٣٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٩٠ ريال
تركيا	٣ $ أميركي
باكستان	٣ $ أميركي
أستراليا	$٧,٥
أميركا	$٧,٥
كندا	$٧,٥
ألمانيا	٧,٥ يورو
السويد	٤٥ كرون
بلجيكا	٣ يورو
بريطانيا	٣ يورو
سويسرا	٦ فرنك
النمسا	٣ يورو
الدانمرك	٤٥ كرون

المحتويات

- استعصاء المنطقة الإسلامية على الغرب ٩٣
- الثورة في سوريا مستمرة، والإسلام هو الحل، والطريق هو طريق الرسول ﷺ ١٠٣
- تغيير نظام الإنقاذ وإقامة نظام الإسلام واجب تمليه عقيدتنا الإسلامية ١١٠
- رغم الكيد العالمي عليها... ثورات الربيع العربي تتجدد... لكنها تحتاج إلى ترشيد على أساس الشرع ١١٤
- نداء من ثورة الشام إلى أخواتها من الثورات المتجددة: (ثورة الشام... مسيرة وعبر) ١٢٨
- الغرباء (قصيدة) ١٣٣

- مخطّطات الغرب لتحريف الإسلام: «الإسلام الأميركي» و«الإسلام الفرنسي» نموذجاً (١) ١٣٥
- أردوغان والإسلامية: هل يمكن لأردوغان أن يشكل قيادة للأمة الإسلامية؟ ١٤٣
- دور الإعلام في فرقة الأمة ومحاربة مشروعها التوحيدي ١٥٦
- صناعة الإحباط السياسي... أبعاده، وطرق مواجهته ١٦١

- أخبار المسلمين في العالم ١٦٦
- مع القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ ١٧٠
- رياض الجنة: رمضان شهر الله... وشهر القرآن... فأكرموا أنفسكم فيه ١٧٣
- حدائق ذات بهجة: موقف السلف الصالح من العلاقة بين العلماء والحكام ١٧٦
- كلمة أخيرة:
  فريدمان: الشرق الأوسط القديم ينهار.. فما بديله؟ ١٧٩

يصدر هذا العدد الخاص من الوعي لهذه السنة، والهجمة الدولية على الإسلام وصلت باستشراسها ووحشيتها إلى مستوى غير مسبوق؛ وهذه الوحشية تظهر مدى عداوة الغرب للإسلام والمسلمين، وتظهر حقيقته المتوحشة البشعة جدًا، والتي لا تختلف في الحاضر عنها في الماضي، لقد أثبت شيطان الحضارة الغربية الرأسمالية أنه عدوٌّ مضلٌّ مبينٌ للإنسانية عامة وللمسلمين على الأخص، هدفه إضلال الناس، وإفقارهم، وفرض سيطرته على الغير في لعبة صراع المصالح التي لا تنتهي، ومن الدماء لا ترتوي، وهو لم يجرَّ على الإنسانية سوى الحروب والتقتيل والدمار... وحتى تقدمه العلمي والتكنولوجي استعمله ويستعمله من أجل أهدافه القذرة ... هذه العقلية الغربية الشيطانية الماكرة تشنُّ الآن حربها على الإسلام بهدف منع مارد الخلافة من العودة إلى مسرح الحياة من جديد لتصويب بوصلة البشرية بالاتجاه الصحيح؛ ولكن الغرب الكافر هذا لن يستطيع أن يحقق هدفه هذا لسببين: **أولهما** أن المبدأ الرأسمالي قد أثبت فشله على صعيد البشرية جمعاء، والبشرية تفتش عن بديل صالح لقيادتها. **وثانيهما** أن الإسلام المجرَّب سابقًا هو هذا البديل الصالح، وعودته إلى مسرح الحياة هي عودة الأصيل.

تبين كلمة هذا العدد الخاص: («**ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً... ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»: التغيير الكوني القادم)** أن بوصلة البشرية عامة، مسلمهم وكافرهم، تتجه باتجاه تغيير كوني، يعمد فيه أصحاب الحضارة الغربية على صدِّه ومنعه، وتتركز جرائمهم على بلاد المسلمين، كونها محط آمال التغيير الكوني المنتظر، في محاولة لقتل الوليد قبل أن يولد. ولتأكيد صدق هذه النظرة، فقد تم الاستشهاد بأقوال مفكرين وباحثين غربيين يصرحون فيها عن حاجة البشرية الماسة للتغيير، ومن هؤلاء من يعين أن الحل في الإسلام، وفي الخلافة تحديدًا...

ثم تناولت مقالات هذا العدد الخاص بشكل عملي أن هذا المشروع العظيم هو مشروع جاهز، وله أهله الذين يصلون ليلهم بنهارهم من أجل إيصاله إلى واقع الحياة، وهو **حزب التحرير**؛ **فيذكر نبذة مختصرة جدًا عن فعاليات ونشاطات شبابه في مختلف أصقاع العالم**، بشكل يبرز فيه عالميته واقعًا وفكرًا، وطالبًا منهم الرجوع إلى صفحات مكاتبه الإعلامية، وخاصة المكتب الإعلامي المركزي منها للاطلاع عليها. ومن ثم عرضت في مقال «**مميزات حزب التحرير**» نبذة عن سيرة الحزب العظيم، وتميزه في هذا المجال عن سائر الأحزاب الإسلامية، حتى والعالمية، ثم تناول في مقال دعوة أهل القوة ليكونوا أهل نصرة لهذا الحزب في مشروعه العظيم، وفيه يستحثهم ليقوموا بواجبهم الشرعي، والمقال بعنوان: (**النصرة فرض كفاية ولا يسقط الإثم عن أهل القوة حتى يقوم هذا الفرض)** كون هذا الموضوع بات يشكل الفريضة والضرورة اللازمة لإقامة الخلافة. ثم عرض مقالًا بعنوان: (**العلماء هم بيضة القبان في التغيير وإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة)** كون مشروع الخلافة هذا يحتاج إلى العاملين الجادين من العلماء.

ثم يتناول في مقالين (**صلاحية نظام الحكم في الإسلام لكل العصور**) و (**الخلافة الحقيقية على منهاج النبوة... قاب قوسين أو أدنى**) لتأكيد صلاحية الإسلام للحكم في كل زمان وفي كل كان. وأن مشروع الخلافة الحقيقية هو الخلاص، وأنه صار قاب قوسين أو أدنى في مسيرة التغيير الكوني. ثم يعرض مقالًا بعنوان: (**بشر هذه الأمة بالرفعة، والسنا، والتمكين في الأرض**) وفيه مبشرات من الكتاب والسنة والواقع أن المستقبل لهذا الدين، وأنه كما آن أوان الحضارة الغربية أن تزول، ففي المقابل فإن شمس الحضارة الإسلامية قد آن أوانها للبزوغ من جديد. ثم في مقال (**السلطان عبد الحميد الثاني تاريخ مشرف ورجل زمانه**) أرادت الوعي أن تعطي نموذجًا فريدًا من القادة العظام في العصر الحديث، وهو الذي واجه كل الضغوط الغربية عليه بقوة، ولكنه لم يستطع أن يوقف كل المؤامرة على المسلمين، وعلى دينهم، وعلى دولتهم؛ لأنه كان وحيدًا محاطًا بالعملاء وباليهود شر الخلق، وبالماسونية الهدَّامة...

ثم ينتقل إلى ما يعزز موضوع التغيير على هذا المستوى، فيعرض في مقال بعنوان: (**الأمة تشهد لحظة موت الحضارة الرأسمالية وإحياء الحضارة الإسلامية، في ظل دولة الخلافة المرتقبة**) أقوالًا لمفكرين غربيين يعلنون فيها أن الرأسمالية قد شاخت وأصبحت عند أهلها غير قابلة للحياة، وأنها تنتظر إعلان موتها غير المأسوف عليه، ومنهم من يقرر أن الحضارة الإسلامية هي الوريث الصالح. ثم يتناول في مقال آخر صورة من أبشع صور الرأسمالية ماضيًا بعنوان: (**صور من البشاعة المغيبة عن الأنظار: تعامل أميركا مع الهنود الحمر**) ليبين العقلية الإجرامية المختزنة في كينونة هذا المبدأ اللاإنساني منذ أوائل نشأته، وليفهم المسلمون إلى أي مدى يمكن أن يصل إجرام أهله معهم اليوم... وبهذا نكون قد جمعنا الماضي والحاضر ليعكسا رؤية واحدة لحضارة ما كان ينبغي لها أن تعيش، بل يجب أن تندثر.

ثم يتناول موضوع الثورات التي حدثت لدى المسلمين للتعبير عن رفضهم للمشروع الغربي وإقبالهم على مشروع الأمة في إقامة الخلافة، فيتناول في مقال منها نموذجًا وهي الثورة في سوريا؛ كونها كانت الأصدق والأوضح في التعبير عن توجه الأمة ككل نحو هذا المشروع، والتي قامت منذ أوائل سنة ٢٠١١م، والتي استعمل معها الغرب كل إمكاناته لوأدها وضربها بشكل يجعل المسلمين يندمون على حراكهم في التغيير حتى لا يقومون بمثله من جديد؛ ولكن الحراك بالرغم من ذلك تجدد في السودان وفي الجزائر وفيه قابلية التمدد في غيرهما... وحتى هناك خوف لدى الغرب من أن تعود من جديد إلى البلاد التي تم قمع ثوراتها من قبل، وهذا إن دل فإنما يدل على استعصاء الأمة على الغرب، وفشله في إنهاء هذه الحالة التي ستأتي على حضارته في النهاية. ثم يذكر مقالًا يتناول فيه عملية ترشيد هذه الثورات حتى تؤتي ثمرتها المرجوة خلافة راشدة على منهاج النبوة. وفي هذا المجال ذكر خمسة مقالات كان آخرها نداء موجهًا من ثورة الشام إلى أخواتها في السودان والجزائر حتى لا تقع في مطبات الغرب القاتلة وأدواته الداعمة

له من أنظمة الدول العربية العميلة له والتي كانت خنجرًا مسمومًا في يده لضرب هذه الثورات من مثل قطر وتركيا والسعودية... وهذه المقالات هي: **(الثورة في سوريا مستمرة، والإسلام هو الحل، والطريق هو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم)** **(تغيير نظام الإنقاذ وإقامة نظام الإسلام واجب تمليه عقيدتنا الإسلامية)** **(استعصاء المنطقة الإسلامية على الغرب)** **(ثورات الربيع العربي تتجدد وتحتاج إلى ترشيد...)** **(نداء من ثورة الشام إلى أخواتها من الثورات المتجددة: (ثورة الشام... مسيرة وعبر)** هذا وقد نالت مواضيع الثورات الحظ الأكبر في هذا العدد لأنها جرح نابض نازف، ولأنها ميدان صراع حضاري بين الإسلام والرأسمالية.

ثم يعرض في هذا العدد أربعة مقالات تبين كيف أن الغرب الكافر اللئيم يقوم بتشويه الحقائق لمنع الحق من أن يظهر، ولفرض باطله على المسلمين، وقد تناول فيها أردوغان كلاعب سياسي على الإسلام وذلك بإتيانه بمنهج محرف بعيد كل البعد عن منهج الإسلام الصحيح، والمقال بعنوان: (**هل يمكن لأردوغان أن يشكل قيادة للأمة الإسلامية؟)** ثم في مقال آخر يكشف كيف أن الغرب يلعب لعبة ضرب الإسلام السياسي عن طريق عرض الإسلام المهجن المعدل الذي ليس فيه من الإسلام شيء. والمقال بعنوان: **(مخطّطات الغرب لتحريف الإسلام: «الإسلام الأميركي» و«الإسلام الفرنسي» نموذجًا)** ثم يعرض في مقال كيف يستخدم وسائل الإعلام الفضائية المأجورة، وخاصة لدول الخليج سيئة الذكر، يبين فيه كيف أن الغرب عبرها يشوه الحقائق ويقلبها رأسًا على عقب، ويلبس الحق بالباطل، ليصبح الإسلام متهمًا في العالم وعند أهله فيصيبهم بالإحباط، والمقال بعنوان: (**دور الإعلام في فرقة الأمة ومحاربة مشروعها التوحيدي)** وبعده يذكر مقال **(صناعة الإحباط السياسي)** ويكشف فيه كيف أن الغرب يلعب لعبة غرس الإحباط في نفوس المسلمين لينصرفوا عن فكرة التغيير.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة في كل عدد: وهي أخبار المسلمين، ومع القرآن الكريم، ورياض الجنة، وحدائق ذات بهجة، وفبهداهم اقتده، ثم كلمة ثانية وغلاف ثانٍ، هذا وقد نثرت بعض القصائد خلال مواضيعه.

وختامًا يمكن القول إنه لا توجد مجلة في العالم تتناول مثل هذه المواضيع على مثل هذا المستوى من التفكير ومسؤولية التغيير، لا عند الغرب ولا عند المسلمين، ويمكن القول كذلك إن هناك حزبًا مجددًا، عظيمًا، ملتزمًا أصول الإسلام وطريقته في التفكير والتغيير، ويريد أن يبعثها خلافة راشدة على منهاج النبوة مصداقًا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»... ويمكن القول كذلك إن هناك جيشًا جرارًا، من الشباب هم اليوم كتاب وأهل دعوة، وغدًا سيكونون إن شاء الله قادة ورجال دولة...وإن غدًا لناظره قريب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.■

«ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً... ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّة»

التغيير الكوني القادم

عن حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكُمْ فِي النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ» ثُمَّ سَكَتَ**. [مسند أبي داود الطيالسي].

إن هذا الحديث الصحيح الجامع، يكشف مختلف المراحل التي سيمر فيها المسلمون على مر التاريخ، وهو من دلائل النبوة، وقد صدَّق عليه الواقع في كل مرحلة مر بها حتى الآن: من مرحلة النبوة، إلى مرحلة الخلافة الراشدة، إلى مرحلة الملك العاضّ، إلى مرحلة الملك الجبري التي نحن بصددها، إلى مرحلة الخلافة الراشدة التي نحن بانتظارها. وهو إن شكل نذيرًا للمسلمين بانتقاله من الخلافة الراشدة إلى الملك العاض الوراثي، فإنه يشكل لهم اليوم بشيرًا بالتنبؤ الصادق بانتقال الأمة من مرحلة الحكم الجبري الذي يكتوون فيه إلى مرحلة الخلافة الراشدة التي هي أزهى العهود بعد النبوة.

إن هذا الحديث يشير بوضوح إلى أن التغيير الذي ينتظره المسلمون اليوم، من الحكم الجبري الذي يتسلط على الحكم فيه، في بلاد ممزقة مقسمة، حكام عملاء للغرب الكافر، يحكمونهم بدساتير وضعية علمانية... إلى الحكم بالخلافة الراشدة التي تجمع المسلمين في دولة واحدة جامعة، تحكمهم بدستور واحد منبثقة أحكامه من العقيدة الإسلامية... هو تغيير كوني وليس مجرد تغيير نظام حكم في بلد من بلاد المسلمين مع المحافظة على التشرذم.

فدولة الخلافة هي، في بذرة إنشائها، دولة عالمية، ستنقل المسلمين منذ أول قيامها إلى أمة واحدة في الفكر والمشاعر والنظام، وفي الأرض الواحدة التي تضمهم بكل خيراتها؛ وذلك مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء] إنها دولة تجمع مليار و٨٠٠ مليون نسمة، لأمة ولود في نسلها، ولود في فتح القلوب عليها، أمة عقيدتها حية، ورجالها ليسوا كسائر الرجال. دولة موقعها يمسك بخواصر دول العالم، وغناها بالثروات الطبيعية يفوق التصور؛ ما يجعلها أغنى الدول وأقواها على الإطلاق، وليس لها من مكان تقتعد فيه سوى الذروة، والقوامة على العالم قوامة هداية ورعاية ونشر فضيلة الإسلام، وهذا هو المركز السامي الذي يتناسب مع الغاية التي وجدت من أجلها لتحسن القيام بوظيفتها ولتكون كلمة الله هي العليا... من هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يبشر المسلمين بهذه المرحلة فهو يبشرهم ببشارة حقيقية. وتأكيدًا منه صلى الله عليه وسلم على حصول هذه البشارة، وردت أحاديث أخرى تخبر عن حدوث بشارات تتلوها؛ فقد روى مسلم والحاكم وغيرهما عن ثوبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**». وروى ابن حبان في صحيحه عن المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر**». وروى البخاري عن أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**». رواه البخاري.

إن من يقارن بين ما جاء في هذا الحديث الشريف، والواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم من تكالب الكفار عليهم، ومن قيام ثورات تمت فيها المطالبة بالخلافة، ومن صدور تصريحات من زعماء الغرب ومفكريه، وكذلك صدور دراسات من مراكز الأبحاث الغربية، وخاصة الأميركية منها، تحذر من قيام الخلافة... ثم من ينظر كذلك إلى وجود **حزب التحرير** في الأمة، والذي يمثل فيها دعوة صادقة واعية جادة لإقامة الخلافة الراشدة، والذي أعدَّ فيها دستورًا إسلاميًا للحكم بما أنزل الله من خلاله، وأعدَّ لها رجال دعوة ورجال دولة على مستواها، وهو هيَّأ، ولا يزال، الأمة لاحتضان هذه الدعوة والدولة متى قامت، ولحمايتها ولقيامها معه متى جاء أمر الله، وينتظر هذا المشروع اكتماله بقيام ثلة من الأنصار من أهل القوة بنصرة هذه الدعوة على غرار الأنصار الذين نصروا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقاموا معه دولة الإسلام الأولى. وعلى هذا يمكن القول بكل اطمئنان إنه قد أظل زمن إقامة الخلافة التي بشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف المذكور؛ من

هنا فإن هذا الحديث يعتبر بشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم بكل معنى الكلمة.

هذه البشارة، ينبغي أن لا يستعظم حدوثها أحد من المسلمين، فكما شهدت نهاية القرن الماضي سقوط المبدأ الشيوعي ودولته الكبرى الممثلة بالاتحاد السوفياتي ومعها منظومته من الدول التابعة له؛ حيث لم يورث أهله إلا الشقاء والفقر والتضييق عليهم في الأمن والمعيشة ومناقضة الفطرة... فكذلك اليوم، جاء الدور على المبدأ الرأسمالي الذي يسود العالم، والذي بات سقوطه متوقعًا حتى عند مفكريه، فإن أهله يشهدون اليوم، ونتيجة تطبيقه عليهم، حالة من الإفلاس على كل صعيد: إفلاس في الفكر، وانعدام في القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية، وتفسخ في العلاقات الاجتماعية، وصاروا هم أنفسهم يبحثون عن بديل... هذا بالنسبة إلى أهله، أما بالنسبة إلى الآخرين فحدث ولا حرج، فقد بلغت الرأسمالية في تعاملها مع الشعوب والدول أبشع صور الظلم، بالعولمة ونهب مقدرات دول العالم، وتوليد الأزمات، وخرق القوانين الدولية التي تدعي الإيمان بها، وغرس الشقاقات العنصرية بين الشعوب، وزرع الحروب ونشر الفقر والرذيلة...

وعليه، يمكن القول إن الرأسمالية على شفا جرف هار، وتنتظر انهيارها، وهي تصارع من أجل بقائها، ويمكن القول إن العالم يعيش اليوم حالة من الفراغ الحضاري، ويحتاج لمن يملؤه، ولعل ما ينقل عن دخول أعداد كبيرة من الغربيين في الإسلام هو من هذا القبيل، ويمكن القول إن المرحلة التي نعيشها ويعيشها العالم اليوم، هي مرحلة سقوط المبدأ الرأسمالي، وسقوط منظومة دوله المتكبرة المتجبرة المتوحشة اللاإنسانية، وهي في الوقت نفسه مرحلة عودة مبدأ الإسلام إلى مسرح الحياة، وقيام دولته.

نعم، إن الحضارة الغربية تعيش أيامها الأخيرة وذلك بشهادات مفكرين منهم، والفضل ما شهد به الأعداء، وسننقل من أقوال بعضهم ما يشهد بهذه الحقيقة:

- لقد وصف (جان زيغلر)، وهو عالم اجتماع وسياسي أوروبي الرأسمالية المالية المعولمة بـ «**المجتمع القاتل**».

- وفي نهاية منتدى دافوس، فاجأ (كارل شواب) الحضور، بإعلانه المفاجئ أن «**النظام الرأسمالي انتهى**».

- وتنبَّأ الفيلسوف الدنماركي (سورن كيركغارد): أن «**الجانب المادّي والنّفعي تغلّب على الجانب الروحاني في الحضارة الغربية؛ لذا سيكون السقوط مآل هذه الحضارة**».

- هذا وأصدر الألماني (أوزوالد شبينغلر) كتابًا بعنوان «**تدهور الحضارة الغربية**» بشر فيه باقتراب موت الحضارة الغربية بعد خوضها للحروب الكونية، ولاقى كتابه شهرة واسعة...

- وفي مطلع العام الحالي، أصدر الفيلسوف الفرنسي (ميشال أونفري) كتابًا حمل عنوان «**تدهور**» أعلن فيه عن اقتراب انقراض الحضارة الغربيّة. ويذكر فيه أن«**الحضارة الغربية تترنح، وهي بانتظار سقوطها المدوي**». ويرى أنه «**ليس بالإمكان فعل أيّ شي لهذه الحضارة التي تموت**». ويقول أيضًا: «**لقد هيمنت الحضارة الغربية على الشعوب، والحضارة التي ستقوم مقامها ستعوضها. إنها مسألة وقت فقط. الباخرة تغرق. ولم يتبقَّ لنا سوى أن نغرق بأناقة ورشاقة**». ويخلص المؤلف إلى قوله: «**بأن موت الغرب ليس تنبؤًا بما سيحدث، إنه تصوير لما يحدث الآن، إن أمم العالم تموت، وهي تواجه أزمة مميتة، لا بسبب شيءٍ ما يحدث في العالم الثالث، بل بسبب ما لا يحدث في الوطن وفي بيوت العالم الأول**».

- أما كتاب «**انتحار الغرب**» لكاتبيه (ريتشارد كوك) و(كريس سميث) فقد جاء فيه: "**فإذا كانت هناك أزمة للغرب، فهي أزمة تولدت تولدًا داخليًا، إنها تكمن في انهيار الغرب في الثقة في النفس، إنها تكمن في الرؤوس الغربية، إنها تكمن في الأفكار**".

وهناك الكثير الكثير من المفكرين والشعراء والكتاب الذين ينذرون الرأسمالية لقاء يوم سقوطها الوشيك، ولكن لا يسع المقام لذكرهم؛ ولكن ما يلفت النظر أكثر هو أن بعض هؤلاء رشحوا الإسلام ليكون هو البديل المنقذ والمخلص الوحيد للبشرية، وعلى سبيل المثال:

- يقول المفكر الفرنسي ديباسكييه: «**إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدًا، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفًا عدائيًا منه، ولم يكفّ عن الافتراء والتنديد به لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان**».

- ويقول الأديب العالمي (**ليف تولستوي**): «**يكفي محمد فخرًا أنه خلّص أمةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة**».

- أما المفكر الأميركي (**باتريك جيه بوكانن**)، وكان مستشارًا كبيرًا لثلاثة رؤساء أميركيين، فيؤكد في كتابه «**موت الغرب**»: «**انهيار أوروبا وأميركا و(إسرائيل) وصعود الإسلام**»

وفي المقابل من هؤلاء، فقد عبر الكثير من أصحاب الرأي عن رعبهم وهلعهم من استلام الحضارة الإسلامية لقيادة العالم. فالباحث

الألماني (**باول شمتز**): يقول: «**إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الإسلامي الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه، هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب**».

هذا وتتعدد الدراسات حول الإسلام وأخطاره على الغرب، فتقرير معهد «**بيو**» الأميركي، **حول انتشار الإسلام، وجد اهتمامًا كبيرًا من وسائل الإعلام الغربية، ويذكر فيه أن الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا في العالم، بحسب الأرقام التي تم إعدادها والبيانات الإحصائية في الغرب خاصة.**

إن ما تقدم من كلام عن التغيير ينتظره المسلمون وغير المسلمين، فالعامة من المسلمين ينتظرون أن تتغير الأوضاع بتدخل رباني من غير أن يحددوا شكله، أما العامة من غير المسلمين فإنهم يريدون أن يتخلصوا من الأزمات التي أوقعتهم الرأسمالية فيها، ومن الخواء الروحي، والتفكك الأسري، وطغيان الأنانية على كل مظاهر الحياة عندهم... ولكنهم لا يعرفون عن ماهية هذا التغيير شيئًا، إنهم يدركون أنهم يعيشون في واقع سيئ يجب أن يتغير. أما المسلمون العاملون الواعون المخلصون فإنهم لا ينتظرون بل يعملون من أجل تغيير واضح المعالم محدد الطريق، وهو «خلافة راشدة على منهاج النبوة». أما المفكرون والباحثون والاستراتيجيون من غير المسلمين فمنهم من يتوقع سقوط الرأسمالية فحسب، ومنهم من يتوقع سقوطها ويتوقع اعتلاء الإسلام مقعد قيادة البشرية، من الناحية الفكرية الحضارية المبدئية كما رأينا. من هنا يظهر الإسلام والخلافة تحديدًا منقذًا للبشرية ويظهر أنه أكثر المواضيع إثارة للنقاش على المسرح الدولي كبديل حضاري صالح، ومن هنا نفهم أن الهجمة الشرسة على الإسلام ليست عشوائية، ولا ظرفية، ولكنها هجمة منهجية يريد أهل الشر والمكر والإجرام من سياسيي الغرب أن يمنع المسلمين من إقامة دولتهم التي أمرهم الله بها، والتي هي المنقذة لهم وللبشرية من الرأسمالية الضالَّة المضِلَّة.

وعندما نقول إن الله قد أمر بها فمعناه أن الصراع يجب أن يكون صراع إيمان وكفر، حق وباطل، وهذه هي حقيقته، فالصراع هو بين عقيدتين متناقضتين لا تلتقيان، عقيدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) التي تقوم على عبادة الله وحده، وعلى أن المسير للحياة، الخاصة الفردية والعامة الجماعية، هو أوامر الله ونواهيه، وأن الخلق والأمر لله وحده... وبين الرأسمالية التي ترفض رفضًا مطلقًا أن يكون الدين هو المسير للحياة، بل هي تصر على منع تدخل الدين في الحياة العامة، وليس بينهما أي نقاط مشتركة من حيث الأساس، بل هي تقوم على أن الشعب هو المشرع، وهو

الذي يختار الحاكم الذي يحكمه بما شرعه.

فهذان خطان لا يلتقيان وليس ما يجمع بينهما، ومن قال بالجمع، فإنما يريد أن يجمع بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

أما ما يطرح من إسلام معتدل أو معدَّل يأخذ من جينات الرأسمالية، فإنما هذا لعب مكشوف ومفضوح في الدين، ومحاولة يائسة للتلبيس على المسلمين، وتمديد لبؤس الرأسمالية التي أصبح أهلها يقرون بفشلها وبقرب يوم إعلان موتها ودفنها إلى غير رجعة. وهنا لا بد من كلمة أن مشروع الخلافة يلقى تشويهًا متعمدًا له في الساحة الإسلامية قام الغرب به عن طريق اختلاق خلافة مزعومة، ووقف إلى جانبه أعداء الأمة من عملائه من الحكام عن طريق المشاركة معهم بالحرب على الإسلام، وتحديدًا الخلافة، تحت شعار «الحرب على الإرهاب» وعبر عملائهم من الفضائيات التي تعمل على تصوير الخلافة أنها حلم، وعبر من يسمون بعلماء السلاطين، أو العلماء الرسميين الذين يزينون للحكام باطلهم ويكتمون الحق، ويهاجمون المسلمين العاملين للتغيير الجذري الذي بشر به الرسول ﷺ.

وفي الختام نقول: إن الحل والخلاص ليس للمسلمين فحسب، بل وللعالم أجمعه، وإن طريقه لمعروف موصوف، وهو سلوك الطريق نفسه الذي سلكه الرسول ﷺ من قبل... هذا أمر من ربنا لا خيار لنا فيه، وبهذا يعود الصراع إلى حقيقته، إلى ما يرضي الله، صراع بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، ونعود إلى أسوتنا سيدنا محمد ص لقيادتنا من جديد، هكذا يفهم الدين على حقيقته فهمًا صحيحًا، لا فهمًا مريضًا سقيمًا متأثرًا بالفكر الرأسمالي المفلس، فإن من يتمسك بالساقط سيسقط معه. نعم إن البشرية تحتاج إلى هذا الدين تمامًا على الذي أنزل فيه، وهذا ما يريده الله منا ورسوله أن نفهمه، قال رسول الله ص: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي.■

نشاطات حزب التحرير في مناسبة هدم الخلافة

لقد اعتاد حزب التحرير أن يتخذ من ذكرى هدم الخلافة الأليمة مناسبة نشاط غامر لشحذ همة المسلمين وتنبيههم على فرض إقامتها وتذكيرهم بالإثم العظيم الذي يطال كل من لا يعمل لذلك، ولتخليصهم من هذه الأوضاع المأساوية التي لم تكن لتحدث لولا غياب هذا الفرض العظيم الذي أناط الله به إقامة الدين والمحافظة عليه ونشره.

لذلك نرى شباب الحزب المنتشرين في العالم يقومون بعقد مؤتمرات وندوات ومحاضرات ومسيرات يذكِّرون فيها المسلمين بهذا الفرض العظيم. وفي هذه المؤتمرات والندوات والمسيرات التي تلقى فيها الكلمات، يظهر جيش جرَّار من الشباب المفكرين والسياسيين والإعلاميين والعلماء والخطباء الذين يتناولون مختلف مشاكل الأمة، ويبصِّرونها بواقعها، ويذكِّرونها بفرض الله عليها، ويكشفون مؤامرات الغرب ضدها، ويتبنَّون مصالحها... حتى يظهر للمتابع فعلًا أن هذا الحزب يملك الفكر التغييري الصحيح القائم على الشرع، ويملك له أدواته، ويظهر كم هو جادٌّ في عمله، ويطال شعوره بالمسؤولية تغيير أوضاع المسلمين كافة، ولسنا نبالغ إذا قلنا تغيير أوضاع العالم أجمع. وليس أدل على هذا من أن كل ما يصدر للحزب من نشاطات ينقل إلى مختلف لغات المسلمين وغير المسلمين، ومن أراد أن يطلع عليها فليراجع مكاتب الحزب الإعلامية المنتشرة في البلاد التي يتواجد وينشط فيها الشباب، وليراجع بالأخص ما ينشره المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير.

ونحن في مجلة الوعي، أحد أذرع الخير الإعلامية لحزب التحرير، سنكتفي في هذه المناسبة لهذا العام بإحالة القراء إلى صفحات الحزب لمتابعة نشاطات المناسبة، خاصة وأن الرجوع إليه لا يحتاج إلا إلى كبسة زر. ولكن يمكن لفت النظر إلى أن من يقرأ عناوين النشرات والبيانات والمقالات، وعناوين الكلمات، يجد أنها غنية تفتح آفاق التفكير لدى القارئ، ويعرف أن وراء كل عنوان تفاصيل تشكل بمجموعها مكونات مشروع الخلافة العظيم، وهذا بحد ذاته يدفع القارئ لكي ينتقي منها ما يشعر أنه بحاجة إلى الاطلاع عليه أكثر من غيره؛ ليشعر بعدها أن نفسه قد امتلأت رضى بما قرأ، وليشعر معها أن الأمة حية بهذا الفكر، وأن الذي يحمله ويدعو إليه هو المثال الحي، وليشعر أن الحزب هو الرائد الذي لا يكذب أهله، وأنه هو المجدِد الحقيقي لهذه الأمة أمر دينها، وأن أميره هو القائد لهذا التجديد. ولعل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**يبعث الله على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**» ينطبق عليه أحسن انطباق.

والجدير ذكره أن من يقرأ هذه العناوين يجد أن مضامينها تعالج مشاكل حقيقية

تعيشها الأمة وتحتاج إلى معرفة الرأي في معالجتها، وبالتالي تدفع القارئ ليطلع على التفاصيل التي يختزنها موضوع هذا المقال، أو البيان أو النشرة، أو المحاضرة... وكل هذا يعطي صورة حية عن حيوية الإسلام، وقدرته على قيادة البشرية، وقدرة من يستطيع إيصال الإسلام إلى الحكم، وبمعنى آخر فإن معالجة هذه المواضيع بأحكام الإسلام يكرس قيادة الإسلام الفكرية عالميًا، وقدرة الحزب عمليًا على قيادة الأمة سياسيًا.

وكذلك يجدر القول إن الأمة مع هذا المشروع، مشروع إقامة الخلافة، والذي يعني فيما يعنيه أن يأخذ الإسلام دوره من جديد، فيعود كما كان زمن الخلفاء الراشدين الأوَل الذين كان قرنهم خير القرون، وبهذا تتحقق بشرى الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه حُذَيْفَةُ فقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكُمْ فِي النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ** » **ثُمَّ سَكَتَ**». [مسند أبي داود الطيالسي].

إن نشاطات حزب التحرير في هذه المناسبة تدل على جديته، وعلى توفر إمكانات إقامة مشروع الخلافة العظيم، وكل هذا لم يكن ليتوفر لولا توفيق الله لهذه الدعوة الخالصة لوجهه الكريم... والحزب لا يريد أكثر من أن يكون عند الله أهلاً للتقوى وأهلاً للمغفرة؛ ليكون أهلاً للاستخلاف والتمكين ونشر هذا الدين...

كذلك كان لشابات الحزب، كعادتهم في كل عام، حظهنَّ من نشاط المناسبة غطى مساحة لا بأس بها من العمل، وجاءت نشاطاتهن لا تقل فاعلية عن نشاطات الشباب.

– ولو عدنا إلى مؤتمرات الشباب في هذه المناسبة التي غطت مساحة واسعة من دول العالم لوجدنا الشباب والشابات كخليات النحل حركةً وإنتاجاً، وأعطت رحيقاً مختوماً وعسلاً مصفًى. فعلى سبيل المثال نجد أن كلمة رئيس المكتب الإعلامي المركزي والتي كان عنوانها هو العنوان العام لنشاط الشباب كله ،وهو: «**في الذكرى الثامنة والتسعين لهدم الخلافة «الخلافة فيها رضوانُ ربِّكم وهي عزُّكم وفلاحُكم»**. كانت كلماتها منتقاة ومعبرة جداً ومثله كلمة مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير الدكتورة نسرين نواز بمناسبة ذكرى هدم الخلافة القسم النسائي: «**حملة «الخلافة: رعاية وحماية»**.

والله نسأل أن يجعل ما نقوم به متقبلاً عنده، راضياً به عنا، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، وأن يفتح قلوب المؤمنين من العلماء والوجهاء وأهل القوة والمسلمين عامة على هذه الدعوة التي تعيد الحكم بما أنزل الله تماماً على ما كان عليه زمن الخلافة الراشدة الأولى، ويكون خلفاؤها كالخلفاء الراشدين الأوائل أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. اللهم آمين.

المميزات التي تفرد بها حزب التحرير عن سائر الأحزاب الأخرى

شايف الشرادي - اليمن

حزب التحرير هو حزب سياسي عالميّ، الإسلام مبدؤه والسياسة عمله، وهو يعمل بين الأمة ومعها لتتخذ الإسلام قضية لها، وليقودها لإعادة الخلافة والحكم بما أنزل الله في الأرض، وهو تكتل سياسي وليس تكتلًا روحيًا ولا تكتلًا علميًا ولا تعليميًا ولا تكتلًا خيريًا... والفكرة هي الروح لجسمه، وهي نواته وسر حياته وبقائه واستمراره. لم يكن قيام حزب التحرير بسبب ظروف عصفت بالأمة، ولم يخرج من عباءة نظام أو ينشق عن تكتل. بل كان قيامه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. بغية إنهاض الأمة الإسلامية من الانحدار الشديد الذي وصلت إليه، وتحريرها من أفكار الكفر وأنظمته وأحكامه وقوانينه، ومن سيطرة الدول الكافرة ونفوذها، وبغية العمل لإعادة الخلافة الإسلامية إلى الوجود حتى يعود الحكم بما أنزل الله.

لقد حددت الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ عمل الجماعة المتكتلة بأمرين اثنين هما: الأول: الدعوة إلى الخير، أي الدعوة إلى الإسلام. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وطلب إقامة جماعة متكتلة هو طلب جازم لاقتران الطلب في الآية بالقرينة الدالة على الوجوب. فالدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلمين أن يقوموا به كما دل الحديث الشريف على أن الأمر للوجوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعُنَّه فلا يستجاب لكم» فيكون ذلك قرينة على أن الطلب هو طلب جازم، أي إن الأمر للوجوب. أما كون هذه الجماعة المتكتلة هي حزب سياسي، فقد جاء من ناحية أن الآية طلبت من المسلمين أن يقيموا منهم جماعة، كما حددت عمل هذه الجماعة بأنه الدعوة إلى الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل الحكام، بل إن محاسبتهم وتقديم النصح لهم هو من أهم الأعمال السياسية التي يقوم بها الحزب السياسي وأبرزها.

وحزب التحرير حزب إسلامي يقوم على أساس العقيدة الإسلامية، ويتبنى الأفكار

والأحكام والمعالجات الإسلامية. وطريقة سيره هي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو يعمل بجديه لإقامة الخلافة حتى أصبح يعرف بها وتعرف به، فإذا ذكر ذكرت، وإذا ذكرت ذكر. وقد تميَّز حزب التحرير عن سائر التكتلات والجماعات والأحزاب الأخرى بمميزات تفرد بها عنها، ولم يشاركه فيها أحد منها، ومن هذه المميزات التي تفرد بها:

١- حزب التحرير يعمل لإقامة الخلافة ولا يعمل لتشويهها.

منذ انطلاقة حزب التحرير في عام ١٩٥٢م، على يد مؤسسه العالم الجليل تقي الدين النبهاني رحمه الله، وهو يعمل لإقامة الخلافة بجد وإخلاص وتفان مواصلًا الليل بالنهار، لا يكل ولا يمل، متحملًا في سبيل دعوته كل أصناف الأذى من قبل الحكام المجرمين وأنظمتهم القمعية، وهو يعمل لذلك بالطريقة الشرعية التي رسمها الإسلام، ولم يحِد عنها قيد أنملة. أما الحركات والأحزاب الأخرى، فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف حسب موقفها من الخلافة.

أ- أحزاب تحارب العمل لإقامة الخلافة حربًا لا هوادة فيها، كالأحزاب الرأسمالية العلمانية والوطنية والقومية والاشتراكية، وهي أحزاب تابعة للأنظمة القمعية، أو أحزاب صنعها الحكام في المعارضة الوهمية، فهي أحزاب مرتبطة بالكافر المستعمر عن طريق عملائه الحكام، ويتم تغذيتها بالثقافة العلمانية المسمومة حتى أصبحت مرتبطة مع الحكام العملاء في قرن، وقد سقطت هذه الأحزاب في نظر الأمة وإن كانت القوة التي تتكئ عليها من أسيادها قد يعطيها الاستمرار بضع سنين قبل أن تسقط نهائيًا.

ب- أحزاب الإسلام المعدل (الإسلام المعتدل). وهي الأحزاب التي تعرض الإسلام على أنه لا يتعارض مطلقًا مع الثقافة الغربية. فهي تُلبس العلمانية ثوب الإسلام لتُخفي وجهها القبيح وعداوتها البغيضة للإسلام والمسلمين، وهي تطلق شعارات إسلامية رنانة؛ ولكنها في حقيقتها علمانية مغلَّفة، تحارب الإسلام بتشويه أحكامه أو إدخال المفاهيم الغربية فيه على أنها من الإسلام، كالديمقراطية التي يطلقون عليها الشورى. فعمل هذه الأحزاب هو تمييع مفاهيم الإسلام، وإضفاء الشرعية على مفاهيم الكفر بإلباسها ثوب الإسلام، والترويج لها في أوساط المسلمين لتصبح جزءًا من ثقافتهم. وهذه الأحزاب خطرها عظيم؛ لأنها تساهم في تضليل المسلمين وإبعادهم عن أحكام دينهم بدهاء وخبث ومكر تزول منه الجبال، فهي تروج لفكرة التدرج التي مضمونها أن الحكم بالإسلام يبدأ بتطبيق الديمقراطية، أي إن الحكم بالكفر هو السلَّم الذي يتم من خلاله الحكم بالشرع، وهي تقنع أتباعها أن الخلافة لازال عصرها بعيدًا ووقتها لم يحن بعد، وكأنهم يعلمون الغيب.

ج- أحزاب عملها تشويه الخلافة بإبرازها

على أنها خلافة القتل والبطش بالناس حتى يفروا منها بدلًا من أن يفروا إليها. وهذه الأحزاب تُظهر أن أحكام الإسلام أحكام قاسية؛ لتملأ قلوب الناس بالرعب والذعر منها، وحتى تكون رأيًا عامًا مضادًا لها؛ ليرفضها الناس ويطالبوا بالعلمانية أو غيرها من القوانين الوضعية التي تروِّج لها وسائل الإعلام بأنها أهون من خلافة السكاكين.

أما حزب التحرير فهو يبرز عظمة أحكام الإسلام للناس، وأنها هي وحدها الصالحة لحكم البشرية كلها، ويعرضها بشكل جذَّاب يجذب الناس إليها، فيؤيدونها رغم تشويه وسائل الإعلام لها، مستغلة للأعمال السيئة التي تلصقها الأحزاب المشوهة للخلافة بالإسلام والخلافة وحملة دعوته الصادقين. كما يبرز حزب التحرير القوانين الوضعية، وفي مقدمتها الرأسمالية على أنها فاسدة، وأنها أوجدت المشاكل والأزمات، وعجزت عن حلِّها، وأن مبدأ الرأسمالية مبدأ متوحش ظالم اكتوت البشرية كلها بجحيمه.

٢- دعوة حزب التحرير لإقامة الخلافة دعوة لإقامة الدين كله بالشكل الصحيح.

جميع الأحزاب بمختلف اتجاهاتها تعرض الإسلام على إنه دين للفرد، لا يتدخل في شؤون الحياة والدولة والمجتمع؛ ولذلك تجدها تبحث عن حلول مشاكلها من أعدائها، وتستجديهم في كل مشكلة تعصف بحياتهم، وقد يكون عدوُّهم هو الصانع الحقيقي لتلك المشاكل، كحروب الفتنة التي تعصف باليمن وليبيا والعراق وغيرها...

بينما حزب التحرير يعرض الإسلام كمبدأ متكامل لجميع شؤون الحياة، فهو فكرة وطريقة. فالفكرة هي العقيدة والمعالجات المنبثقة من العقيدة، وهي شاملة لجميع شؤون الحياة. أما الطريقة فهي كيفية حمل الدعوة، وكيفية المحافظة على العقيدة، وكيفية تطبيق المعالجات (الأحكام الشرعية) والدولة هي الطريقة العملية لتطبيق المعالجات والمحافظة على العقيدة وحمل رسالة الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد.

٣- حزب التحرير ملتزم بطريقة الرسول في إقامة الخلافة ولم يحِد عنها قيد أنملة

لقد انقسمت الأحزاب الأخرى غير حزب التحرير حول موضوع الطريقة إلى قسمين:

الأول: أحزاب لا تفكر مجرد تفكير في طريقة الرسول ولا في تطبيق الإسلام، بل هي مجافية للإسلام كمبدأ فكرة وطريقة. فهذه الأحزاب لا يهمها كيفية الوصول إلى السلطة، وإنما الذي يهمها هو الحصول على السلطة مهما كانت التضحية بأبناء الأمة وممتلكاتهم وأموالهم، وهي أحزاب علمانية متلبسة بلبوس الإسلام أو لنقل علمانية ملتحية.

الثاني: أحزاب تتوهم أنها تسير على طريقة الرسول، وأنها تريد تطبيق الإسلام والحكم به، وأن القتال هو طريقة الوصول للخلافة، وفي هذا مجافاة لسيرة الرسول

صلى الله عليه وسلم في طريقته الواضحة الجلية التي لم تختلف كتب السيرة المتنوعة عليها؛ فكلها تبيِّن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخدم الأعمال المادية في الدور المكي، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم حثَّ أصحابه على الصبر على الأذى، وقد حاصرت قريش النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، ولم يستخدم العمل المادي. وهذا دليل قاطع على أن إقامة الدولة الإسلامية لا تقوم بالأعمال المادية العسكرية، بل بالصراع الفكري والكفاح السياسي.

أما حزب التحرير فقد تميز عن هذه الأحزاب كلها بمختلف اتجاهاتها، فهو ملتزم بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يحِد عنها قيد أنملة. فقد أخذ حزب التحرير طريقة السير في حمل الدعوة لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة من طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في حمل الدعوة لإقامة الدولة؛ لأنها واجبة الاتباع قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾.

فهذه الآيات وغيرها دالة على وجوب التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم واتِّباعه والتقيد بطريقته ومنهاجه والأخذ عنه. ومن تتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة حتى أقام الدولة في المدينة يتبين أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ في مراحل بارزة المعالم، كان يقوم فيها بأعمال معينة بارزة، فأخذ حزب التحرير من ذلك طريقته في السير ومراحل سيره والأعمال التي يجب أن يقوم بها في هذه المراحل، تأسيًا بالأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم في مراحل سيره، وبناء على ذلك حدد حزب التحرير طريقة سيره لإقامة الخلافة الراشدة بثلاث مراحل، هي مرحلة التثقيف لإيجاد أشخاص مؤمنين بفكرة الحزب وطريقته لتكوين الكتلة الحزبية. ومرحلة التفاعل مع الأمة لتحميلها الإسلام حتى تتخذه قضية لها كي تعمل معه لإيجاده في واقع الحياة. ومرحلة استلام الحكم وتطبيق الإسلام عامًا شاملًا، وحمل رسالته إلى العالم بالدعوة والجهاد.

٤- حزب التحرير يعمل على وحدة الأمة ولا يعمل على تمزيقها.

لا يكاد حزب التحرير يتوقف لحظة واحدة عن دعوة أبناء أمته أن يعملوا معه لإعادة الخلافة الراشدة التي توحد الأمة؛ فتصبح عمليًا أمة واحدة، ولها راية واحدة، وتحكمها دولة واحدة، كما كانت من قبل في ظل الخلافة الإسلامية سابقًا. فقد أمر الله المسلمين بالوحدة الإسلامية التي تجمعهم في كيان سياسي واحد. قال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾. فقد أوجب الله الوحدة بين المسلمين، ونهى عن التفرق والتمزق والانقسام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

ولهذا فحزب التحرير يرفض استمرار الواقع المزري الذي صنعه الاستعمار، والمتمثل بالقوميات والوطنيات التي مزقت هذه الأمة، وحاول أن يجعلها عمليًا أممًا شتى، تحارب بعضها بعضًا من أجل الحدود التي صنعتها دول الكفر عبر اتفاقية سايكس-بيكو، ويسعى إلى إزالتها كمفاهيم مغلوطة في أوساط المسلمين، ويقوم بزرع المفهوم الصحيح، وهو وحدة المسلمين أنهم أمة واحدة، ويجب أن تكون لهم دولة واحدة، وراية واحدة هي راية (العقاب).

بينما نجد الأحزاب الأخرى علمانية أو إسلامية (علمانية ملتحية) تقدس الحدود التي صنعتها دول الكفر بين المسلمين، وجعلتهم في سجون تفصل بينهم حواجز، بل قد أصبحت الوطنية عند هذه الأحزاب وأتباعها عقيدة تقاتل من أجلها وتقدم لأجلها الغالي والنفيس. وحروب الفتنة التي سفكت فيها دماء آلاف من أبناء المسلمين قرابين لصنم الوطنية الذي يعبد من دون الله خير دليل على ذلك.

٥- حزب التحرير يمتلك المشروع الإسلامي الذي تنهض به الأمة من جديد.

عندما نستعرض جميع الأحزاب العاملة في بلاد المسلمين، لا نجد حزبًا واحدًا منها يمتلك مشروعًا أخذه من الإسلام، وصاغه كدستور إلا حزب التحرير. فهو الحزب الوحيد الذي يمتلك المشروع الإسلامي المستنبط من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الصحابة والقياس بعلة شرعية. فقد قدَّم حزب التحرير إلى أبناء أمته مشروعه السياسي (الخلافة) وهو في الحقيقة مشروع الأمة كلها، وقد استنبط أحكامه وقوانينه في سائر أنظمة الحياة من الإسلام حصرًا، وصاغ ذلك في دستور يتكون من ١٩١ مادة شاملة لجميع أنظمة الدولة والمجتمع، وسنعرض بعض مواده لبيان شمولها لكل مناحي الحياة.

المادة الأولى: العقيدة الإسلامية هي أساس الدولة بحيث لا يتأتي وجود شيء في كيانها أو جهازها أو محاسبتها أو كل مايتعلق بها إلا بجعل العقيدة الإسلامية أساسًا له، وهي في الوقت نفسه أساس الدستور والقوانين الشرعية بحيث لا يسمح بوجود شيء مما له علاقة بأي منها إلا إذا كان منبثقًا عن العقيدة الإسلامية.

المادة السادسة: لا يجوز للدولة أن يكون لديها أي تمييز بين أفراد الرعية في ناحية الحكم أو القضاء أو رعاية الشؤون أو ماشاكل ذلك، بل يجب أن تنظر للجميع نظرة واحدة بغض النظر عن العنصر أو الدين أو اللون أو غير ذلك.

المادة الثامنة: اللغة العربية هي وحدها لغة الإسلام، وهي اللغة الوحيدة التي تستعملها

الدولة.

المادة الثالثة والعشرين: أجهزة دولة الخلافة ثلاثة عشر جهازًا وهي: ١- الخليفة (رئيس الدولة). ٢- المعاونون (وزراء التفويض). ٣- وزراء التنفيذ. ٤- الولاة. ٥- أمير الجهاد. ٦- الأمن الداخلي. ٧- الخارجية. ٨- الصناعة. ٩- القضاء. ١٠- مصالح الناس (الجهاز الأداري). ١١- بيت المال. ١٢ – الإعلام. ١٣- مجلس الأمة (الشورى والمحاسبة).

المادة ٩٠ لمحكمة المظالم حق عزل أي حاكم أو موظف في الدولة، كما لها حق عزل الخليفة وذلك إذا اقتضت إزالة المظلمة هذا العزل

المادة ٩٧ سياسة إدارة المصالح والدوائر والإدارات تقوم على البساطة في النظام، والإسراع في إنجاز الأعمال، والكفاية فيمن يتولون الإدارة

المادة ١١٣ الأصل أن ينفصل الرجال عن النساء، ولا يجتمعون إلا لحاجة يقرها الشرع ويقر الاجتماع من أجلها كالحج والبيع

المادة ١٣٤ المشكلة الاقتصادية هي توزيع الأموال والمنافع على جميع أفراد الرعية، وتمكينهم من الانتفاع بها بتمكينهم من حيازتها والسعي لها

المادة ١٢٧ الملكية ثلاثة أنواع: ملكية فردية، وملكية عامة، وملكية دولة.

المادة ١٧١ سياسة التعليم هي تكوين العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية، فتوضع جميع مواد الدراسة التي يراد تدريسها على أساس هذه السياسة

المادة ١٨٥ الجرأة في كشف جرائم الدول، وبيان خطر السياسات الزائفة، وفضح المؤامرات الخبيثة، وتحطيم الشخصيات المضللة هو من أهم الأساليب السياسية.

المادة ١٨٨ حمل الدعوة الإسلامية هو المحور الذي تدور حوله السياسة الخارجية وعلى أساسها تبنى علاقة الدولة بجميع الدول.

المادة ١٩١ المنظمات التي تقوم على غير أساس الإسلام أو تطبق أحكامًا غير أحكام الإسلام لا يجوز للدولة أن تشترك فيها كالمنظمات الدولية مثل هيئة الأمم ومحكمة العدل الدولية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وكالمنظمات الإقليمية مثل الجامعة العربية.

٦- حزب التحرير ينبذ الطائفية وأخواتها.

لقد نجح أعداء الإسلام في إشعال حروب الفتنة بين المسلمين وغلفوها بالطائفية والوطنية والقومية وسفكت دماء عشرات الآلاف من المسلمين بسببها، وقد استطاع الكفار إشعالها باستمرار عن طريق الحكام العملاء والأحزاب التابعة لهم التي تقف في هذا الطرف أو ذاك، ولا نجد حزبًا واحدًا يرفضها غير حزب التحرير الذي يبين لأمته بشكل مستمر خطورة العصبية الطائفية وأخواتها، مبينًا أن الولاء الصحيح هو لله ولرسوله وللمؤمنين. فالولاء يجب أن يكون

للإسلام والمسلمين، وليس للطائفية البغيضة، ولا للوطنية القذرة، ولا للقومية المنتنة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾. كما حذر الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم منها بقوله «**دعوها فإنها منتة**».

٧- حزب التحرير يمتلك الوعي السياسي الذي يحصن الأمة من مخططات الأعداء ومؤامراتهم:

الوعي السياسي هو النظرة إلى العالم من زاوية خاصة، وهي بالنسبة لنا كمسلمين تكون من زاوية العقيدة الإسلامية، زاوية لا إله الا الله محمد رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» هذا هو الوعي السياسي. فالنظرة إلى العالم من غير زاوية خاصة تعتبر سطحية وليس وعيًا سياسيًا. والنظرة إلى المجال المحلي أو المجال الإقليمي تفاهة وليس وعيًا سياسيًا، ولايتم الوعي السياسي إلا إذا توفر له عنصران:

الأول: أن تكون النظرة إلى العالم كله. **والثاني** أن تنطلق هذه النظرة من زاوية خاصة محددة. وعندما نستعرض الأحزاب نجد أنها لا تمتلك الوعي السياسي؛ لأنها لا تحقق أحد هذين الشرطين أو كليهما، بينما نجد أن حزب التحرير هو الذي يمتلك الوعي السياسي، ويسعى بكل تفان وإخلاص من أجل إيجاد الوعي السياسي عند أبناء الأمة ليحصنها به من المؤامرات والمخططات التي يحيكها أعداؤها.

٨- حزب التحرير يتسم بالفهم الدقيق المنضبط المبني على قوة الدليل:

يتميز حزب التحرير على سائر الأحزاب الأخرى بالفهم الدقيق المنضبط المبني على قوة الدليل في كل المسائل الشرعية، سواء في المسائل المتعلقة بالفرد، أو في المسائل المتعلقة بأنظمة الحياة، كنظام الحكم، أو النظام الاقتصادي، أو نظام العقوبات، أو القضاء، أو السياسة التعليمية، أو السياسة الخارجية، أو غيرها... ولا غرابة في ذلك، فهو يتبنى المصادر القطعية الأربعة التي يأخذ منها أدلة الأحكام الشرعية، وهي: القرآن، والسنة، وإجماع الصحابة، والقياس بعلة شرعية موجودة في نص شرعي، أو يتم قياسها على علة أخرى موجودة في نص شرعي، فلا يقبل القياس العقلي. فلا يمكن أن يكون لحزب التحرير رأي ليس له دليل، ولا يمكن أن يصدر حكمًا لا يستند إلى دليل شرعي من المصادر الأربعة التي يتبناها، وهو لا يأخذ أدلة الأحكام من المصادر الموهومة المختلف فيها، كشرع من قبلنا، والمصالح المرسلة، والاستحسان، وإجماع غير الصحابة، وبذلك يطمئن كثيرًا إلى أن الحكم الذي يستنبطه هو حكم شرعي خالص، حتى ولو كان ذلك الحكم مرجوحًا في نظر الآخرين ما دام الدليل الذي استدل به عليه من الإسلام فحسب. بينما نجد أن

الأحزاب الأخرى إما أنها لا تلتفت إلى الدليل مطلقًا، أو تأخذ بالدليل في المسائل الفردية فقط، أو تأخذ بالدليل في أحكام محدودة في أنظمة الحياة لمصلحة يراها ذلك الحزب أو تلك الجماعة.

٩- حزب التحرير يتبنى في السير ليمنع التشظي والانقسام:

لا نجد بين جميع الأحزاب حزبًا واحدًا يتبنى أحكامًا شرعية تضبط سيره ويتخذها قانونًا يلزم بها جميع أفراده سوى حزب التحرير. فهو الوحيد الذي له أفكار متبناة وكتب متبناة تضبط سيره ويلتزم بها أفراده؛ إلا أن الغريب أن الأحزاب الأخرى التي لا تتبنى أحكامًا شرعية تضبط سلوك أفرادها، نجدها تتبنى قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان. فهي تتبنى حب الوطن والدفاع عنه، وتقديس الحدود الاستعمارية التي أفرزتها اتفاقية سايكس بيكو، كما تتبنى الالتزام بالقوانين الوضعية، كالديمقراطية ومحاربة الإرهاب (محاربة الإسلام) والقتال في سبيل أميركا وبريطانيا وغيرها من دول الكفر، ولذلك نجد إن الحزب الواحد منها يتشظى بعد فترة زمنية إلى أحزاب، والجماعة الواحدة تصبح جماعات؛ لعدم وجود فكرة التبني في الأحكام الشرعية.

بينما حزب التحرير، فبسبب وجود التبني لديه ظل حزبًا واحدًا متماسكًا، وهو الآن بقيادة أميره العالم في أصول الفقه والسياسي المفكر عطاء بن خليل أبو الرشته، حفظه الله ورعاه، رغم محاولات الدول الاستعمارية وعملائها ومخابراتها عبر الناكثين والعابثين أن يزعزعوا تماسك الحزب، والسعي إلى تقسيمه إلى أحزاب... ولكن أحلامهم ستذهب، بعون الله، أدراج الرياح، وسيبقى حزب التحرير، إن شاء الله، شامخًا طامعًا أن يمنَّ الله عليه بإقامة الخلافة الراشدة في القريب العاجل بإذنه تعالى.

١٠- حزب التحرير يوالي المسلمين ويعادي الكفار والعملاء والمنافقين:

ينظر حزب التحرير إلى جميع أبناء الأمة نظرة الإسلام، أي إنهم مسلمون، ويدعوهم إلى العمل معه لإقامة الخلافة، ويحذرهم من مخططات الأعداء، وينصحهم من الوقوع فيها، ويدعوهم إلى ترك حروب الفتنة التي أشعلها الكفار وعملاءهم بينهم، ولا يعادي أحدًا من المسلمين. أما الكفار فيتخذهم أعداءً استجابة لأمر الله تعالى، كما يدعو المسلمين جميعًا أن يتخذوهم أعداء، فيكفرون بمبادئهم وقوانينهم، ويرفضون حلولهم، ويعملون لهدم أنظمة عملائهم، ويقيمون الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة بقيادة حزب التحرير على أنقاض الأنظمة العلمانية العميلة.

أما الأحزاب الأخرى فإنها تتخذ الكفار أصدقاء، فتواليهم وتقيم العلاقات الحميمة والودية والمتميزة معهم عبر الأنظمة؛ بينما نجد علاقة الأحزاب فيما بينها علاقة عداء

وقطيعة واحتراب، كما هو الحال في اليمن وليبيا والعراق وغيرها. وحزب التحرير يحرص كل الحرص أن لا يسفك بعضهم دماء بعض؛ بينما نجد الأحزاب الأخرى لا يتورعون عن سفكها، فهم يقذفون بشبابهم إلى المحارق.

١١- وأخيرًا، ثبات حزب التحرير على منهاجه وعدم تنازله عن فكرة واحدة من أفكاره:

عند استعراض كل الأحزاب لا نجد حزبًا واحدًا ثابتًا على أفكاره التي كان يدعو إليها عند نشأته، فقد تبدلت أفكارهم، وتغيرت طريقة تفكيرهم، وتنازلوا عن ثوابت لطالما تغنوا بها، وآمنوا بأفكار كانوا يرفضونها ويبرهنون على فسادها؛ بينما نجد حزب التحرير هو الوحيد الثابت على منهجه وأفكاره ومفاهيمه وطريقته، ولم يغير ولم يبدل ولم يتنازل عن فكرة واحدة من أفكاره، فهو عند نشأته كان يدعو إلى الكفر بالأنظمة الوضعية ورفضها وإسقاطها وإقامة الخلافة على أنقاضها، ولا زال على هذا النهج إلى الآن، وعلى سبيل المثال كان يرى الديمقراطية نظام كفر يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها، وهو يدعو الآن إلى ذلك، ولم يغير كلمة واحدة منها، وهكذا في جميع الأفكار... وحتى تحليلاته السياسية بعد ٦٠ عامًا هي هي لم تتغير، بل أثبت الواقع صدقها، وسار كثير من الناس يرددونها مقتنعين بصحتها.

حزب التحرير هو الجدير بأن يكون قائد الأمة الإسلامية:

حزب التحرير يعمل لإقامة الخلافة ولا يشوهها، ويعرض نظام الإسلام كمبدأ متكامل للحياة، ويسير إلى تحقيق هدفه بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم من غير أن يحيد عنها قيد أنملة، ويعمل على وحدة الأمة، ولا يعمل على تمزيقها، وينبذ الطائفية والقومية والوطنية... ويمتلك المشروع السياسي الذي يحل مشاكل العالم بأسره، ويمتلك الوعي السياسي الذي يحصن به الأمة من الوقوع في مخططات الغرب ومؤامراته، ويتسم بالفهم الدقيق المنضبط والمبني على قوة الدليل، ويتبنى في السير ليمنع التشظي والانقسام، ويوالي المسلمين ويعادي الكفار والعملاء والمنافقين، وهو ثابت على جميع أفكاره ولم يتنازل عن فكرة واحدة منها. إن جميع هذه المميزات التي تفرد بها حزب التحرير عن سائر الأحزاب الأخرى لهو جدير بأن تتخذه الأمة قائدًا لها ليقودها من أجل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فهي التي تحكم بما أنزل الله، وتحمل الإسلام رسالة نور وهدى إلى العالم بالدعوة والجهاد. عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»**. رواه مسلم.■

النصرة فرض كفاية

ولا يسقط الإثم عن أهل القوة حتى يقوم هذا الفرض

الكاتب :عبد الله القاضي - اليمن

إن الجماعات التي تعمل للتغيير لابد لها أن تبلور فكرتها، لا أن تجعلها فكرة عامة أو غامضة، كما أن طريقتها للوصول إلى غايتها لابد وأن تكون واضحة لا لبس فيها، وأن تكون تلك الطريقة من نفس الفكرة، وليس من خارجها، أو منفصلة عنها، فلا تكون ارتجالية، أي لابد من الربط بين الفكرة والطريقة. فلو رأينا بعض الجماعات التي تعمل للتغيير لوجدناها قد تنوعت وتعددت في طرقها التي سلكتها للوصول لغاياتها، فنجد بعضها قد أخذت بالطرق السلمية كالديمقراطية والانتخابات في ظل النظام الرأسمالي، بينما نجد حركات أخرى قد تبنت طرق العنف كالانقلابات المسلحة والحروب، غير آبهة بموافقة تلك الطرق لعقائدها ومبادئها، أو بمخالفتها، وما قد يحدث من المضي في هذه الطريقة أو تلك من مخاطر، سواء على الحركة نفسها، أم على غيرها من الحركات أم الشعوب.

للأسف الشديد، إن كثيرًا من الحركات الإسلامية نهجت نهجًا يخالف الإسلام وهي تعمل للتغيير؛ لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن يُحكموا بالإسلام وأن يحتكموا إليه في جميع شؤون حياتهم، ولن يتم ذلك إلا عبر كيان تنفيذي لتطبيق أحكام الإسلام على الرعية، وحمله لغيرهم رسالة رحمة ونور. ذلك الكيان هو الدولة. ولعدم وجودها، فقد وجب على المسلمين العمل على إقامتها من باب «مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وبالعودة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، نجد أنه قد مرَّ بمراحل ثلاث، متمثلة بتكوين الكتلة وتثقيفها بالإسلام، ثم تفاعل تلك الكتلة مع المجتمع من خلال الصراع الفكري والكفاح السياسي وطلب النصرة، وصولًا إلى مرحلة استلام الحكم،ومن ثم وتطبيق الإسلام.

ومن خلال التزام رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك الطريقة وعدم حياده عنها، نستدل على وجوب التزامنا بها تأسيًا به صلى الله عليه وسلم، والتزامًا بأمر ربنا عز وجل في التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فهذه الآية تفيد بدلالة الإشارة عدم جواز مخالفة طريقته صلى الله عليه وسلم في الدعوة، وبالتالي فإننا إن لم نتبع طريقته صلى الله عليه وسلم في دعوته، وإيجاد دولته نكون قد خالفناها وتعديناها إلى غيرها.

فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، ما رواه أبو نُعيم والحاكم والبيهقي رحمهم الله ، والسياق لأبي نُعيم، من حديث أبان بن عبد الله البجلي، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، حدثني علي بن أبي طالب، قال: «**لما أمر اللهُ رسولَهُ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب**».

لقد كرر صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل بقصد طلب النصرة والحماية منها، فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم طلب النُّصْرَة والحماية والـمَنَعَة من كل من: ثقيف في الطائف، وبني عامر بن صعصعة، وغسان، وبني فزارة، وبني مرة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عبس، وبني نصر من هوازن، وثعلبة بن العكاية، وكندة، وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الخطيم، وأبي اليسر أنس بن أبي رافع، وبني محارب، والحضارمة، وبني البكاء، ثم الأوس والخزرج. فالتزام الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة معينة لإقامة الدولة وهي طلب النصرة، وتكبَّد صلى الله عليه وسلم في سبيل ذلك المشاقَّ - مع وجود الأذى - دون أن يغيِّر هذه الطريقة، وهذا يدل على أن طلب النصرة لإقامة الدولة فرض.

طلب النصرة هو في أواخر مرحلة التفاعل، فقد كان واضحًا لأهل القوة من «القبائل» في ذلك الوقت الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب نصرتهم، كان واضحًا لهم أن المطلوب هو أن يحموا الرسول صلى الله عليه وسلم ويمكنوه من إقامة كيان بين ظهرانيهم يطبق فيه أحكام الله سبحانه، أي أنهم كانوا يدركون بشكل صريح واضح أن النصرة هي لإقامة دولة تحكم وتجاهد... ولذلك قال بنو عامر بن صعصعة عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم نصرتهم، قالوا: «**أرأيتَ إنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَفَتُهدَف نحورُنا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِ.**»، أي أنهم كانوا يعرفون أن النصرة هي لإقامة دولة، فأرادوا أن يكونوا هم حكامها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك قال بنو شيبان للرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلب نصرتهم: «وإنما نزلنا بين ضرتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما هاتان الضرتان**»؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا

نحدث حدثًا ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه»**، فكانوا يدركون أن النصرة تعني حكمًا وجهادًا للعرب والعجم، فوافقوا على قتال العرب، أما الفرس فلا، ثم عندما قضى الله سبحانه الأمر كانت بيعة العقبة الثانية التي كانت بيعة نصرة لإقامة الدولة في المدينة، وبعدها دخلت المرحلة الثالثة أي إقامة الدولة، وواضح من كل هذا أن طلب النصرة كان قبل المرحلة الثالثة، أي في مرحلة التفاعل.

إن مسألة طلب النصرة ليست خيارًا لدى هذه الكتلة، وإنما هو حكم شرعي مستنبط بأدلته. وإذا كان هناك حكم شرعي كان لزامًا على كل مسلم الالتزام به ولو خالفه جميع الناس، وكان حرامًا عليه الانتقال إلى أي حكم آخر ما دام هذا الحكم من شرع الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

قد يرى كثير من الذين يتابعون ما يجري على الساحة من أحداث، أن هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين بدعوى محاربة الإرهاب لا قِبل للمسلمين بها، وبالتالي فإن الحديث عن إقامة الخلافة الإسلامية حديث الذين يسبحون في الخيال والذين لا يعيشون الواقع. إن هؤلاء واهمون، فإن هذه الرؤية هي في مجملها رؤية اليائس ضعيف الإيمان الذي لا يبصر بنور الله. والعجيب أن هؤلاء اليائسين الذين يريدون تثبيط الأمة عن قدرتها على النصر في هذه المعركة وعودتها عزيزة مرهوبة الجانب كما كانت طوال ثلاثة عشر قرنًا سابقًا، وهم في الأغلب ممن يقدمون أنفسهم للأمة كعلماء ومفكرين يحملون راية الإسلام. فإننا نقول لهؤلاء وأمثالهم: لقد ظلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضيًا في طريقه مستقيمًا بوحي ربِّه، صادعًا بالحق المنزَّل إليه، متوكِّلًا على الله، متذرِّعًا بالصبر، محتسبًا عمله الدؤوب لتكوين الرأي العام لفكرته، وإيجاد القوة الناصرة لدعوته، دون أن يستعمل سلاحًا ماديًّا لتحقيقها، أو يحيد عن طريقه الشرعيّ المرسوم له إلى قوةٍ غير إسلاميَّة محليَّة أو إقليميَّة أو دوليَّة؛ حتى بلغ غايته وأقام دولته، وتركنا بعدها على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، رغم ما تعرَّض له في طريقه لإقامة الدولة إلى محاولات كثيرة لحرفه عن مساره القويم من قبل الحكام في مكة وخارجها. ففي مكة ساومه كفار قريش على دعوته بالملك، وعرضوا عليه حكمًا توافقيًا يتبادلون معه الآلهة بالعبادة، فرفض التنازل عن مبدئه رفضًا قاطعًا، وفي خارج مكة اشترطت إحدى القبائل لنصرته،

الرئاسة من بعده، فرفض قائلًا: «**إنَّ الأمر لله يضعه حيث يشاء**»، وعرضت أخرى عليه حكمًا منقوصًا، فرفض قائلًا: «**إنَّ هذا الأمر لا يصلح له إلا من أحاطه من جميع جوانبه**».

إن المتأمل الحصيف لتوعَّد الله تعالى للمخالفين عن أمره بقوله عزَّ وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ليدرك أن اتباع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الخلافة أمرٌ تكليفيٌّ وحكمٌ شرعيٌّ، فهي واجبة الاتباع لأنَّها محل أسوة، وجزءٌ من أحكام الإسلام، ولا يحلُّ لجماعة من المسلمين الحياد عن جادتها تحت أي طريقة عقليَّة. فالعقل محكوم بخطاب الشارع الحكيم لا حاكمًا عليه، وإلا لاختلفت الطرق على المسلمين باختلاف العقول والأهواء، ولتبدَّلت معه طرق السير نحوها بتبدّل العصور والرؤى، ولعادت عقولهم عليهم بالضلال والشقاء.

وها هي قد دارت السنون والأيام، وانفصل السلطان عن القرآن، وعاد مجتمعنا بعلاقاته الجديدة مجتمعًا غير إسلامي، فقد هدم الكافر المستعمر الخلافة منذ عقود، وجعلها دولًا متفرِّقة تستند في سلطاتها إلى عقيدته الباطلة، وترزح تحت وطأة جوره وجور حكامه؛ فقُطعت معهم حياتنا الإسلامية وتوقَّفت مسيرتنا الدولية.

لذا وجب على الأمَّة اليوم، كونها المخاطبة بالإسلام، وعليها تقع مسؤوليَّة حفظه وتطبيقه، وهي لذلك صاحبة السلطان، وعن طريقها فقط يتم الوصول إلى الحكم أو الخلافة. ونظرًا لتخلُّف الأمَّة في الآونة الأخيرة عن مكانتها المرموقة بين الأمم، وتراجع دولتها عن مركزها القيادي في العالم، لما حل بها من عوامل الضعف الداخليَّة والخارجيَّة، وقد أفضى بالنهاية إلى هدمها في(١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ)، فقد شتَّ العقل وقلَّ البصر بالإسلام لدى الكثير من الحركات الإسلامية عن الطريقة الإسلامية الوحيدة لإقامة الخلافة، فتعددت طرقهم، وظلَّ سيرهم بعيدًا عنها يراوح مكانه بلا تغيير أو تقدُّم.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل أن نأخذ ما أتى به رسوله الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ لذا وجب علينا أن نأخذ طريقته التي قررها عند إقامته لدولة الإسلام في المدينة بوصفه الرسول الأسوة، والتي جعل سلطان دولته سلطانًا ذاتيًّا يستند إلى قوة المسلمين من قبيلتي الأوس والخزرج المالكتين لزمام الأمور في المدينة مقر دولته، كما جعل أمان دولته بأمان المسلمين أنفسهم، فبقوة المسلمين العسكريَّة وحدها تحققت حماية الدولة والأمَّة من المعتدين، كما باشر تطبيق الإسلام في دولته الناشئة تطبيقًا كاملًا وفوريًّا من ساعة دخوله المدينة المنوَّرة.

إن العمل لإعادة الحكم بما أنزل الله هو من تعظيم شعائر الله، وهو ما رأيناه من أهل

النصرة في بيعة العقبة الكبرى؛ حيث قال كعب بن مالك رضي الله عنه بعد أن تحدث العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، قال كعب: «فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام ثم قال : «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**»، فمن هذا الموقف نجد أن أهل القوة والمنعة قد قدموا لأهل الدعوة وحملتها ما يجب عليهم، ومن ذلك أن أهل الدعوة هم أهل سياسة أمور الناس، وهم القادة عليهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أهل النصرة يأتمرون بأمر أهل الدعوة، ولا يقومون بأمر إلا بعد الرجوع لأهل الدعوة وصاحب الصلاحية فيها، وأن يتمتع أهل النصرة والمنعة بالقوة القادرة على حماية الدعوة والأمة والدولة، كذلك الاستعداد الكامل من قبل أهل النصرة والمنعة والقوة على التضحية والبذل والعطاء في شتى الميادين التي يأمرهم بها أهل الدعوة.

واليوم نرى أن أمة الإسلام تنتظر من أهل النصرة والقوة والمنعة أن يخرجوا من بينهم، أن يقولوا قولة الأنصار بالأمس: «حتى متى يبقى الإسلام طريدًا مغيبًا عن الحكم بعيدًا عن حياتنا؟ حتى متى يبيت المسلمون على خوف من عدوهم أن يتخطفهم؟ حتى متى نخاف الكافر المستعمر يحتل أرضنا وينتهك أعراضنا ويجتاح بيضتنا؟ متى يعود الإمام الذي يقاتل من ورائه ويتقى به؟ متى نحقق أمن الإسلام من خلال استئناف الحياة الإسلامية التي تحقق لكل مسلم الأمن والإيمان والنصر والتمكين؟!.

لذلك كان إعطاء النصرة لإقامة الدولة فرض على الأمة أو على الفئة الأقوى فيها، ودليل ذلك القاعدة الشرعية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» فإقامة الدولة واجب، وهذا الواجب لا يتم إلا بقوة الأمة، أو بقوة أقوى فئة في الأمة لتحطيم الحواجز المادية التي تعترض إقامة الدولة؛ حيث قال الأنصار رضوان الله عليهم في بيعة العقبة الثانية: «إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف» فكان هذا قرينة على وجوب نصرهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليبين عن الله عز وجل ما أمره به، ومنه الحكم بما أنزل الله. قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد ٣٨]. هذا فيه خيري الدنيا والآخرة لمن يقدمه، ولمثل هذا فليعمل العاملون، لذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «**... الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ...**» [رواه مسلم].

وقال أيضًا: «**إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي**» [رواه مسلم] أي جماعته وخاصته، فانظروا هذه المكانة، وهي لكل من عمل على إعادة الإسلام كما بدأ، وعلى ما تركه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد النبوة؛ خلافة على منهاج النبوة،

ثم يكون النقص في الملك العاض والجبري، ثم يعود خيره خلافة على منهاج النبوة.

على أهل النصرة اليوم أن يكونوا كالأنصار الذين نصروا الله ونصروا رسول الله، وقدموا الشهداء مواكب ومواكب، حتى قال قائلهم يباهي الأقران: ما نعلم حيًا من أحياء العرب أكثر شهيدًا أعز يوم القيامة من الأنصار، إنهم الملبُّون دائمًا لاستغاثة المستغيثين، إنهم الواهبون فُيوض العطاء يحتسبون الأجر عند الله: من يرد عنا أذى كفار الأرض وله الجنة؟ من ينصر دين الله ليكون رفيق الحبيب في الجنة؟.

ما أروع وصية سعد بن الربيع وهو يجود بمهجتيه، خائفًا على دين الله، وخائفًا على رسول الله، فلن تنسى ذاكرة هذه الأمة هذا المشهد العظيم، وذلك العطاء الغامر، زيد بن ثابت يقرئه السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأله كما أمره الحبيب وهو بإخلاصه عليم، كيف تجدك؟. لحظات سجلها الكرام الكاتبون، لحظاتُ عزٍّ شهدها ملك الموت الكريم، لحظات مجد يستحقها الرجال الرجال، وأنتم منهم إن شاء الله تعالى: أقرئ مني حبيبي السلام، وقل له: أجد ريح الجنة، وجزاك الله خير ما جزى نبيًا عن أمته. وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم إن خلص إلى رسول الله شيء وفيكم شفر عين يطرف. فيا أحفاد سعد بن الربيع الأنصاري، هذا البطل الكبير، إنه لم يذكر في لحظات وداع الدنيا زوجة ولا أولادًا، إنما كانت وصيته الوحيدة التضحية من أجل نصرة دين الله ورسوله، بوركتم يا رهط الأنصار، وبورك من نصر دين الله عبر الأزمان والأعصار. فبعد جراحات أحد، وإكرامًا لأهل النصرة الأنصار، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين جالسًا تحت لواء الأنصار، وهذا طلحة الأنصاري ينشد أنشودة الميامين، أهل النخوة إذا عزَّ النصير: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تشرف فيصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. سيفدي إخوة لك في ظهر الغيب دين الله كما فديته، سيعزمون عزمتك، وسيثبُتُ الرجال عندما تستحثُّهم تضحيات القانتات العابدات، تلك المرأة الدينارية الأنصارية وقد أصيب ابنها وزوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد، والتحقوا بركب الأحياء الذين عند ربهم يرزقون، ولكن رسول الله، ودين الله، وعزة الإسلام، أحب إليها مما طلعت عليه الشمس، لقد ذهلت عن كل مصابها في أعزائها، وما استحوذ عليها إلا حبها وخوفها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا فعل رسول الله؟ قالوا: خيرًا، وهو بحمد الله كما تحبين. فقالت: أرونيه أنظر إليه، لا أبالي إن سلمت من عطب، ولفناء الدنيا أخف عليّ من أن يصاب بوخز إبرة، لله درها من امرأة مؤمنة صابرة يغبطها على قوتها الأبرار، وتثير بحميّتها لدين الله الأنصار، فرحم الله أهل الشوكة ما نصروا دين الله.

إن طلب النصرة والاستنصار لا يكون إلا

ممن سمت بهم هممهم وتعاظمت إرادتهم وجمحت بهم عزتهم وطفحت بالمجد إرادتهم، لا يكون الاستنصار إلا بالغوالي المخلصين الأتقياء، أهل المودة والصفاء، لا يكون إلا في لحظات الإحاطة وفقدان النصير، لا يكون إلا بمن هو حاضر لكل ما هو آت، فأولئك ركب الأبرار فوافوهم، أولئك ثلة العزة فغذوا السير معهم، أولئك روّاد الأمة في هذا الزمان، وهم إلى نصرة دين الله بكم ومعكم لبالأشواق، فلنعم الداعي، ولنعم المجيب، ولنعم دار الإسلام تشرق شمسها على الكون من جديد، والعاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ فكونوا أنصار الله وحواريي هذه الأمة.

لقد وجد للخلافة رأيًا عامًا عند جمهور المسلمين، ولم يبقَ إلا أن يأذن اللهُ بأنصار كالأنصار الذين ذكرهم الله في القرآن، وبسعدٍ وسعد... رجالٍ ينصرون دينهم بنُصرة العاملين للخلافة، بنصرة **حزب التحرير**، نصرةً تعيد الخلافةَ الراشدة الثانية، خلافةً على منهاج النبوة بعد هذا الملك الجبري الذي نحن فيه تحقيقًا لوعد الله سبحانه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ولبشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الملك الجبري «... ثُمَّ **تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**». فسارعوا يا أهل القوة، والتحقوا بالدعوة والنصرة، سارعوا إلى إقامة الخلافة مع **حزب التحرير**، لا أن تشهدوها منه فحسب، والخيرُ والأجرُ الذي تنالون في التحاقكم بالصفوف اليوم ليس كالخير والأجر في التحاقكم بالصفوف بعد اليوم، حتى وإن كان في كلٍّ خير ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَـٰتَلَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَـٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾، فلا تخشَوا إلا اللهَ العزيزَ الجبار، ولا تقولوا: «ستقفُ في وجهنا أميركا والغربُ من خلفها إن نصرناكم»، فإنَّ وِقفتَهم ستنهار وظهرَهم سينكسر أمام من آمن وآوى ونصر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

أخيرًا، إنَّ الجماعة التي تسعى لإقامة الخلافة الإسلامية يجب أن تتَّبع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامتها، ويتحتَّم عليها أن تتلبَّس بالأعمال المباشرة المحدَّدة لإقامتها، ويحرم عليها أن تخالفها، كما أنَّ دولة الإسلام لا تقام بغير طريقتها الشرعيَّة.■

في الذكرى الثامنة والتسعين لهدم الخلافة

العلماء

هم بيضة القبان في التغيير وإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة

يوسف مصعب

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى، وصلاة وسلام على صاحب الدعوة الأولى والدولة الأولى محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، وعلى المهاجرين والأنصار والصحابة أجمعين، ومن تبعهم من العلماء الربانيين وبعد:

إنَّ علماء الأمة هم ورثة الأنبياء، وقُرَّة عين الأولياء، رفعهم الله بالعلم، وزينهم بالحِلْم، بهم يُعرف الحلالُ من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، هم حراس الشَّريعة وحُماة العقيدة، يَنفون عن دين الله تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضَّالين، فكم من طالبِ علمٍ علموه، وتائهٍ عن صراط الرُّشد أرشدوه، وحائرٍ عن سبيل الله بصَّروه ودلّوه، وكم من طاغية ألزموه النزول عند الحق، وكم من متجبر وقفوا في وجهه حتى قصمه الله، وكم من شر حل بالمسلمين فكانوا مفاتيح للخير، وكم من بلاء نزل بساحة المؤمنين فكانوا الدواء الذي يخفف الجراح ويصف الدواء، فكانوا حقًا كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِى الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِى السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ**» (رواه أحمد).

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ،**

وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٦٤١).)

ويكفي في بيان شرف العلماء وعِظم مسؤوليتهم وأهمية دورهم ما وصفهم الله به في مواضع من كتابه بالخشية والرفعة والأمر بالرجوع إليهم، وما خصهم به النبي ﷺ من كونهم "ورثة الأنبياء"، **فحيثما وقعت الفتن، واختلطت الأمور، وادلهمت الخطوب، وأصبح الحليم حيرانًا، واحتاج الناس إلى المصلح والقائد، ولم يجدوا أنبياء الله ورسله؛ قصدوا ورثتهم الذين يقولون بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم، وإن سُئلتَ عن السبب فـ**﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويكفيهم شرفًا وفضلًا اقترانُهم باسم المولى سبحانه واسم ملائكته في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قال القرطبي رحمه الله: «هذه الآية دليلٌ على فَضْل العِلْم وشرف العُلماء، فإنَّه لو كان أحدٌ أشرف منَ العلماء، لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته».

وقد رفع الله تعالى شأْنَ العلم وأهله، فشرفهم وكرمهم، ورفع منزلتهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: **«فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»** (رواه الترمذي).

قال ابن القَيِّم: **«قد أخبر سبحانه في كتابه بِرَفْع الدَّرجات في أربعة مواضع، ثم قال بعد أن عددها: فعادت رفعة الدَّرجات كلها إلى العلم والجهاد اللَّذَين بهما قِوامُ الدين».**

إن «ورثة الأنبياء» من العلماء هم الذين يرثونهم علمًا وعملًا، ويقتدون بهم في السرِّ والعلن، ويلتزمون منهجهم في السراء والضراء، ولا يكونون كمَنْ ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، أو كمن ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

والعلم الذي هو سبب التشريف وعلة التكريم قد يكون سببًا لشقاء الدنيا والآخرة، وموجبًا للذم والمهانة عند الله وعند الناس إذا لم يقترن به من العمل ما ينفع صاحبه وأمته وقت الحاجة إليه، بل قد يكون صاحبه من أول مَنْ تسعَّر بهم النار، وسيكون حاله كحال أولئك الذين وصفهم رب العزة في كتابه بقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

ولقد أدرك العلماء عبر تاريخ الأمة الممتد من عهد النبوة إلى عهد الخلافة العثمانية، أنهم

منارات الهدى التي تهدي إلى الحق، فهم من قرأ قول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ وهم من سطّروا لنا مواقف المحاسبة وقول الحق والصدع به مهما كانت الصعاب، فمنهم الأمام أحمد بن حنبل الذي ضرب أروع الأمثلة في محاسبة الحكام حتى قال مقولته المشهورة التي تكتب بمداد من نور (**إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق؟!**)، ومنهم العز بن عبد السلام بائع الملوك، ومنهم سعيد بن جبير ومنهم أبو حازم التابعي الجليل وغيرهم كثير.

ولعلَّ أهم صفات العلماء الربانيين الذي يُنتظر منهم أن يقودوا الأمة - ولا سيما عند الاختلاف والاضطراب - هي صفة «الخشية»، والتي جعلها الله من أخصِّ صفاتهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾، ولذلك قال الإمام أحمد لابنه عبد الله لما سأله عن معروف: «هل معه من العلم شيء؟ قال: معه رأس العلم: الخشية» الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٣٥-٢٣٦.

ومردُّ ذلك أن أهل الخشية من العلماء هم الذين يقولون ويفعلون ما أداه إليه اجتهادهم، دون مداهنةٍ لأحد أو خوف من أحد، ومن غير أن يتطلعوا لعرضٍ زائلٍ مهما بلغ، فإن مقتضى خشية الله في قلوبهم أن لا يلتفتوا إلى أهوائهم ولا أهواء غيرهم من الخاصة أو العامة.

ومتى ما كانت مواقف العالم كذلك كانت أقرب إلى الصدق والثبات، وأحرى أن تطمئن لها النفوس وتجتمع عليها القلوب.

بيد أن علماء السلاطين الذين رضوا وتابعوا حكام دول الضرار قد بلغوا مبلغًا لم يشهده تاريخ الأمة من قبل، فترى منهم أئمة يعتلون المنابر ويخطبون ود الحاكم الفاسق والخائن لله ولرسوله وللمؤمنين بسخط الله وغضبه، وآخرون يضفون الشرعية الكاذبة على كل جريمة أو خيانة أو تقصير لحكام السوء في بلاد المسلمين، حتى بات للقتل والتعذيب والإخفاء القسري وتدمير المنازل فوق رؤوس ساكنيها وإشاعة الرذيلة بين المسلمين وموالاة الكفار وغيرها من الجرائم التي يرتكبها الحكام وأعوانهم، بات لهذه الموبقات فتاوى جاهزة تضعها في سياق شرعي وتخرجها مخرجًا يخدع السذج والبسطاء في جرأة على الله ورسوله ودينه والمؤمنين!

وإن على علماء السلاطين هؤلاء - وقبل فوات الأوان - أن يقلعوا عن موالاتهم للأنظمة الطاغوتية، وعن الإساءة للعلم الشرعي، وأن لا يكونوا دعامة التضليل التي يستخدمها الفجار من الحكام لتبييض صحائفهم السوداء، ولا أقل من أن يعلنوا براءتهم على رؤوس الأشهاد مما ضللوا به الأمة من قبلُ، وألبسوا عليها أمر دينها، ووالوا فيه أعداءها، فعروة الإسلام هي العروة الوثقى وعرى السلاطين أوهى من بيت العنكبوت، والأمة لن تغفر لهم خطيئتهم يوم يأذن الله بالنصر والفرج والتمكين.

إنه بقدر أهمية العلماء الربانيين وحاجة

الأمة إليهم يتبين خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة العظيمة التي هم عليها لا يسدُّها غيرهم، إنه يجب على العلماء أن يتقدموا لسدِّ الثغرة، فإنهم متى ما تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلًا لسدِّ الثغرات، ولا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجِّهونهم «**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» جزء من حديث صحيح رواه البخاري في كتاب العلم. فلا يليق بمن أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا الإسلام للناس وللحكام ولا يكتمونه، لا يليق بهم ولا يجوز في حقهم أن يتراجعوا إلى الصفوف الخلفية أو ينسحبوا مؤثرين السلامة على المواجهة، فهم الذين عليهم توعية الأمة ونصحها ودفعها لأخذ دورها في الحياة، وهم الذين يجب أن يكونوا في مقدمة محاسبة الحكام والتغيير عليهم، وهم من يجب أن يكونوا في قيادة الناس وفي مقدمة العاملين لإقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

وتوعد الله الذين يكتمون منهم ما أنزل لقاء شيء من الحياة الدنيا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾.

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين أن يعلنوا بشكل واضح لا لبس فيه أن المطلوب شرعًا من المسلمين اليوم هو إسقاط الأنظمة الطاغوتية العميلة كونها قبل كل شيء أنظمة لا تحكم بالإسلام، وهي حرب على المسلمين سلم لأعدائهم.

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين أن يبينوا أن طريقة التغيير يجب أن تكون بحسب طريقة الرسول ﷺ وأن يكون التغيير نظيفًا يحققه المسلمون كل المسلمين، علماؤهم ووجهاؤهم وعامتهم وأهل القوة فيهم، بأيديهم لا بأيدي أعدائهم؛ فهم من يملكون قوى التغيير الحقيقية والفعلية.

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين أن يبينوا لأهل القوة في العالم الإسلامي أن عليهم واجبين شرعيين هما: حماية أهلهم من مكر الكفار وعدوانهم، ونصرة دينهم من أجل إقامة دولة الخلافة كما فعل أنصار الله ورسوله في المدينة المنورة.

إن الواجب على علماء المسلمين أن يدركوا مسؤوليتهم العظيمة في توعية المسلمين على مخاطر الهجوم على الإسلام وعلى مشروعهم لإقامة الخلافة، وأن يباشروا العمل من فورهم مع العاملين المخلصين لاستعادة سلطان المسلمين وإقامة حكم الإسلام.

إن من واجبهم أن يكونوا في جماعة تنكر على الحكام قولًا وعملًا، وأن يشكلوا مع الأمة قوة فاعلة للتغيير «**ولتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، ولَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**».

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين

أن يبينوا أن المطالبة بالدولة المدنية أو العلمانية اللادينية هي دعوة باطلة لأن أنظمتها أنظمة كفر يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها.

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين أن يبينوا حرمة التدخل الأجنبي في بلاد المسلمين سواء أكان من أميركا ودول أوروبا، أم من روسيا والصين، والتي تجاهر بالعداء للمسلمين، فكل هؤلاء مجمعون على معاداة الإسلام ومحاربته، والحيلولة دون عودة الحكم بالإسلام.

إن الواجب الشرعي على علماء المسلمين أن يبينوا حرمة المطالبة بتدخل مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة وكل المؤسسات والمنظمات الاستعمارية في قضايا المسلمين وشؤونهم الداخلية؛ لأن قوانينها قوانين كفر، وأهدافها مربوطة بأهداف الدول الكبرى وعلى رأسها أميركا.

هذا وإن على علماء المسلمين، إذا أرادوا أن يكونوا ربانيين، أن يعلنوا أن حالة المسلمين في جميع بلادهم واحدة، وبالتالي فإن الحل الشرعي لها واحد، وأن الأنظمة الطاغوتية التي تحكم المسلمين بغير ما أنزل الله، وتستجلب العدو اللئيم لقتلهم واستئصالهم، يجب إسقاطها وإقامة دولة الإسلام مكانها.

فالعلماء الربانيون هم الذين يقولون للظالمين ظلمتم وللمفسدين أفسدتم، هم الذين يقومون للحق وبالحق لا يخافون في الله لومة لائم، الذين لا يهابون سلطانًا جائرًا أو حاكمًا جبارًا لأنهم آمنوا بقول رسولهم ونبيهم سيدنا محمد ﷺ الذي رواه الحسين بن علي رضي الله عنهما: «**مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًا لِحُرَمِ اللهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ**» رواه الطبراني في التاريخ وابن الأثير في الكامل وغيرهما.

هم الذين لا يسكتون عن حق وجب إذاعته، ولا يكتمون حكمًا شرعيًا في قضية أو مشكلة سواء تعلقت بشؤون العامة أو الخاصة؛ لأنهم آمنوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

إن الأمة اليوم تعيش مخاضًا عسيرًا، والكافر وأعوانه يحيطون بها من كل جانب، وإن العلماء يتحملون قسطًا كبيرًا من الظلم الواقع بها، لتقاعسهم - إلا من رحم ربي - منذ زمن بعيد عن القيام بواجبهم في النصح لله ورسوله وكتابه، وقد تركوا الأمة تتيه بين ظلمات الأنظمة الوضعية وخزعبلات الحكام وألاعيبهم دون أن يكون لهم كلمة الفصل في توجيه الأمة الوجهة التي تنقذها من بين مخالب أعدائها حتى تعود سيرتها الأولى، قوية عزيزة يهابها العدو ويحترمها الصديق، لقد كان عليهم أن يسيروا على خطا من سبقهم من العلماء النجباء الذين سطر التاريخ مواقفهم بمداد من العظمة والفخر والتقدير، وذلك كموقفهم

في تحريك المسلمين لجهاد التتار ورد اعتبار المسلمين بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، ولقد كان للعالم الكبير ابن تيمية دورًا متميزًا في شحذ الهمم وتحريك الجيوش بقيادة الظاهر بيبرس الذي أنزل هزيمة كبيرة بالتتار بعد سنة ونصف من سقوط الخلافة. كما كان للعلماء دور بارز في تحريك المسلمين لفتح القسطنطينية وبيان حديث الرسول ﷺ في منزلة من يفتح القسطنطينية «**وَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**» ولقد حاول سلاطين آل عثمان فتحها مراراً وتكراراً لينالوا شرفاً عظيماً بشر به الرسول الكريم ﷺ، وكان آخر هؤلاء السلطان مراد الثاني الذي حاصرها (٥٤) يومًا ولم يتمكن من فتحها، وكان العالم الكبير آق شمس الدين (محمد حمزة) هو شيخ السلطان محمد الفاتح ومعلمه، وكان يبث فيه البطولة وحب الجهاد ويخبره أنه سيكون فاتح القسطنطينية، فكان لهذه الكلمات ولهذا التوجيه أثر عظيم في نفسية الفاتح حتى قام لهذا الأمر العظيم، وقد تم ذلك بالفعل عام ١٤٥٣م.

إن في الأمة اليوم والحمد لله علماء أتقياء أنقياء، علماء عاملين مخلصين، أخذوا على عاتقهم إنقاذ أمتهم مما تعانيه والسير بها نحو المكانة التي تستحق، عبر العمل الجاد لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وهم في سبيل ذلك يلاحقون ويسجنون ويقتلون وينفون في الأرض، ولكنهم يصبرون على الأذى ويحتسبون الأجر، حتى يأذن الله بنصر قريب يعز به الإسلام وأهله ويذل الشرك والنفاق وأهله، لذا كان على الأمة أن تميز بين علمائها وبين أدعياء العلم فيها، وأن تميز بين من يسعى لنهضتها ورفعتها ومن يسعى لتكريس الذلة والمهانة والتبعية فيها.

أيها الأفاضل من العلماء في بلاد المسلمين كافة:

لقد آن الأوان لأن تقولوا كلمة الحق بعد طول سكوت، وأن تعملوا على إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية الموعودة فتنالوا شرف إقامتها من جديد، فاجعلوا لأنفسكم حظًا ونصيبًا في هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ الأمة، فمن لهذه المهمات العظيمة إن لم تكونوا لها؟! ومن ينقذ الأمة ويمد لها يد العون إن جعلتم أيديكم وراء ظهوركم وشبكتم بين أصابعكم معلنين العجز والتخاذل والنكوص؟! من يجمع الأمة على كلمة سواء؟! من يحيطها بالنصح ويدفع عنها كل متربص خوان؟؟ من يقيل عثراتها ويأخذ بيدها، إن لم تكونوا أنتم فمن؟! وإنه والله لشرف عظيم وثواب جزيل، ووعد من الله بالنصر والتمكين وإظهار الدين ينتظركم، وأنتم له أهل بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. ■

السلطان عبد الحميد الثاني تاريخ مشرف ورجل زمانه

علي القاضي - اليمن

«يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان، يجب أن نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر؛ فلا أمل في المستقبل إلا بهذه الوحدة، ووقتها لم يحن بعد، لكنه سيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين وينهضون نهضة واحدة، ويقومون قومة رجل واحد يحطمون رقبة الكفار» عبد الحميد الثاني.

سوف نستعرض تاريخ رجل تعرض تاريخه المشرف للتزوير والدجل والافتراء؛ حتى يشاهد أبناء أمة الإسلام حجم المؤامرة على تاريخهم وتاريخ خلفائهم العظيم؛ ولهذا فإن المسلمين هم بأمسِّ الحاجة في أيامنا هذه إلى إعادة النظر في تاريخهم المجيد وتنقيته من الشوائب والتزوير الذي أدخله عليه الغرب الكافر وعملاؤه، وأخذ يروِّج لها ويبثها في عقول أبناء الإسلام.

مولده ونشأته:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٢٥٨ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨٤٢م، وهو ابن السلطان عبد المجيد الأول، وتلقى تعليمه بالقصر السلطاني وأتقن من اللغات: الفارسية والعربية، وكذلك درس التاريخ وأحب الأدب، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية، تدرب على استخدام الأسلحة وكان يتقن استخدام السيف، وإصابة الهدف بالمسدس، وكان مهتمًا بالسياسية العالمية، ويتابع الأخبار عن موقع بلاده منها بعناية فائقة ودقة نادرة .

ويعتبر خليفة المسلمين الثاني بعد المائة، والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادس والعشرون من سلاطين آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، وآخر من امتلك سلطة فعلية منهم، وقد استمرت فترة حكمه أكثر من ٣٠ سنة.

توليه الخلافة:

تولى سلطاننا الحكم سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م، والدولة تعجُّ بالفوضى، حيث كانت الدولة في منتهى السوء والاضطراب، سواء في ذلك الأوضاع الداخلية أم الخارجية، فبعد اتفاقية لندن سنة ١٨٤٠م التي وضعت حدًا لأطماع عميل فرنسا محمد علي باشا حاكم مصر، وبعد حرب القرم التي اشتعلت

سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٥٨ وما تمخض عنها من اتفاقات، بعد ذلك ازداد تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية، وفُرض عليها تطبيق بعض القوانين المخالفة للإسلام، أخذ قناصل أوروبا يبثُّون الأفكار المسمومة، وأخذت المدارس التبشيرية توجه طلابها إلى زيادة الشقاق بين رعايا الدولة، فاشتعلت عدد من الفتن الداخلية، وشُنت بعض الحروب الخارجية، وأخذ عملاء بعض الدول الأوروبية من كبار مثقفي وموظفي الدولة يطالبون بتطبيق الدستور المأخوذ من عدد من الدساتير الأوروبية، متأثرين بأفكار الثورة الفرنسية، وأنظمة بعض الدول الأوروبية، مرجعين سبب ضعف الدولة إلى التزام الدولة بتطبيق الأحكام الشرعية، واشرأبَّت نفوس بعض كبار الموظفين وعلى رأسهم رشيد باشا ثم مدحت باشا إلى المسّ بأنظمة الدولة والتطاول على سلاطينها، فتم قتل السلطان عبد العزيز بمؤامرة خبيثة دبرها مدحت باشا، وتم عزل مراد الخامس عن السلطنة بعد ثلاثة أشهر من توليه السلطنة، في هذه الآونة تولى عبد الحميد السلطة، فالمطالبون بتطبيق الدستور كُثر وعلى رأسهم مدحت باشا، فما كان من السلطان إلا أن انحنى للعاصفة وطبق الدستور، ولكنه بعد عام انقضَّ السلطان على الدستور الوضعي فألغاه وأعاد الشريعة الإسلامية لتحكم في أمور الحياة، ثم طارد هؤلاء العملاء وأبعدهم عن مراكز التأثير ونفى زعيمهم مدحت باشا إلى الحجاز حيث مات هناك.

ولكن الدول الأوروبية لم يتركوا السلطان يلتقط أنفاسه، فسرعان ما اشتعلت الحرب الروسية العثمانية بمباركة من بقايا أنصار تطبيق الدستور، وعلى الرغم من عدد الانتصارات الرائعة التي حققها العثمانيون في البلقان وشرق الأناضول؛ إلا أن تكالب أعداء الدولة من الروس وشعوب البلقان النصرانية، وبعض الدول الأوروبية، مكَّنت الروس والثائرين من هزيمة الدولة العثمانية، فاحتلت روسيا مناطق واسعة في البلقان وشرق الدولة مما أدى إلى عقد اتفاقية سان استيفانو المهينة، ولما اطلع السلطان عبد الحميد على بنود الاتفاقية من رئيس مفوضي الدولة العثمانية مزّق هذه المعاهدة، وتم تعديلها في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م. وقد خسرت الدولة العثمانية البلقان بعد هذه الحرب، ووضح للسلطان خسة ونذالة الدول الأوروبية، وسوء نواياها تجاه الدولة، ورغبتها في اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية، تمهيدًا للقضاء عليها، فأخذت النمسا مثلًا البوسنة والهرسك، وأخذت روسيا بعض الأراضي شرق الدولة وفي البلقان، ثم أخذت بريطانيا جزيرة قبرص، وفرنسا تونس سنة ١٨٨١م، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م، وأخذت بريطانيا بعض سواحل الجزيرة العربية فاقتربت كثيرًا من البصرة، وبدأ بعض مشايخ عسير واليمن بتنظيم تمرد على الدولة، وأخذت الدولة تعاني الأمرَّين من كثرة ديونها؛ مما اضطرها إلى منح بعض الامتيازات الاقتصادية لبعض الدول الأوروبية.

أدرك سلطاننا هذه الأخطار، فبدأ بكل همة ونشاط بالقيام بإصلاح الدولة، وبدأ ذلك بإيجاد اللحمة بين رعايا الدولة، فهمَّ بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية؛ ولكنه وللأسف الشديد وجد معارضة شديدة من كبار موظفي الدولة وعلمائها مما أجبره على الإقلاع عن هذه الفكرة، ثم أخذ يتقرب إلى الرعية، فقام بحماية الأكراد من الأخطار التي كانت محدقة بهم من الأرمن، كما بث فكرة احترام الخلافة بين رعايا الدولة وبين الرعايا المسلمين في الكيانات الإسلامية الأخرى، فاعتبرت الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها أن الخلافة حكم شرعي، وأن للخليفة حق الطاعة والنصح في أعناق المسلمين، ثم حثَّ المسلمين على توحيد كلمتهم ورص صفوفهم للوقوف في وجه أطماع الاستعمار الأوروبي. أما الجيش فقد أخذ يعده إعدادًا جيدًا بتدريبه على فنون القتال الحديثة على يد مدربين ألمان، كما جعل الأسطول العثماني ثاني أسطول في العالم بعد الأسطول الإنجليزي. ثم افتتح كثيرًا من المدارس والمعاهد العسكرية وغير العسكرية إدراكا منه لأهمية العلم. أما ديون الدولة فقد رسم خطة للتخلص من هذه الديون التي كانت تكبِّل وتشلُّ إرادة الدولة، ولم تمضِ سوى بضع سنين باعتراف أعدائه إلا وقد سدد ثلاثة أرباع ديون الدولة. وإدراكا منه لأهمية المواصلات في تقدم الدولة والسيطرة على جميع أطرافها، أنشأ شبكة عظيمة من خطوط السكة الحديدية، وما مشروع خط إستانبول- البصرة، ومشروع سكة حديد الحجاز؛ إلا أمثلة رائعة على هذه المشاريع الناجحة. لقد كان رحمه الله يريد ربط إستانبول بصنعاء، فتم في عهده إيصال الخط الحديدي إلى المدينة المنورة، ولكن وللأسف الشديد لم يستخدم هذا الخط إلا بضع سنين؛ إذ سرعان ما خربته بريطانيا وعملاؤها من رجالات ما سمي بالثورة العربية الكبرى، بل ولا زال هذا الخط معطلًا؛ إذ لم يرد الإنجليز وأذنابهم أن يذكر هذا الخط فيما إذا أعيد استخدامه بدولة الخلافة العثمانية.

عزله

وهذا نص الفتوى ذات الوجهين الموقع من قبل شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي، ووافق عليها (مجلس المبعوثان) بالإجماع:

«**سؤال:** إذا قام إمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية، وجمع الكتب المذكورة، والتبذير والإسراف من بيت المال، واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية، وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي، وسائر المظالم الأخرى، ثم أقسم على الرجوع عن غيه، ثم عاد فحنث وأصر على إحداث فتنة ليخلَّ بها وضع المسلمين كافة، فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعًا، فلوحظ أن في بقائه ضررًا محققًا وفي زواله صلاحًا، فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم؟!

الجواب: نعم»

فلا نجد غرابة في قول السلطان عبدالحميد – رحمه الله - في مذكراته «منذ إبعادي عن العرش حتى الآن كتبوا ضدي مجموعة من المقالات وعديد من الكتب، يقطر الدم من قلم أعدائي، فما أكثر ما لم أعمله» لذلك فإن المسلمين هم بأمسِّ الحاجة في أيامنا هذه إلى إعادة النظر في تاريخهم وتنقيته من الشوائب والتزوير الذي أدخله عليه الغرب الكافر وعملاؤه، وأخذ يروِّج له ويبثه في عقول أبناء الإسلام.

مواقف مشرفة

●موقفه من إنشاء كيان يهود:

تعتبر هذه الحادثة التي بلغ فيها السلطان عبد الحميد رضي الله عنه مبلغًا عظيمًا من الوعي والإخلاص، فهي موقفه الرائع من مشروع إنشاء كيان لليهود في فلسطين، وإن من يقرأ تاريخ سلطاننا بتمعن ليدرك كم كان سلطاننا واعيًا! وكم كان سلطاننا مخلصًا! وكم كان سلطاننا أبيًّا! كما إن من يطلع على مؤامرات الدول الكبرى الكافرة وصنائعهم من يهود الدونمة والعملاء من رؤساء جمعيات تركيا الفتاة، والعربية الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي، وجمعية العهد وغيرها، إن من يطلع على كل هذا ليدرك تمام الإدراك خسة ونذالة يهود الدونمة الذين تنكرت لهم جميع دول أوروبا بعد سيطرة الأسبان على الأندلس سنة ١٤٩٢م ولم يجد هؤلاء إلا صدر الدولة العثمانية الحنون وصدر المسلمين الدافئ، والذين تسيرهم آحكام دينهم الذي يقدر حرمة سفك الدماء، ويقدر حق كل إنسان في الحياة. مع كل هذا كان هؤلاء المتنكرون أول من لبَّى نداء دول أوروبا الكافرة التي اضطهدتهم وطردتهم واحتقرتهم، لبوا نداءها بالتآمر على الدولة العثمانية. فهم أول من أنشأ الجمعيات الماسونية وغيرها والتي كان هدفها تحطيم الدولة العثمانية، وقد عرض عليهم نابليون بونابرت إنشاء كيان لهم في فلسطين ولكنهم لم يكونوا مهيئين لتنفيذ عرضه، ثم أخذت الدول الأوروبية تسخرهم وبخاصة بريطانيا وهم لا يتورعون على استخدام جميع الوسائل والأساليب، وبخاصة النذِلة والماكرة منها لتحقيق غرضهم، ومع مرور الزمن تمكن هؤلاء الخبثاء من إقناع عدد من كبار موظفي وضباط الدولة، وبخاصة من درس منهم في الخارج، أقنعوهم بالانضمام لهذه الجمعيات للتآمر على الدولة. فماذا فعلت الدولة تجاههم؟ أخذت الدولة تراقبهم ثم قضت على بعض دعواتهم الفكرية؛ ولكنه لم يكن لدى الدولة أدلة كافية لإدانتهم، ونحن المسلمين لا نعاقب مجرمًا إلا بعد ثبوت إدانته، وظل هؤلاء وأعوانهم وأسيادهم من الكفار الأوروبيين يتآمرون حتى ظهرت دعوة هيرتزل بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وقد دفعته بريطانيا للمطالبة بإنشاء كيان لليهود في فلسطين؛ لأن ذلك يخدم مخططات الإنجليز في السيطرة على المنطقة، وحماية قناة السويس الحيوية لمواصلاتها البحرية، وهدم الدولة العثمانية

في نهاية المطاف، ولم يرضخ السلطان لضغوط بعض متنفذي الدولة العثمانية، ولا لضغوط وليم الثاني إمبراطور ألمانيا، ولا لضغوط بريطانيا، ولم يتمكن هيرتزل من مقابلة السلطان إلا بعد محاولات ثلاث، وأراد السلطان أن يعرف مكنون نفس هيرتزل، فتركه يعرض مشروعه، فرفض السلطان هذا المشروع الذي كان هدفه اقتطاع فلسطين من الدولة العثمانية وإعطائها لليهود، وقد عرض هيرتزل مقابل موافقة السلطان عروضًا مغرية، منها تخلي دول أوروبا عن مساندة الأرمن، وتسديد أغلب ديون الدولة العثمانية، ودعمهم في إنشاء أسطول عثماني قوي، إضافة إلى مبلغ كبير كرشوة للسلطان... فاسمعي أيتها الدنيا ماذا أجاب سلطانُنا بولنسكي صديقَ هيرتزل قائلًا: «**انصح صديقك هيرتزل أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع؛ لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة؛ لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل؛ ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولًا في جثتنا؛ ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة**» ثم يقول رحمه الله في مذكراته أيضًا: «**ومن المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الحالية في الدولة، وهذا يعني من جانب آخر أنه كان علينا أن ننهج اتباع سياسة تهجير خاصة، ولكننا لا نجد آن هجرة اليهود مناسبة لأن غايتنا هي استيطان عناصر تنتمي إلى دين أسلافنا وتقاليدنا؛ حتى يستطيعوا الهيمنة على زمام الأمور في الدولة**».

هذا هو موقف سلطانكم، هذا هو موقف خليفتكم أيها السادة، قارنوا بين موقفه المبدئي النبيل وبين موقف رويبضات هذه الأمة ممن يتسلمون زمام حكم المسلمين عبيدًا ونواطير لأسيادهم المستعمرين، قارنوا بين موقف هذا السلطان التركي بزعمهم وبين موقف من يعتبر نفسه من ذؤابة العرب، وبين من يعتبر نفسه أنه من فلسطين كأزلام السلطة الوطنية الفلسطينية المزعومة. إن هؤلاء العملاء تنازلوا عن فلسطين كل فلسطين لأعدائهم، بل لم يكتفوا بذلك، وإنما جعلوا أنفسهم في خندق الكفار، وأخذوا يطاردون حملة الدعوة والمجاهدين يقتلونهم ويشردونهم ويسلمونهم لأميركا وغيرها من دول الكفر ظانين أن أفعالهم القبيحة تحسن سلوكهم عند أسيادهم؛ ولكنهم عبيد عبيد. فسحقًا لهم، وإنهم لسبَّةُ عارٍ على هذه الأمة، وإننا لنخجل أن يحملوا أسماءنا وينطقوا بلساننا.

ولنعد إلى سلطاننا، فماذا عساه أن يفعل لمقاومة هذا المشروع؟ لقد فعل ما يلي:

١-ضم سنجق القدس لمكتبه مباشرة وعيَّن عليه واليًا يتصل بالسلطان مباشرة؛ وذلك ليحمي القدس وما حولها من العبث، ويحبط إغراءات اليهود وقناصل الدول الكبرى لوالي القدس.

٢-شدد على مراقبة اليهود في فلسطين، ومنع الزوَّار اليهود من رعايا الدول الكافرة من المكوث في فلسطين أكثر من شهر واحد.

٣-جعل أرض فلسطين تتوزع في أربع ولايات عثمانية: قسم يشرف عليه السلطان وهو القدس وما حولها، وقسم ضُمَّ لولاية دمشق، وقسم ثالث ضُمَّ لولاية بيروت، وقسم رابع ضُمَّ لولاية صيدا.

فماذا فعلت الدول الاستعمارية الكافرة؟ ازداد تآمر هذه الدول على الدولة العثمانية، وقررت أن لا بد من عزل السلطان عبد الحميد الذي اعتبر عقبة كأداء يحول دون تحقيق أطماعها في الدولة، وعقدت الدول الكبرى مؤتمرًا برئاسة كامبل باترمان وزير خارجية بريطانيا آنذاك سنة ١٩٠٧م، وقررت اقتسام الدولة العثمانية، وسرعان ما نجحت مؤامرة جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على الحكم في الدولة، وعزلت السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩م، وعينت مكانه أخاه محمد رشاد الذي لم يكن يملك من الحكم إلا اسمه، وسرعان ما اشتعلت الحرب العالمية الأولى ودخلت الدولة هذه الحرب دون أن يكون لها فيها ناقة ولا جمل إلى جانب ألمانيا والنمسا، فتمت هزيمتها، ثم قسمت بين المنتصرين في اتفاقية سايكس -بيكو، واصطنعت بريطانيا مصطفى كمال بطلًا، ومكَّنته من تحقيق انتصارات وهمية، وقد راهنت عليه في القضاء على الخلافة ومحو أي أثر للإسلام في تركيا، والتخلي عن جميع ممتلكات الدولة العثمانية عدا الآناضول، فتم القضاء على الخلافة نهائيًا سنة ١٩٢٤م، وأسست ما سميت بجمهورية تركيا، كجمهورية علمانية تكنُّ بغضًا وحقدًا وكيدًا للإسلام والمسلمين.

●موقفه من المشاركة في الحرب العالمية الأولى

بعد عزله، فقد جاءه أنور باشا وهو أحد أركان حكومة الاتحاد والترقي قبل اشتعال الحرب العالمية الأولى، فنصحه السلطان ألا تشترك الدولة في هذه الحرب، وأبلغه أنه كان طوال حياته يراهن على قيام حرب واسعة بين الدول الأوروبية لتتولى الدول الأوروبية تحطيم نفسها، وتبقى الدولة العثمانية بعيدة عن الحرب، وبذلك تعطى الدولة فسحة من الوقت لالتقاط أنفاسها وتجديد شبابها، ولكن عملاء الإنجليز من رجالات جمعية الاتحاد والترقي أبَوا إلا أن يحطموا الدولة، فتم قضاء الله وكان لهم ما أرادوا.

●موقفه من الانسحاب من إستانبول

بعد أن اتضحت ما ستكون عليه نتائج الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، زاره أيضًا أنور باشا في سجنه، فعلم السلطان أن أركان جمعية الاتحاد والترقي يفكرون في الانسحاب من إستانبول، فأجابه السلطان عبد الحميد قائلًا: بلغ أصحابك الاتحاديين واستحلفهم بالله ألا ينسحبوا من إستانبول، فنحن لسنا أقل شجاعة وإقدامًا وتضحية من قسطنطين الحادي عشر آخر أباطرة البيزنطيين الذي ظل يقاتل حتى خرَّ صريعًا سنة ١٤٥٣م عندما تم

فتح القسطنطينية على أيدي الفاتح رضي الله عنه.

وفاته

بعد موقف سلطاننا النبيلة مواقف عز وأنفة وسؤدد رغم أنه كان سجينًا، فلقد أكرمه الله تعالى بأن اختاره إلى جواره سنة ١٩١٨م قبل أن يريه جيوش الإنجليز وحلفاؤهم وجنود عميلهم مصطفى كمال المذلة، وهي تعيث فسادًا في عاصمة الخلافة أعظم مدن الدنيا.

قالوا في السلطان عبد الحميد رحمه الله:

١-«عبد الحميد الثاني واحد من أعظم الشخصيات المفترى عليها في التاريخ». آت صز «كاتب تركي».

٢- «يرحم الله عبد الحميد، لم يكن في مستواه وزراء ولا أعوان ولا شعب، لقد سبق زمانه، وكان في كفايته ودرايته وسياسته وبعد نظره؛ بحيث استطاع وحده بدهائه وتصرفه مع الدول تأجيل انقراض الدولة ثلث قرن من الزمن، ولو وجد الأعوان الأكفياء والأمة التي تفهم عنه لترك للدولة بناءً من الطراز الأول». سعيد الأفغاني «أستاذ جامعي وكاتب»

٣- «أيها السلطان العظيم: لقد افترينا عليك دون حياء». الدكتور رضا توفيق، أكبر مفكر في حركة الاتحاد والترقي.

٤- «أتعرف يا جمال ما هي مصيبتنا؟ قمنا بالانقلاب ونحن آلة في يد الصهيونية، ولم نكن ندري، كنا أغبياء». أنور (من كبار المتآمرين ضد السلطان عبد الحميد).

٥- «كان السلطان عبد الحميد مثال العفة والوقار، وسيذكره التاريخ بالاحترام والترحم عليه». إسماعيل حامي دانشمند (مؤرخ تركي مشهور).

٦- «كان عفيفًا بكل معنى الكلمة، فلم يكن يمد عينيه إلى عرض أحد، أو مال أحد». رشيد بك (سكرتير في مكتب السلطان وأحد وزراء داخليته).

٧- «كان يؤدي الصلوات في أوقاتها، ويقرأ القرآن كثيرًا، ويرتاد المساجد». الأميرة عائشة.

٨- «لم يكن فاسقًا، ولا ظالمـًا، ولا قابلًا للرشوة). اللورد بيكونسفيلد

٩- «عبد الحميد الثاني مضطهِد «إسرائيل»...إنه عدو إسرائيل». صحافة سلونيك اليهودية

١٠- «لو وُزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر، لرجحهم ذكاءً ودهاءً وسياسةً. وأعظم ما أدهشني ما أعد ما خفي من الوسائل، وأقصى العوامل، كي لا تتفق أوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية». جمال الدين الأفغاني.

١١- «السلطان عبد الحميد، سيد الحكماء، وقدوة الساسة، وقادة الأمم». مصطفى كامل باشا (زعيم مصري)

١٢- «هنيئًا أمير المؤمنين، فإنما نجاتك، للدين الحنيف نجاة». أحمد شوقي

١٣- «في تصوري أن السلطان عبد الحميد الثاني، تعرض لحملة قاسية من النقد، أثارها أولًا الكتَّاب الأوروبيون بدافع الحقد عليه بسبب سياسته الإسلامية، وجاراهم في ذلك

الكتاب العرب الذين كرهوا عبد الحميد مثلما كرهوا فترة الحكم العثماني للبلاد العربية، وبخاصة في المشرق؛ حيث يمكن أن نطلق على عبد الحميد اسم السلطان المفترى عليه». الدكتور محمود صالح منسي (مؤرخ مصري)

١٤- «السلطان الغازي عبد الحميد خان، أمير المؤمنين، خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم، من نفتخر بوجوده، ونرتع في ظلال عهده، لا زال مبتهجًا به الزمان، مسعدًا بطلعته النيران، مزينًا به عرش الخلافة الإسلامية، مفتخرًا بآثار جلالته الأمة العثمانية». إمام الشافعية في الشام.

١٥-«فإذا ذكر التعليم - في عهد عبد الحميد- فلا يسعنا إلا أن نقول الحق، فنعترف أنه رقي فوق ما كان عليه درجات، وأن معظم العثمانيين أصبحوا ولهم نصيب من العلم، ولقد أربى عدد القارئين الكاتبين على عدد الأميين في كثير من الولايات». سليمان البستاني (كاتب شامي).

١٦- «كان عبد الحميد مقتنعًا بأن إعطاء الحرية للأمة، دون سابق إعداد وتربية، من شأنه الإضرار بالأمة، لذلك حث الخطا، وشمر عن ساعديه، لإقامة المؤسسات الثقافية في البلاد». سعدى بوراق (كاتب وسياسي تركي).

١٧- «كان عبد الحميد دبلوماسيًا عظيمًا، كان يعرف جيدًا كيف يمكن أن يستفيد إلى أقصى حد من التنافس الموجود بين الدول الكبرى الراغبة في التوسع والاستعمار، وكان هدفه إبعاد بلاده عن خطر الحرب في شكل المحافظة على علاقاته بالدول الكبرى». سير هنري وودز (مشير بالبحرية العثمانية).

١٨- (إن عبد الحميد مُجد غاية الجِد، إذ يعمل بحيوية وطاقة تفوق جميع من يعمل معه من الوزراء، وهو سياسي من الدرجة الممتازة، فقد أدار البلاد العثمانية المترامية الأطراف، وكانت مشرفة على الزوال إدارة ممتازة، وأخذ بإصلاحها وترقيتها». إليزابيث ورملي ليتمر (كاتبة أميركية).

١٩- «إن أسمى رغائب السلطان عبد الحميد، أن يرى المسلمين في رفعة وسؤدد، مجتمعين حول الخلافة». مصطفى كامل باشا (زعيم مصري).

٢٠- (كان متواضعًا ورزينًا إلى درجة حيرتني شخصيًا، متمسكًا بدينه غاية التمسك، يرعى العلماء و»رجال الدين». إنني أستطيع القول بكل ثقة: إن العثمانيين إذا استمروا بالسير في الطريق الذي رسمه هذا السلطان، فإنهم سيسترجعون مجدهم السابق، وقوتهم السابقة، وسيصلون إلى مستوى الدول الأوروبية في مجال الثقافة والاقتصاد في مدة قصيرة». البروفسور أرمينيوس فامبري (مستشرق مجري).

٢١- «إنها لحقيقة تاريخية اليوم، أن السلطان عبد الحميد لم يكن حاكمًا دمويًا». رشاد أكرم قوجي (مؤرخ تركي).

٢٢- «لقد طيَّر البرق إلينا النبأ المشؤوم الذي فتَّت الأكباد، وألبس القلوب ثوب الحداد، وقد ساد الأسف بمجرد سماعه على العالم

الإسلامي في الهند وسائر الأقطار المعمورة، ومن التألم الناشئ منه تفتت الصدور، ذلك النبأ العظيم الذي ألمَّ بالعالم الإسلامي بأسره؛ نبأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني من عرش الخلافة والسلطنة». صحيفة الوطن (صحيفة هندية).

٢٣- «رغم قواته العسكرية الكبيرة المستعدة للقتال دفاعًا عنه، لم يضع الحرب والقتال نصب عينيه للدفاع عن العرش، ولو كان فعل ذلك، ما كان أحد أبدًا يستطيع خلعه». سير هنري وودز (مشير بالبحرية العثمانية).

٢٤- «قلنا: إن السلطان ظالم، وإن السلطان مجنون. قلنا: لابد من الثورة على السلطان، وصدقنا ما قاله لنا الشيطان، فثرنا، وأيقظنا الفتنة النائمة، ولم تكن أنت يا أعظم سياسيي العصر مجنونًا، بل كنا نحن المجانين، ولم نكن ندري أننا لم نكن مجانين فحسب، بل كنا أنذالًا، أشرارًا، حُرموا الأخلاق الطيبة». الدكتور رضا توفيق (فيلسوف الاتحاد والترقي).

أيها المسلمون، هذا هو تاريخ سلطاننا، وهذا تاريخ دولتنا المشرف، فقد كانت الدولة العثمانية رائعة وهي في أوج قوتها، وهي عظيمة حتى في ضعفها، وبهذا يشهد العدو قبل الصديق.

وصدق الشاعر عندما قال:

وقد بعث الله الخليفة رحمة
إلى الناس إن الله للناس يرحمُ
أقام به الديان أركان دينه
فليست على رغم العدى تتهدمُ
وصاغ النهى منه سوار عدالة
به ازدان من خود الحكومة معصمُ
وكم لأمير المؤمنين مآثر
بهن صنوف الناس تدري وتعلمُ
ويشهد حتى الأجنبي بفضله
فكيف يسيء الظن من هو مسلمُ
سلام على العهد الحميدي إنه
لأسعد عهد في الزمان وأنعمُ

اللهم اجعلنا من الذين يعيدون الخلافة الراشدة التي نستأنف بها الحياة الإسلامية، ونسطر بها صفحات ناصعة البياض، ونطمس بها ما فعله السفهاء والخونة من أبناء جلدتنا الذين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون الله ومن دون المؤمنين؛ ليعود للخلافة بهاءها، وللقدس وإستانبول ومكة المكرمة والمدينة المنوَّرة ودمشق وبغداد وقرطبة وصنعاء... لتعود لها ابتسامتها، وتعلو راية العقاب أبنيتها، وليس ذلك على الله بعزيز. ■

في ذكرى هدم الخلافة

ابو حنيفة - بيت المقدس

أَفي كُلِّ عامٍ لنا مَوعِدُ ... بِهَدمِ الخلافَةِ لا يُحمَدُ؟

وَآذارُ يَشهَدُ في يَومِهِ ... وَشَهرٌ حرامٌ كذا يَشهَدُ.

فَيا أُمَّةً قَوَّضُوا صَرحَها ... أَفيقِي نُهوضًا دَنا المَوعِدُ.

مَلَلنا السُّباتَ الرُّقادَ كما ... مَلَلنا القُعودَ الذي يُقعِدُ.

سَئِمنا اللُّهاثَ وراءَ السَّرا ... بِ ضِغثًا يُخادِعُنا يُبعدُ.

فَما نِلْنَ عِزًّا ولا هَيبَةً ... وَماءُ المنونِ لَنا مَوردُ.

وَحُكَّامُنا عَطَّلوا شَرعَنا ... فَتَبًّت أَيادٍ لَهُم تَعضُدُ.

وَباعوا البِلادَ قِمارًا كَما ... تُباعُ البَخيسَةُ أَو تُزهَدُ.

لَكَم عَنتَروا بالكِفاحِ الذي ... تَوارى بُخارًا كَذا يَصعَدُ!

لَكَم حَمحَموا بِالجهادِ الذي ... تَبَدَّلَ سِلمًا فَما أَرعَدُوا!

لَكَم لَعلَعُوا بِالوَعيدِ الذي ... تَفَرقَعَ هَونًا فما أَزبَدُوا!

لَكَم جَيَّشوا فَيلقًا لِلفِدى ... فما غَبَّروا بَزَّةً تَشهَدُ!

بِلادِي بِلادِي وَيا مَوطِني ... هَديرَ العُروبَةِ قَد أَنشَدُوا.

فَما رُدَّ مِصرٌ ولا مَوطِنٌ ... وَما صُدَّ بَغيٌ وما جَرَّدوا.

فَهَلَّا فَزِعتُمْ إِلى عِزَّةٍ ... نُقيمُ الخِلافَةَ أَو تُفرَدُ؟

وَهلَّا اعتَصَمتُم بِحبلٍ مَتينْ ... وِشاجُ العَقيدَةِ لا يَفسُدُ؟

هَلُمُّوا إِلَينا أَيا إِخوتي ... نَهُدُّ الحُدودَ وَما قَيَّدوا.

هَلُمُّوا نُتَبِّرُ أَضغاثَهُم ... بِسَيفٍ صَليلٍ فَما يُغمَدُ.

هَلُمُّوا نُفَجِّرُ بُركانَنا ... بِنارٍ تُحَرِّقُ ما شَيَّدوا.

هَلُمُّوا نُقَوِّضُ عِلمانَهُم ... بِوحيِ الإِلَهِ بِهِ نَرشُدُ.

فَتَطمِسُ شِمسٌ سُدولَ الظَّلام ... وَجُرمُ الطُّغاةِ عسَى يُوأَدُ.

وَتنزِلُ بالقُدسِ أَرتالُنا ... وَتصفِقُ بَيعَةَ هَدْيٍ يَدُ.

وَنفتَحُ روما بِتكبِيرَةٍ ... نُبوءَةُ صِدقٍ لَنا مَوعِدُ.

وَباريسُ ذَكَّرَني بَابُها ... بَلاطُ الشَّهيدِ هُنا مَرقَدُ.

وَلَندَنُ يا (قَرَزونُ) لَنا ... فَعُدنا وَعَودٌ لَنا أَحمَدُ.

وَرُسْيا سَنثأَرُ من بَطشِها ... وَجيشٌ خَميسٌ لَها نَحشُدُ.

وَواشِنطُنُ الوَكرُ كَم كَم وَكَم ... سَنشفي الصُّدورَ عَسى تَبرُدُ.

فَيا رَبَّنا يا رَؤوفًا بِنا ... فَوَعدُكَ آيٌ وَلا يُجحَدُ.

فَمَكِّن لَنا دِينَنا نُصرَةً ... خِلافَةُ هَدْيٍ بِها السُّؤدُدُ.

أَنَطْنا بِبابِكَ آمالَنا ... فَأَنتَ المؤَمَّلُ والمقصِدُ.■

صلاحية نظام الحكم في الإسلام لكل العصور

محمود عبد الكريم حسن

هذا الموضوع قديمٌ جديد، وفيه أبحاثٌ وتساؤلاتٌ وإجابات، وهو يتعلق بالشريعة ككلّ، ولا يقتصرُ على نظام الحكم. ومِما يقالُ فيه مثلًا: إنَّ شريعةَ الإسلام مرَّ عليها نحو أربعةَ عشر قرنًا، تطوَّرت خلالها المجتمعات ووسائل العيش والعلاقات. فهل ما زالت الأحكامُ التي كانت تصلحُ للناسِ قبل قرونٍ، صالحةً لهم في هذا الزمنِ، وبخاصَّةٍ بعد التطوُّرِ الهائل الذي شهده العالم في الوسائل والمخترعات، وبعدما صار أشبهَ بقريةٍ صغيرةٍ مقارَنةً بما كان عليه قبل عقود، فكيف بما قبل قرون؟. وهل ما زال من المقبولِ أو الممكنِ وجودُ دولةٍ إسلاميةٍ اليوم؟ وهل يوجدُ نظامُ حكمٍ إسلامي، أو اقتصادي، أو اجتماعي، يصلحُ لهذا العصر؟ وإذا كانت الخلافةُ ونظامُها مناسبةً لعصرِ الخلفاء الراشدين ﷺ، فهل هي مناسبةٌ في القرنِ الواحدِ والعشرين؟ ألا يتطوَّرُ الإنسانُ، فيلزمُ تبعًا لذلك أن تتطورَ الشرائعُ التي تُعالجُ أفعالَه؟

والجوابُ عن ذلك أنَّ الإسلامَ هو رسالةُ اللهِ ﷻ إلى الناسِ جميعًا، منذ بعثَ النبيَّ محمدًا ﷺ إلى يومِ القيامة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف،١٥٨]، وقال أيضًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء، ١٠٧]، وما حكم به الإسلام في أيِّ قضية هو الحق والرحمة، وهو الأقوم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء، ٩]؛ لذلك كانت الشريعةُ الإسلاميةُ صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. ولا عجبَ، فهي من عند العليمِ الخبير. ولا يرجِعُ ذلك إلى أي تغييرٍ في أحكامِ الشريعة بسبب زمانٍ أو مكانٍ، وإنما يرجع إلى خصائصَ في خطابِها، الذي جاء يتعلقُ بأفعالِ الإنسانِ لجهة كونه إنسانًا، وليس بالوسائلِ والأشياءِ. وكذلك في أحكامِها

التي كانت المساحةُ الأكبرُ فيها لحكم الإباحة، وهو ما يُوَفِّر سعةً في الخياراتِ للانتفاعِ بالمكتشفاتِ الجديدةِ، وتوظيفِها في ابتكارِ الأساليبِ المناسبةِ للعصر. هاتان الخاصيتان، تعلقُ الخطابِ بأفعالِ الناسِ وليس بالوسائلِ والأشياءِ، ثمَّ سعةُ مساحةِ الإباحةِ في الشريعةِ، تجعلانِها قادرةً على إنباتِ أحكام تعالج الإنسان مهما تطورتِ الوسائلُ، ومهما تعدَّدَت أفعالُ الناسِ وتنوَّعت. وفيما يلي بيانُ ذلك.

أ- تعلق الخطاب الشرعي بالأفعال وإحاطته بها:

وهذا من أهم خصائص الشريعة الإسلامية التي تعطيها صفاتِ الشمول والثبات. وبيان هذه الخاصية من جهتين. الأولى أن الشريعة الإسلامية تحكم على فعل الإنسان وليس على الأشياء التي يستعملها عند القيام بفعله. والثانية أن الإنسان ثابتٌ عبر الأزمنة والأمكنة لا يتغيّر. وبذلك تحيطُ الشريعةِ بكلِّ الأفعالِ التي يمكنُ أنْ تصدرَ عن الإنسان، في كل زمان ومكان. وفيما يلي بيان ذلك وتوثيقه بالأدلة والنصوص الشرعية.

١- الإسلامُ أحكامٌ لأفعالِ الإنسانِ، وليس للوسائلِ المتغيرةِ:

يدلُّ استقراءُ النصوص الشرعية، على أن الشريعةَ جاءت أحكامًا لأفعالِ الناس، ولم تكن أحكامًا للوسائل أو الأدوات المتغيرة بمرور الزمن. وهذا من خصائصها التي تجعلها لا تتأثر بتغيُّر الوسائل أو تطورها. ومهما تعدَّدت أفعالُ الناس، فهي ثابتةُ الأصول، ومهما تنوَّعت فإنها تظل فروعًا لأصول ثابتة هي من خصائصِ الإنسان. وخصائصُ الإنسان لا تتغيرُ بمرور الزمن، ولا تتغير بتطوُّر وسائل العيش. فهي ثابتة تبعًا لثباته. وإنما الذي يتغير في أفعال الإنسان هو أشكالها ومظاهرها. هذه الأشكال والمظاهر هي التي تتأثر بالوسائل والأشياء والأدوات. بتعبيرٍ آخرَ، إنَّ الشريعة الإسلامية جاءت بنظامٍ للإنسان. والإنسان ثابت لا يتغير، لذلك كان طبيعيًا أن الشريعةَ الصالحةَ له في زمانٍ صالحةٌ له في كلِّ زمان.

أما ثباتُ الإنسانِ، فطريقةُ تكوُّنِه ثابتةٌ عبر العصور، يكون جنينًا ويولد وينمو، وله أثناء كل ذلك حاجاته، ثم يكبر وتكتمل خصائصه الإنسانية، التي هي حاجاته العضوية وغرائزه وإدراكه العقلي، ويسعى إلى إشباع حاجاته المادية والمعنوية، ثم يموت. ولو ذهبنا ندرس واقعه بالتفصيل، لوجدناه هو هو في أي زمان أو مكان. في كيفية وجوده في الحياة، وفي حاجاته للعيش، وطاقاته للبقاء، وفي خصائصه الجسمية والنفسية والفكرية. وأفعاله هي هي عبر العصور، لا تنقص ولا تزداد. وأفعال الناس متشابهةٌ رغم أنها كثيرة ولا تُحصر، لأن حاجاتِهم ودوافعَهم وغاياتِهم راجعةٌ إلى خصائصهم الإنسانية الثابتة. وهذه الأفعال بمنزلةِ أصولٍ تتفرَّعُ عنها أفعالٌ كثيرة، تتعدَّدُ وتتنوَّعُ، ولكنَّها فروعٌ لتلك الأصولِ ومن جنسِها، وليست طارئةً على الإنسان أو ناشئةً

عنده بعد أن لم تكن. فالعبادة مثلًا، فعلٌ يقوم به الإنسان، وواقعه معروف. ولكنه يتفرع عنه ما لا يُحصى من أفعال، من ذلك عبادةُ الله ﷻ، وعبادةُ الأوثان، أو عبادةُ المستكبرين... وهذه العبادات فيها ما لا يُحصى من الأعمالِ والمظاهرِ، كالصلاة والحج، والتفكّرِ والنصح، والإحسانِ بأنواعه... وفيها البدعُ بأنواعِها، وأنواعٌ من الزهدِ والرهبنة، وعباداتِ الكفارِ وما إلى ذلك من مخترعات لا تُحصى. ولا يسعنا أكثر من ذكر أمثلة هي بمثابة قطرة من بحر. ولكنَّها كلَّها ترجعُ إلى فعلٍ واحد هو العبادة. وكلُّها أفعالٌ يقوم بها الناس في كلِّ عصر، بدوافعَ من خصائصِهم الإنسانيةِ الثابتة، ولا علاقة للوسائل المتطوِّرة والمخترعات الناشئة بها. ومثل ذلك فعلُ القتل مثلًا وفعلُ القتال، فقد يكون بالسيف أو بالبندقية، أو بالصاروخ أو غير ذلك، فتتعدد الأفعال بتطور الوسائل، ولكن يظلُّ الفعل هو نفسَه. ومثلُه فعلُ السفرِ مثلًا، تتطورُ وسائله وتختلف، والسفرُ هو هو.

وهكذا تتعدد الأفعال وتتنوَّع بتنوُّعِ أساليبها وتطوُّر وسائلها، تبعًا لتجدُّدِ الأشياءِ والمخترعات، ولكنَّ أصلَها واحد، والقيامُ به مقدورٌ للإنسانِ، وهو من خصائصِه منذ خلقه الله ﷻ، وسيظلُّ كذلك إلى يوم القيامة. ولا يوجد فعل يقوم به الإنسان في عصرنا لم يكن أصلُه موجودًا من قبل. ولن يمتلك خصائص لم تكن لديه. فقد كان عاجزًا عن الخلق وما زال، وكان عاجزًا عن الطيران بجسمه وسيظل كذلك، وكان وسيظل لا يحيا بغير ماءٍ وهواءٍ وغذاء. وكان وسيظلُّ يحبُّ الشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران،١٤]، وهذا هو معنى أنَّ الإنسان ثابت ولا يتطوَّر، وأن الإنسان في هذا القرنِ، هو نفسُه الإنسانُ زمن نزول الإسلام وعبر العصور.

ولذلك، عرّفَ الأئمَّة الحكم الشرعي بأنه «خطابُ الشارع المتعلِّقُ بأفعال المكلَّفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع»، أو «بأفعال العباد». ولا خلاف في هذا، أي في تعلقه بالأفعال، وليس بالأشياء أو الوسائل. فالحكمُ الشرعي هو حكمٌ على فعلٍ وليس على شيءٍ. والنصوصُ التي جاءت ناصَّةً على أحكامٍ لِأشياء، المرادُ بها أفعالُ الناس المتعلقةُ بتلك الأشياء، كقولِه ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة، ٣]، وقولِه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء، ٢٣]. فالتحريم في الآية الأولى، وإن نصَّ على أشياء، إنَّما المرادُ به أكلُ هذه الاشياءِ، أو الانتفاعُ بها. والآية الثانية، نصَّت على تحريمِ الأمهاتِ والأخوات... والمرادُ بذلك تحريمُ أفعالٍ معينةٍ. وعلى ذلك فإنَّ الشريعةَ الإسلامية نصَّت على أحكامِ أفعال

العباد، ونظَّمتِ العلاقاتِ على أساسِ هذه الأفعالِ الثابتةِ عَبرَ الأزمنةِ والأمكنةِ.

أما الأشياءُ التي تُكتشفُ وتُخترعُ، وتستجدُّ في حياة الناس، وسائر ما خلقَ اللهُ في السمواتِ والأرضِ مما يمكنُ أن تتعلقَ به أفعالُ العبادِ، فقد جاءت الشريعةُ لها بحكمٍ عامٍ جعلها مسخَّرةً للإنسان، فكان الانتفاعُ بها مباحًا إباحةً عامةً وشاملةً، إلا ما استثناه دليلٌ خاصٌّ. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية، ١٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة، ٢٩]، الآية. ومن ذلك استُنْبِطَت القاعدة: «الأصل في الأشياء الإباحة»[1]. وكل أنواع الانتفاع بالمخترعات والعلوم التي تتجدد عبر الزمان يخضع لقاعدة أصل الإباحة. وأما الأفعال المستحدثة، فلا تخرج عن أصولِ الأفعالِ الإنسانيةِ التي أحاطتْ بها الشريعةُ.

٢- إحاطة الشريعة بأفعال العباد:

وباستقراء النصوص الشرعية نجد أنها تأتي - في الغالب - بحكمٍ عامٍ لأصل الفعل؛ بحيث تكون الأفعالُ المتفرعةُ عنه، مهما اختلفت أشكالُها، تابعةً له، وأحكامها مندرجةً تحت حكمِه. فعلى سبيل المثال، جاء الشرع بإباحة البيع، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة، ٢٧٥]. وهذا أصل عام تندرج تحته بيوعٌ لا تُحصى، قديمةٌ وجديدة. فيكون هذا النوع من الأفعال كله محكومًا عليه بالأصل العام وهو الإباحة، ولا يُستثنى منه فعل إلا بحكم آخر، وهكذا تحيط الشريعة بنصوصها المحدودة، بأنواع الأفعال أو أجناسها. وعلى سبيل المثال أيضًا الرخص الشرعية بقصر الصلاة وبالإفطار في السفر، جاءت متعلقةً بفعل العبد الذي هو السفر، وكانت لها شروطُها التي هي شروطُ السفرِ؛ لذلك تتعدد الأسفار ومسافاتها، وتختلف ظروفها ووسائلها، من السفر المرهِق إلى السفر المُرفَّه، ومن الناقة والجمل إلى السيارة والطائرة؛ ولكنها تظل تابعة لجنس السفر، ويظلُّ حكمُ القصرِ والإفطارِ هو هو، مهما تغيرتِ الأسفار أو اختلفت. وذلك لأن حِكمةَ الشارعِ اقتضت أنْ يتعلقَ الحكمُ بالفعلِ، بل بأصله العام الثابتِ. وهكذا، فهذه الرخصُ أحكامٌ ثابتةٌ تتعلق بفعل السفر عبر العصور، ولا تتغير أحكامها. والأمر نفسُه يُقال بالنسبة لفعل القتل مثلًا، مهما اختلفت أشكاله، أو الأدواتُ المستعملة فيه. فلا يُنظر في حكمه إلى كونه بالسيف أو بوسائلَ حديثةٍ، أو إذا

١- محمد صدقي البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ٢، ٢٨٠. لذلك كانت كل أشياء الكون مباحة للانتفاع بها، إلا ما نص عليه دليل بعينه كالميتة والدم والخنزير... أو بصفته كذي المخلب من الطير وذي الناب من السباع... عن ابن عباسﷺ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ". المسند الصحيح، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (٣٤)، باب تحريم أكل كلّ ذي ناب من السباع، وكلّ ذي مخلب من الطير (٣)، الحديث (١٩٣٤)، ٣، ١٥٣٤.

قام به فردٌ أو جماعة. وإنما إلى اندراجه تحت عموم القتل. وهكذا يُقالُ في سائرِ الأحكامِ.

وباستقراءِ أفعالِ العبادِ التي يمكن تصورُ وجودِها، لا نعثرُ على فعلٍ ليس له حكمٌ في الشريعة. ولا يَعرضُ فعلٌ إلا وله في الشريعةِ أصلٌ وحكم، مما يؤكد على شمول الشريعة لكافَّة أفعال العباد. وهذه من المسائل التي لا تخلو منها أمَات كتب أصول الفقه. قال الجويني: «وأما الشافعي فقال: إنَّا نعلم قطعًا أنَّه لا تخلو واقعةٌ عن حكمِ الله تعالى»، وقال: «إنَّ الأئمة السابقين لم يُخْلوا واقعةً على كثرةِ المسائلِ وازدحامِ الأقضيةِ والفتاوى عن حكمٍ لله تعالى»[٢]. ويؤكد إحاطةَ الشريعة بكلّ أفعال العباد قولُه ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة، ٣]، وقولُه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، ٨٩].

ب- سعة مساحةِ الإباحةِ في الشريعةِ الإسلاميةِ[٣]:

وينبني على هذه السعةِ سعةٌ في خيارات التخطيطِ والتنظيم، وفي نُظُمِ الإدارة واستحداثِ المصالحِ والإدارات، عبرَ الانتفاعِ بالمستجدات وتوظيفها بما يواكبُ كلَّ عصر. وهذا يدخل في كل مجالات العلاقات، سواءٌ في ذلك الحكمُ وغيرُه. وتعتمدُ سعة مساحة الإباحة على مصدرين: أ- عموم الأدلة أو النصوص، ب- ما عفا عنه الشارعُ رحمةً بالناس، أو ما يُسَمَّى منطقةَ العفو.

١- عموم الأدلة:

سبق الكلام عن عموم الأدلة أثناء الكلام عن صلاحية الشريعة لكل زمان، والكلامُ الآن عن سعة منطقة الإباحة. وأدلة هذه الإباحة قسمان. الأول: إباحة الفروع المندرجة تحت أدلة عامة في إباحة الفعل. والثاني: إباحة الفروع المندرجة تحت أدلة عامة في طلب الفعل[٤].

أما الأدلة العامة في إباحة الفعل فهي النصوص التي جاءت دالةً على الإباحة، وعمومها يعني إباحة كل ما تشمله أو يندرج تحتها. فهذه الأدلة أصل في التخيير، والتخيير بيْن أمور يعني قابلية التغيير باختيار أيٍّ من هذه الأمور، حسبما تقتضي المصالح والظروف. كقولِه تعالى: ﴿وَأَحَلَّ

٢- الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، المنصورة، دار الوفاء، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢، ٧٢٣، فقرة ١١٣٣.

٣- هذه المساحة وقواعدها، هي التي تبيّن مجال المتغيرات وتضبطها ضمن إطار الشريعة السمحة.

٤- عُرِّف الحكم الشرعي بأنه خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلَّفين أو (العباد)، بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع. أما التخيير فهو الإباحة، وأما الاقتضاء فهو طلب الفعل وطلب الترك، وينقسم كلٌ منهما إلى طلبٍ جازمٍ وطلبٍ غير جازمٍ، فطلب الفعل الجازم هو الفرضُ أو الواجبُ، وطلبُ الفعلِ غيرُ الجازمِ هو المندوبُ، وطلبُ التركِ الجازمُ هو الحرامُ أو المحظورُ، وطلبُ التركِ غيرُ الجازمِ هو المكروه.

ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة، ٢٧٥] وقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف، ٣١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك، ١٥]. أمّا الآية الأولى فقد تقدّم القول إن هذا أصلٌ عامٌ بإباحة البيع، فينطبقُ على كلِّ أنواع البيعِ، وعلى كلِّ ما يمكن إن يُباع، بناءً قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم، فيشمل البيعَ بالتقسيط وبالدين، وبالنقود ومقايضةً، وبين الأفراد وبين الدول، ويشمل بيع الأشياءِ المعهودةِ زمنَ نزول النص، ويشمل غيرها مما يستجدّ مع الزمن من أجهزة أو أدوات وأسلحة. هذا هو المرادُ بعموم أدلة الإباحة، فهي في البيع تنطبق على كل فعلٍ يُطلَق عليه لفظ «بيع». والقاعدة الأصولية تنصُّ على أنَّ «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[٥]. وتشمل كل شيءٍ يمكن بيعه، ما لم يُحرِّمْه نصٌّ بعينِه أو صفتِه. ومثل ذلك ما جاء في الآية الثانية. فقد جاء النص عامًا في إباحة التزيُّن عند كل مسجد، وإباحة الأكل والشرب، فهذه نصوص عامة تبيح أصل الزينة وأصل الأكل والشرب، وبعد ذلك يصبح كل فعل يشمله اللفظ (زينة، أكل، شرب) مباحًا، وكل ما يقع عليه الفعل، أي كل ما يُتزيَّن به وكل ما يؤكل ويشرب مباحًا، إلا الفعل الذي يستثنيه دليلٌ. ومثل ذلك ما جاء في الآية الثالثة، فامشوا في مناكبها، وكلوا من رزقه. فهو عام في الضرب في الأرض، وفي طلبِ الرزقِ والمعرفةِ، وشتى ضروب المنافع[٦].

وأما الأدلة العامة في طلب الفعل، فهي أن يأتي دليلُ الأصلِ عامًا، ولكن ليس في إباحة الفعل وإنما في طلبه. وهذا الطلبُ يكون إما على سبيل الوجوب وإمّا على سبيل الندبِ. وتبعًا لذلك، يكون الفعلُ إما واجبًا وإما مندوبًا، ويكون كلُّ ما يخدم تحقيقه أو يؤدي إليه مباحًا، أي من الوسائل المباحة في سبيل تحقيق المطلوبِ. كقوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة، ٢]، وقوله: ﴿قَٰتِلُواْ﴾[التوبة، ٢٩]، وقوله: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [البقرة، ١٩١]، وقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال، ٦٠]. فالأمر بالتعاون على البر والتقوى في الآية الأولى جاء عامًا ينطبق على كلِّ ما يُعدُّ شرعًا من البرِّ أو التقوى. وجاء عامًا أيضًا لجهة كيفيةِ التعاون وليس فقط موضوعِ التعاون. فهذه الكيفيات أساليب تتغيرُ مع الزمن. وسواءٌ أكان هذا الأمر على سبيل الوجوب أم الندب،

٥- ينظر: محمد صدقي البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ١٢، ٨٧.

٦ - قوله ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، أي ذللها لكم لتنتفعوا بها، وهذا إباحة لكل منفعة فيها إلا ما يُستثنى بدليل.

فإن كيفيات تنفيذه على الإباحة، يتم الاختيار فيها بما يناسب الظروف. فقد يكون التعاون في مساعدة فقراء، أو في طبابة، أو في إنشاء مدارس وجامعات، أو جمعيات تقوم بذلك، أو في الإصلاح بين الناس، أو غير ذلك. ومثل ذلك يُقال عن النصوص الأخرى التي تأمرُ بالقتال، وبقتلِ الكفار المعتدين، وبالإعداد. فقد جاءت توجبُ أصلَ الإعداد، وأصلَ القتالِ. ولكنَّها لم تُحدِّدْ كيفيةً بعينِها لتنفيذِ ذلك. وإنما جاءت عامةً. فيكون تحقيقُ الأصلِ المطلوبِ هو الغاية، ويكونُ اختيار كيفيةٍ يتحقق بها المطلوبُ من بين عدة كيفيات أسلوبًا مباحًا. وبما أن الكيفياتِ تتغير وتتطور تبعًا لتغيُّر الوسائل والمخترعات، ولِما تُبْدِعُه العقول والخبرات، فيكون كلُّ ذلك مباحًا يتمُّ الاختيارُ فيه بحسبِ المصالح والإمكانات.

٢- منطقةُ العفوِ:

منطقةُ العفو وعموم الأدلة متشابهتان، لأن الحكمَ فيهما الإباحة؛ ولكنْ، تختلف الإباحة عن العفو بأنها من قبيلِ التخفيف أو التجاوز. أي أن الذي فيه رضىً لله ﷻ فيه مشقة وضيق، فخفّف الله ﷻ عن الناس بهذا العفو، أي بإباحة ما كان يمكن أن يكون حرامًا، أو أن يكون واجبًا. وفي هذا توسعةٌ على المكلفين ومزيدُ خيارات لهم. كما في الحديث عن أبي ثعلبة الخشنيﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**»[٧]. فهو يقول: إنه ﷻ «**فَرَضَ فَرَائِضَ**» و«**وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ**»، فيكون معنى «**وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ**» أنَّه لم يُلحقْها بأيٍّ من القسمين. وبيّن في الحديث أنَّ هذا السكوتَ رحمةٌ للناس، فدلَّ على أنَّه ليس سكوتًا عن بيان الحكم. وإنَّما هو تخفيفٌ في التكليف، بإباحة ما كان يمكن أن يكون واجبًا، أو أن يكون حرامًا. فهذا فيه مراعاةٌ، وتوسعةٌ لدائرةِ المُباح، وبالتالي لدائرة الخيارات.

وتدلُّ على المعنى نفسِه النصوصُ التي جاءت تنهى عن الاستفصالِ في مواضعَ معينةٍ، وتأمرُ بالاكتفاءِ بالتكاليفِ الموجودةِ، وتنهى عن السؤالِ عن أشياءَ ليس فيها تكليفٌ. أي أنها

٧- ينظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (-٧٩٥هـ/١٣٩٣م)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١، ٢، ١٥٠، الحديث (٣٠)، وقال: ''حديث حسنٌ رواه الدارَقطني وغيره''. وينظر: نبيل سعد الدين سليم جرار، الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الحديث (٥٣٨٩)، ٦، ١٢٧. وفي الموضع نفسه رواية للطبراني بلفظ: ''إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَسَنَّ لَكُمْ سُنَنًا فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَشْيَاءَ فَلَا تَعْتَدوهَا، وَتَرَكَ بَيْنَ ذَلِكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ، رَحْمَةً مِنْهُ فَاقْبَلُوهَا وَلَا تبْحَثُوا عَنْهَا''.

مباحة، وقد يؤدي السؤالُ عنها إلى جوابٍ يرفعُ الإباحة، وهذا فيه كُلفةٌ ومشقةٌ. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة، ١٠١-١٠٢]. ومن هذا القبيل أمرُ موسى لقومه أنْ يذبحوا بقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة، ٦٧]. فلفظ «بقرة» مطلق، ولو ذبحوا أيَّ بقرة لأجزأهم، ولكنهم استفصلوا بشأنها، فجاءهم الجواب مُضيّقًا عليهم، ثم تابعوا في الاستفصال، فازداد التضييق عليهم، بأنْ وجب عليهم ما كان معفُوًّا عنه، وضاقت الخيارات ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة، ٧١]. ومنه أيضًا: عن أبي هريرة ﷺ قال: «**خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[٨].

ومنه أيضًا قول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**»[٩]. وفي مسند أحمد بلفظ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا رَجُلًا سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ وَنَقَّرَ عَنْهُ حَتَّى أُنْزِلَ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ تَحْرِيمٌ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**»[١٠].

جـ - صلاحية نظام الحكم في الإسلام لهذا العصر:

بناءً على ما سبق، فإن التشكيك بصلاحية الإسلام لهذا العصر هو طرحٌ قائمٌ على جهل وليس على علم. لأن أحكام الإسلام تعالجُ أفعالَ الإنسانِ بوصفِه إنسانًا وليس بأيِّ وصفٍ آخر. وقد جاءت أحكامُه شاملةً لكلِّ أفعاله، وعامةً لكل أشكالِها أو مظاهرِها، مهما تطورت وسائل العيش والعلاقات، سواءٌ في نظام الحكم أو سائرِ أحكام الشريعة.

٨- مسلم، **المسند الصحيح**، كتاب الحج (١٥)، باب فرض الحج مرة في العمر (٧٣)، الحديث (١٣٣٧)، ٢، ٩٧٥. والسائل كما في غير هذه الرواية هو الأقرع بن حابس.

٩- متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦)، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه (٣)، الحديث (٧٢٨٩)، ٩، ٩٥. ومسلم، **المسند الصحيح**، كتاب الفضائل (٤٣)، باب توقيره ﷺ (٣٧)، الحديث (٢٣٥٨)، ٤، ١٨٣١، واللفظ لمسلم.

١٠- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (-٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أو **المسند**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الحديث (١٥٢٠)، ٣، ١٠٥.

ولو أخذنا بعضَ الأحكامِ العامةِ كوجوبِ الخلافةِ أو الحكم بالإسلام مثالًا على ذلك، لوجدنا أنها ليست مما شأنُه التغيُّرُ بتغيُّر الزمان أو المكان. فوجوب نصبِ الخليفة حكمٌ ليس فيه ما يتغير، فهو رئاسةٌ للمسلمين، ولا دخل فيه لوسيلة أو شيءٍ يتطور. ولو نظرنا إلى شروطِ المرشحِ للخلافة، كالإسلامِ أو العدالةِ أو الذكورةِ، لما وجدنا في ذلك أيَّ شيءٍ مما يتغيَّر. والأمر نفسُه نجدُه في منصبِ القضاءِ وشروطِ القاضي، وفي كلِّ أحكامِ العقوبات والبيِّنات والشهود وشروطهم. وهكذا الحالُ في سائرِ الأحكامِ الشرعيةِ.

وإن استقراء هذا الأمرِ في شريعةِ الإسلام وأحكامِه، يدفع إلى ملاحظة هذه الخاصية، ويُنبِّه إلى أن مثاليّة التشريع والشريعة هي في هذا الثبات وليس في الحاجة إلى تغيير الشرائع. وذلك لأنَّ الإنسان ثابتٌ، وإذا ما أُضيف إلى ذلك إحاطةُ الشريعة الإسلامية بأفعاله، فإنه لا يبقى ثمَّ شكٌ أنها شريعةٌ مُعْجِزة. أمّا وصْمُ هذا الثباتِ بالجمود والعجز، ووصفُ تغيير الشرائع بأنه تقدُّمٌ وتطوُّرٌ، فهو لا يقوم على أدلةٍ أو وقائع، وإنّما على أوهامٍ وأخلاط. وما التغييرُ والتبديلُ في الشرائعِ إلا نتيجةَ فشل وتخبط، يؤيدُ ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه، ١٢٤]. وما هذا الشقاءُ الذي يتَقَلَّبُ العالمُ على أشواكِه، ويتلظَّى في سعيرِه إلا دليلًا على ذلك.

وإن ما في الشريعة الإسلامية من عمومِ نصوصٍ وأحكام، ومن إحاطةٍ بأفعال العباد، إضافةً إلى أصل إباحة الأشياء، يجعلُها رحبةٌ في اتساعِها لأحكامِ المستجدات، وفي الاستجابةِ لمقتضياتِ العصر، ورعاية شؤون الناس كافة في كل زمانٍ ومكان. وهو مما يدل عليه قوله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، ٨٩]؛ ولذلك كان طبيعيًا جدًا أنَّ يحْكُمَ أميرُ المؤمنين عمر ﷺ دولةً مترامية الأطراف، ولا يعرف حكمُه غيرَ الإسلامِ نظامًا. وكان طبيعيًا أيضًا أن يُطوِّر الإدارة، فيستحدث الدواوين ويُنشئ المصالح، تحت رقابةِ رجالٍ صحابةٍ، متأهبين للأخذ على يدِ أيِّ حاكمٍ يحاول الخروج عن أحكام الشريعة، وتقويمِه إذا اعوجَّ. وهذا يدل على أن هذا التطوير والإنشاء هو مما جاءت الشريعة بأصوله، ومما يقتضيه تحقيق مقاصد الشرع والشارع.

وعلى ذلك فالشريعة الإسلامية صالحةٌ لهذا العصرِ، ولكل العصور. ونظامُ الحكمِ الإسلامي صالحٌ ولا ريب، لهذا العصر ولكل عصر. ولا يوجدُ أيُّ سببٍ لشكٍّ في هذا الأمر.■

الخلافة الحقيقية على منهاج النبوة... قاب قوسين أو أدنى

عصام عميرة - بيت المقدس

نحن في العام الهجري ١٤٤٠، وبذلك يكون قد مضى على هدم خلافتنا الإسلامية العثمانية ٩٨ سنة عجافًا، لم يذق المسلمون خلال هذا القرن العصيب من قرون الأمة الإسلامية طعم الأمن والاستقرار بكل ما تعني الكلمة من معنى. بل إنهم ومنذ ذلك الحين قد أُشبعوا قتلًا وتشريدًا وتمزيقًا وفقرًا وجهلًا ومرضًا وخرابًا في المساكن وفسادًا في المعاملات والذمم، وضياعًا للثروات، وقهرًا استعماريًا لم يسبق له مثيل في تاريخهم، وصاروا في ذيل الأمم بعد أن اقتعدوا ذرى المجد والصدارة قرونًا قبل ذلك كثيراً.

وقد يظن البعض أن الأمد قد طال، وأن عودة الخلافة راشدةً ثانيةً على منهاج النبوة قد أصبح بعيد المنال، نظرًا لشدة تكالب دول الكفر على المسلمين، وضياع كثير من المفاهيم الإسلامية الأصيلة من أذهانهم وأذهان علمائهم، وغير ذلك من المعطيات والمؤشرات التي تشي باستحالة إقامة الخلافة الحقيقية من جديد، ما يبعث اليأس في نفوس كثير من المسلمين، ويجعلهم يتعايشون مع الواقع الرأسمالي المفروض عليهم، ويعتبرونه قدَرهم وخيارهم الوحيد في هذه الحياة الدنيا، من حيث يدرون أو لا يدرون.

وفي هذا الوضع المزري يأتي قول الله عز وجل ليبعث الأمل في النفوس، وينعى على الذين ركنوا إلى الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وغفلوا عن آيات الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾

ومن جهة أخرى، يتحدث القرآن الكريم مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات المخصوصات المعهودات المحددات والمفضيات

إلى الاستخلاف والتمكين والأمن، قائلًا لهم عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. ويطمئنهم سبحانه وتعالى بقرب تحقيق وعد ربهم قائلًا لهم وهو أصدق القائلين: ﴿...أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾. والتعبير القرآني عن القرب الزماني والمكاني يتجلى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾.

وللقاب عند المفسرين ثلاثة معانٍ:[1]

١. قاب: بمعنى (قدْر) وهو مذهب أكثر المفسرين.

٢. قاب: أي المسافة ما بين مقبض القوس وما بين سيتها وهو طرفي القوس. فيكون للقوس الواحد قابان وسيتان.

٣. قاب بمعنى صدر القوس حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه. وعلى ذلك يكون للقوس قاب واحد.

ولعل من المناسب والمفيد في الوقت نفسه أن نتعرض لجملة من النقاط البارزة ذات الصلة بهذا الموضوع؛ ليكون المسلمون على بينة من أمرهم فيه، ولتُبعث فيهم الهمم للاصطفاف مع العاملين، وليصبح العمل لإقامة الخلافة رأيًا عامًا كاسحًا لديهم، ويكون هذا الرأي العام منبثقًا عن وعي عام عميق ومتميز على فكرة الخلافة، وما يتعلق بها من أفكار ومفاهيم شرعية وسياسية، كي يشكل ذلك كله طوفانًا يجتاح مفاهيم الكفر وأدوات تثبيته في بلاد المسلمين، ويقتلع نفوذهم، وتعود المياه الإسلامية إلى مجاريها، ويسترجع المسلمون عزهم وكرامتهم.

وهذه النقاط هي:

١. شرح كلمة قاب لغة وشرعًا.

٢. تعريف الخلافة الحقيقية، وبيان موجز للخلافة المزيفة والمزعومة والمهدية.

٣. الداعي للشعور الأكيد بأن الخلافة الحقيقية قريبة وقاب قوسين أو أدنى.

٤. الثمن الباهظ الذي يدفعه المسلمون في ظل غياب الخلافة الحقيقية.

٥. واجب المسلمين اليوم تجاه الخلافة الحقيقية القادمة.

٦. الفرصة التاريخية والأجر الكبير للعاملين لها.

أولًا: شرح كلمة قاب لغة وشرعًا

أما لغة: فكلمة قاب [مفرد]، ومعناها: قدر، مقدار ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾، كناية عن القرب. وقاب القوس: ما بين المقبض وطرف القوس ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾. والقوس في لغة أهل الحجاز هو ذراع يستعمل

١- https://vb.tafsir.net/tafsir40086/ موقع ملتقى أهل التفسير على الانترنت

لذرع المسافات. ويمكن أن يشم من ذلك أنه مشتق من (قاس) ومنه القوس كمصدر للفعل قاس. على زنة قال قولًا ليكون قاس قوسًا. وقد تذرع العرب برمية سهم. فلا يبعد أن يذرعوا بالقوس. والقوس مقدار ذراع عند العرب.[٢]

وأما شرعًا: قال ابن كثير: وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ أي: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مدا. قاله مجاهد، وقتادة: وقد قيل: إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها. وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه.[٣]

ومقام الآية مقام بيان للقرب والدنو والتدلي، وجميع ذلك من مقولة المسافة والقياس والذرع، فناسب أن يكون المراد بيان مسافة القرب بما في معهود العرب من وحدات القياس.[٤]

وفي ذلك إشارة إلى قرب نصر المؤمنين مهما طالت فترة الابتلاء والاختبار والتمحيص، بما أنه آت لا محالة، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [سورة الروم: ٤٧]، ﴿...أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]. وجاء في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي: أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: «**كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَلا بَعُدَ لِمَا هُوَ آتٍ، لا يَعْجَلُ اللَّهُ لِعَجَلَةِ أَحَدٍ، وَلا يَخَفْ لأَمْرِ النَّاسِ، مَا شَاءَ اللَّهُ لا مَا شَاءَ النَّاسُ، يُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، لا مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا أَبْعَدَ اللَّهُ، وَلا يَكُونُ شَيْءٌ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ**»، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ، بِبَغْدَادَ، أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أنا مَعْمَرٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ مَوْقُوفًا مُرْسَلا، فَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.[٥]

فالنصر آت لا محالة، وإقامة الخلافة وعد ربنا وبشرى نبينا فلا محالة كائنة، ولا يبقى أمام العاملين الجادين والهادفين لإقامة الخلافة الحقيقية الثانية الراشدة على منهاج النبوة إلا استمرار العمل مع الصبر.

ثانيًا: تعريف الخلافة الحقيقية، وبيان موجز للخلافة المزيفة والمزعومة والمهدية

٢- لسان العرب

٣- تفسير ابن كثير

٤- (https://vb.tafsir.net/tafsir40086/ موقع ملتقى أهل التفسير على الانترنت)

٥- كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وقال حديث مرفوع، ووقفه وإرساله عن ابن مسعود يفيد بأنه سمعه من النبي ﷺ.

أما **الخلافة الحقيقية:** فهي رئاسة عامة طوعية بالبيعة الانعقادية والانقيادية للمسلمين جميعًا في الدنيا لإقامة أحكام الشرع، وهي دولة تمثل الإسلام.

وأما **الخلافة المزيفة:** فهي رئاسة جزئية قسرية لفئة من الناس لا يقام فيها شرع الله كاملًا، كما هي الحال في دويلات الضرار القائمة في العالم الإسلامي، والتنظيمات التي قد تسيطر على رقعة من الأرض إسلامية كانت أم غير إسلامية. ومثال ذلك حماس في غزة وتنظيم الدولة في العراق والشام، وجناحا السلطة في ليبيا. وهي كيانات لا تمثل الإسلام، وهي جزء لا يتجزأ من مرحلة الملك الجبرية. وقد سمعنا عن **خلافة مزعومة** مختفية في العالم الافتراضي، ينادي بها أدعياء لا يؤبه بهم. وأما **المهدي المنتظر**، فمسألة لا علاقة لها اليوم بالعمل للخلافة، كون المطلوب لها هو الانتظار وليس العمل.

ثالثًا: الداعي للشعور الأكيد بأن الخلافة الحقيقية قريبة وقاب قوسين أو أدنى:

١. وجود عاملين لها على منهاج الذين عملوا للدولة الإسلامية الأولى، وهم شباب حزب التحرير الذين يعملون بأقصى السرعة وأقصى الطاقة منذ أكثر من ستة عقود وبإصرار فريد لإحياء فكرة الخلافة في نفوس المسلمين، وحشدهم للعمل معه لإقامتها في أسرع وقت ممكن، مستنصرًا بأهل القوة والمنعة من الجيوش وغيرها من مراكز القوى في الأمة الإسلامية لمساندته في إتمام هذا العمل الشرعي الجليل، ووجد هذا استجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ...﴾،

٢. انقضاء عهود المسلمين من النبوة إلى الخلافة الراشدة الأولى على المنهاج، ثم إلى الملك العاض، ثم إلى الملك الجبرية التي نحن فيها نعاني الويلات والأزمات. ويصدق هذا ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا قعودًا في المسجدِ وكان بشيرُ رجلًا يكفُّ حديثَه، فجاء أبو ثعلبةَ الخشنيُّ فقال: يا بشيرَ بنَ سعدٍ، أتحفظُ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ في الأمراءِ. فقال حذيفةُ: أنا أحفظُ خطبتَه، فجلس أبو ثعلبةَ، فقال حذيفةُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ. ثُمَّ سَكَتَ»**. أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وخلاصة حكم المحدث: رجاله ثقات، وقد روي بطرق مختلفة صحيحة عند غيره. ومن لطيف ما يروى في هذا الحديث ما قالَه حبيبٌ[٦]: فلمَّا قامَ

٦- الراوي: حذيفة بن اليمان

عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وَكانَ يزيدُ بنُ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ في صحابتِهِ، فَكَتب إليهِ بِهَذا الحديثِ أذَكِّرُ إيَّاهُ، فَقلتُ إنِّي لأَرجو أن تَكونَ أميرَ المؤمنينَ، يعني عمرَ، بعدَ الملكِ العاضِّ والجبريَّةِ، فأُدْخِلَ كتابي على عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فسُرَّ بِهِ وأعجبَهُ. ولكنه رحمه الله لم يكن يعلم بهدم الخلافة وظهور الملك الجبرية الحقيقة المتوحشة، وأنه

المحدث: العراقي
المصدر: محجة القرب، وهذا الحديث رواه أحمد (٢٧٣/٤): ثنا سليمان بن داود الطيالسي: ثنا داود بن إبراهيم الواسطي: ثنا حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به، ومن طريق أحمد رواه الحافظ العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (٢/١٧) وقال: «هذا حديث صحيح، وإبراهيم بن داود الواسطي وثقه أبو داود الطيالسي وابن حبان، وباقي رجاله محتج بهم في الصحيح – يعني: صحيح مسلم، لكن حبيبا هذا قال البخاري: فيه نظر. وقال ابن عدي: ليس في متون أحاديثه حديث منكر، بل قد اضطُرب في أسانيد ما يروي عنه». وحبيب بن سالم الأنصاري كاتب النعمان بن بشير، صدوق حسن الحديث، وقد وثقه أبو حاتم وأبو داود وابن حبان، فحديثه حسن على أقل الأحوال إن شاء الله تعالى، وقد قال فيه الحافظ: «لا بأس به». والحديث في «مسند الطيالسي» (رقم ٤٣٨): حدثنا داود الواسطي – وكان ثقة – قال: سمعت حبيب بن سالم به. لكن وقع في متنه سقط فيستدرك من «مسند أحمد». وقال الهيثمي في «المجمع» (١٨٩/٥): « رواه أحمد والبزار(١٥٨ أتم منه والطبراني ببعضه في (الأوسط)، ورجاله ثقات».

ستقام بإذن الله الخلافة الحقيقية الراشدة الثانية على منهاج النبوة قاب قوسين أو أدنى.

٣. إقرار معظم المسلمين بوحشية الحكام ملوك الطوائف وفساد تدبير دويلات الضرار الوطنية في رعايتهم.

٤. استنفار الكفار جميعًا ضد عودة الخلافة الحقيقية، واتخاذهم جميع السبل لمنع إقامتها، ومن ذلك صناعة الخلافة المزيفة.

٥. خلافات القوى العظمى حول مصالحهم في العالم وخصوصًا في سوريا، ينذر بحروب بينهم تفسح المجال لبروز قوى الخلافة الحقيقية، كما حصل مع الروم والفرس زمن النبي ﷺ.

٦. الثقة التامة بوعد الله وبشرى رسول الله ﷺ بقرب إقامتها.

رابعًا: الثمن الباهظ الذي يدفعه المسلمون في ظل غياب الخلافة الحقيقية.

يحتاج هذا البند صفحات وربما مجلدات لحصره، وقد لا نستطيع، لأن زلزال هدم الخلافة قد أطاح بكبرياء الأمة ونظامها السياسي، وفقدت بسببه مفقودات كثيرة في عددها وكبيرة في حجمها. لقد فقدنا أشياء ثمينة جدًا، وعليه فإننا سننشد مفقودنا بكل ما أوتينا من وسائل وأساليب متاحة ومباحة، وسيؤذن مؤذنونا في كل مكان - كما أذن مؤذن يوسف عليه السلام - صارخين: أيها الحكام، أيها الملوك والرؤساء والأمراء، أيها الأعوان

الأشرار، إنكم لسارقون! وسنعلن للملأ أنهم هم المسؤولون عن مفقوداتنا كافة. وعندما يُقبل الناس علينا سائلين عن مفقوداتنا، ويقولون لنا: ماذا تفقدون؟ فإنا سنجيبهم بكل ثقة ووضوح وجرأة قائلين: إنه ومنذ أن نصّب علينا أولئكم الحكام، بعد أن تآمر آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم من الخونة مع الإنجليز والفرنسيين ثم مع الأميركيين، على هدم الخلافة العثمانية قبل نيف وتسعين عامًا،

فإننا فقدنا بزوالها مفقودات كثيرة وكبيرة وثمينة. ولما فحصنا بعضًا من أهم تلكم المفقودات، وجدنا أن خسارتنا جراء ذلك الزلزال الرهيب فادحة جدًا، وتفوق الوصف. وأن على المسلمين اليوم أن يتعرفوا على تلكم المفقودات كي يوطنوا أنفسهم للعمل لاستردادها مع العاملين المخلصين الجادين والهادفين لإقامة دولة خلافة المسلمين الثانية الراشدة على منهاج النبوة، والمحافظة عليها محافظة تامة كيلا نفقدها تارة أخرى.

- لقد **فقدنا** رضا الله عز وجل، هذا الرضا الذي لا يتحقق إلا من خلال التطبيق الكامل والشامل للكتاب والسنة، وإقامة الدين، وإيجاد الحياة الإسلامية في الدولة والمجتمع، وحمل الدعوة إلى العالمين.
- و**فقدنا** الإمام الجنة (الخليفة) الذي لا تكون البيعة في أعناق المسلمين إلا له؛ لقوله ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، ولنا أن نتخيل الإثم الذي حل بالمسلمين أجيالًا متعاقبة منذ هدم الخلافة حتى يومنا هذا، وبعدها تراكمت علينا النكبات وكثرت المفقودات وكبرت وأصبحت ككرة الثلج تتعاظم كلما تدحرجت.
- و**فقدنا** الأمن والسلامة؛ فأصبحنا خائفين، ومسَّنا الضر، وصارت بضاعتنا مزجاة.
- و**فقدنا** العلم والتعليم والتفكير الجدي مما حرمنا من النهضة ومواكبة التقدم العلمي، ومنعنا من إيجاد شخصيات إسلامية، وعمَّنا الجهل وشاعت الأمية في خير أمة أخرجت للناس.
- و**فقدنا** القوة والجهاد والرباط والجبهات الحقيقية والثغور، مما ترتب عليه ضعفنا وهزائمنا المتلاحقة.
- و**فقدنا** الثروة مما أورثنا الفقر.
- و**فقدنا** التنوير وسبيل الرشاد مما جعلنا نتيه في دياجير الظلمات.
- و**فقدنا** العزة والشرف والكرامة مما جعلنا كمًّا مهملًا لا يعبأ بنا أحد.
- و**فقدنا** السيادة واستقلالية القرار السياسي مما جعلنا مستسلمين لأعدائنا، وصرنا نهبًا للطامعين.
- و**فقدنا** العدل مما أوقعنا في الظلم والقهر، وصار بأسنا بيننا شديدًا.
- و**فقدنا** الأمانة والإخلاص مما زاد من الخونة والسرّاق فينا وتولى أمرنا شرارنا.

- و**فقدنا** الأخلاق الحميدة والقيم الرفيعة مما أتاح المجال للفساد وسوء الأخلاق أن يسودا.
- و**فقدنا** الأراضي الشاسعة والبيوت الآمنة التي طرد أهلها منها وصارت أعداد اللاجئين والمهاجرين والنازحين بالملايين.
- و**فقدنا** مقدسات كثيرة عاث المحتلون فيها فسادًا ودنسوها.
- و**فقدنا** الجماعة والاتفاق ووحدة البلاد والعباد مما جعل بلاد المسلمين مقسمة إلى مزق ودويلات وكيانات لا تذب عن وجهها أي ذباب سياسي.
- **وفقدنا... وفقدنا... وفقدنا...** ونزيد أمتنا الإسلامية الكريمة من الشعر بيتا، بأنه يؤسفنا أن نُعلِمكم أن الذي بقي في أيدينا بعد أن **فقدنا** كل ما تقدم يعتبر زهيدًا لا قيمة له.

إن المكافأة التي رصدها المؤذن الأول لمن يأتيه بصواع الملك هي حمل بعير من البضاعة الرائجة في عصرهم، ولكن الله سبحانه وتعالى قد رصد مكافأة أعظم للذين يعملون لاسترداد مفقودات أمتنا المنكوبة اليوم، إنها الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وشتان ما بين الوعدين. وهذا ما وعد به رسول الله ﷺ نقباء قبائل الأوس والخزرج بعد أن بايعوه على نصرة الدين، جوابًا على سؤالهم: وما لنا إن وفينا؟ فقال: الجنة. فقالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل. ومن أجل جعل هذه اللحظات المباركة تعود مرة أخرى، ندعو أصحاب القوة والمنعة والمؤثرين من أبناء المسلمين أن يضعوا إمكانياتهم تحت تصرف العاملين المخلصين لإقامة الخلافة، وأن لا يتوانوا لحظة واحدة عن البدء بإجراءات فورية لخلع حكام دويلات الضرار القائمة في العالم الإسلامي، وإقامة دولة الخلافة التي توحد بلاد المسلمين وشعوبهم، وتعيد مفقوداتهم، ثم تحمل الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم أجمع، عن طريق الجهاد في سبيل الله لتخرجهم من الظلمات إلى النور. وهذا وعد من الله ورسوله، وفرض مؤكد على جميع المسلمين، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

خامسًا: واجب المسلمين اليوم تجاه الخلافة الحقيقية القادمة، والأجر الكبير للعاملين لها. أما واجبهم فيتلخص في وجوب العمل مع العاملين لإقامتها، والفرض هنا فرض عين على كل مكلف فيهم ذكرًا كان أم أنثى، مدنيًا كان أم عسكريًا، مسؤولًا أم غير مسؤول، طالما علم أن الحكم بما أنزل الله غير مطبق وهو فرض، وأن الخلافة هي التي تطبقه؛ فصار العمل لإيجادها فرضًا عملًا بالقاعدة الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب). وأورد هنا ما كُتب في **كلمة مجلة الوعي – العدد ٨٣، لشهر شوال ١٤١٤هـ، الموافق آذار ١٩٩٤م، وأقتبسها كما هي لأهميتها لجميع المسلمين،**

وصلتها الوثيقة والمباشرة بما نحن بصدده في هذا المقال:

«العمل لإقامة الخلافة الإسلامية فرض عين، بأقصى طاقة، وبأقصى سرعة

العمل لإقامة الدولة الإسلامية التي تحكم بما أنزل الله هو في الأصل فرض على الكفاية، ولكن بما أن الكفاية غير حاصلة بعمل الذين يعملون، فإن الواجب يتوسع حتى يعمَّ كل مسلم. وهذا هو شأن كل فرض من فروض الكفاية.

والدليل على فرْضية العمل لإقامة الدولة الإسلامية هو دليل قطعي في ثبوته ودلالته، ولذلك فإن منكرَه كافر، أما من يقرُّ به ويقصّر في العمل فإنه عاصٍ لله ورسوله. هذا الدليل هو النصوص التي جاءت تأمر بالتزام شريعة الإسلام والاحتكام إليها، وتنهى عن الاحتكام إلى غيرها. مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾... إلى غير ذلك من نصوص كثيرة، فالقسم الأكبر من أحكام الشريعة يتعطل من دون وجود دولة إسلامية، والأمة مسؤولة عن ذلك.

أما أن هذا العمل يجب أن يكون من كل مسلم بأقصى طاقته، فهذا أيضًا قطعي الثبوت قطعي الدلالة، منكره كافر، والمقصّر فيه عاصٍ لله ورسوله. والدليل مأخوذ من النصوص التي جاءت تحتّم هذا المعنى. مثل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فحين يقول سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فهذا يعني أنه يكلفها وسعها، والوُسْعُ هو أقصى الطاقة وليسى أدنى الطاقة أو أوسطها. وكذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، أي بقدر كل استطاعتكم وليس بقدر نصفها أو ثلاثة أرباعها. وحين يرى المسلم المنكرات حوله عامّة وطامّة فهو مأمور بتغييرها بقدر استطاعته وليس بجزءٍ من استطاعته، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**». وعبارة «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**» تدل على أنه إذا استعمل أقصى استطاعته ولم يستطع.

وهنا يقع خطأ من بعضهم في الفهم فيخلط بين العمل لإقامة الدولة الإسلامية وبين إقامتها مباشرة، فيقول: نحن لا نستطيع إسقاط النظام القائم لنقيم دولة الخلافة مكانه، وبما أننا لا نستطيع فنحن غير مكلفين بذلك؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها. وهذا الكلام ناتج إمّا عن جهل، وإمّا عن خبث وتضليل. ولتبديد هذا الخطأ نقول: إذا كانت الجماعة التي تعمل

لإقامة الخلافة تستطيع إقامتها فورًا فلا يجوز لها الإبطاء، وإذا كانت لا تستطيع ذلك فورًا فإن عليها أن تعمل وتهيئ وتزيد من قوتها لإنجاز هذا العمل ولو بعد حين. فالذي لا يستطيع إنجاز الفرض فورًا يجب عليه أن يعمل بأقصى طاقته لإنجازه حين يستطيع.

ثم لماذا نقول: لا نستطيع؟ فهذا الأمر ليس مطلوبًا من شخص واحد فقط، وليس مطلوبًا من حزب واحد فقط، وليس مطلوبًا من جماعة واحدة أو من قطر واحد فقط، إنه مطلوب شرعًا من كل الأمة الإسلامية عربًا وغير عرب، وهو الآن فرض عين على كل مسلم. فهل الأمة الإسلامية فعلًا عاجزة؟ أو أنها متخاذلة ومقصّرة وعاصية جرّاء تأثير الثقافة الغربية، وجراء تأثير فتاوى علماء السلاطين المنافقين؟

وحين نقول بأن المسلم يجب عليه الآن وجوبًا عينيًا أن يعمل لإقامة الدولة الإسلامية بأقصى طاقته، فهذا يعني أن عليه أن يترك كثيرًا من الأعمال المباحة، وكثيرًا من الأعمال المندوبة إذا كانت تشغله عن القيام بهذه الفريضة. فالمسلم عليه أن يعمل لكسب عيشه وعيش من يعول، وهذا فرض عين عليه، وحمل الدعوة لإقامة الخلافة فرض عين عليه (الآن)، فأي هذين الفرضين يقدم على الآخر؟ والشرع يطلب من المسلم أن يقوم بكل الفروض، ولكن حين تتزاحم هذه الفروض بحيث إذا قام ببعضها لا يبقى لديه متسع للقيام بالفروض الأخرى، ففي مثل هذه الحال فإن الشرع نفسه هو الذي يقرر أي الفروض يقدم، وأيها يؤخّر. فالمسألة مسألة شرعية وليست مسألة هوى ومزاج. وأهل العلم والاجتهاد هم القديرون على فهم الأولويات. وفي المسألة التي ذكرناها فإن العمل لكسب العيش مقدم على العمل لإقامة الخلافة عند التزاحم. ولكن كسب العيش الذي يقدم على العمل في حمل الدعوة للخلافة هو كسب الضروريات، وليس كسب الكماليات. فإذا كان المسلم يعمل ويكسب الضروريات، فلا يجوز له بعد ذلك أن يعمل عملًا إضافيًا لكسب الكماليات، إذا كان هذا العمل يؤخره عن حمل الدعوة لإقامة الخلافة.

وفي الغالب فإن الأعمال لا تمنع المسلم من القيام بحمل الدعوة، فما دام يعمل بين الناس فهو يستطيع أن يحمل لهم الدعوة أثناء عمله. وليس من الأعذار الشرعية أن يقول المسلم: أنا لا أستطيع العمل لإقامة الخلافة لأن هذا يعرضني للطرد من وظيفتي، أو يعرضني للسجن؛ لأن الوظيفة التي توقعه في المعصية لا يجوز أن يستمر فيها. فكما أنه لا يجوز للمسلم أن يكسب من الخمر أو الربا أو الرشوة أو الغش، فكذلك لا يجوز له أن يكسب من تأييده لنظام الكفر أو سكوته على نظام الكفر.

وأما العمل لإقامة الخلافة بأقصى سرعة، فإن هذا أيضاً قطعي الثبوت قطعي الدلالة، ذلك أن الأحكام الشرعية التي أنزلها الله تصبح

مطلوبة التنفيذ منذ تبليغها، وحين نزل حكم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، تحوّل المصلون حين بلغهم الأمر فوراً وهم في الصلاة. فالأصل في تنفيذ الأحكام أنها على الفور، وليس على التراخي، إلا إذا دل الدليل على ذلك.

فحين يقول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾، أو يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾، أو يقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...**»، فكل هذا مطلوب فورًا. وكذلك النصوص التي جاءت متعلقة بعمل الدولة من إقامة الحدود، والقضاء بين الناس، وحمل الدعوة للعالم بالجهاد، وحماية الثغور، وتنفيذ أحكام الشرع على الرعية، كلها مطلوبة فورًا. أضف إلى ذلك أن المسلمين لا يجوز أن يظلوا فوق ثلاثة أيام بدون خليفة يطبق الشرع، والرسول ﷺ يقول: «**... وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». ولذلك ليس هناك من عذر لمن يقول مثلًا: (أنا سأعمل لإقامة الدولة الإسلامية، لكن ليس الآن، بل بعد أن أتخرج من الجامعة). أو يقول: (بعد إنهاء المشروع الذي أنا فيه)، أو ما شاكل ذلك، لأن العمل عند الاستطاعة واجب فورًا، وتركه هو معصية. ومن أهم الأعمال لإقامة الخلافة شرح هذا المفهوم للمسلمين وتفهيمهم إياه حتى يصبح من البدهيات المعلومة من الدين بالضرورة، ومع شرحه للمسلمين وتفهيمهم إياه، لا بدّ من شحن نفوسهم بالمشاعر الإسلامية التي تدفع للعمل والصبر والتضحية. ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.» انتهى المقال

سادسًا: الفرصة التاريخية والأجر الكبير للعاملين لها

وأما بالنسبة لأجر العاملين لإقامة الخلافة الحقيقية الثانية الراشدة على منهاج النبوة، فهو عظيم وكبير، بل هو أعظم وأكبر من أجر الصحابة الكرام الذين عملوا مع النبي ﷺ لإقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، وذلك لتشابه العملين، ونص الحديث الذي أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، ونصه:

سَألتُ أبا ثَعلبةَ الخُشَنيَّ قُلتُ: كيفَ تَصنعُ في هذِهِ الآيةِ قالَ: أيُّ آيةٍ قلتُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ فقالَ لي: أما واللَّهِ لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «**بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَأَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، صَبْرٌ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ**

كَأَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ».[٧]

وكذلك الحديث الذي أخرجه الشوكاني في الفتح الرباني وقال: صحيح ثابت: «**مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ هَوًى مُتَّبَعًا، وَشُحًّا مُطَاعًا، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، أَجْرُ الْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ بَعْلًا**»، قيلَ يا رسولَ اللهِ، منَّا أو ممَّن بعدَنا. قال: «**مِنْكُمْ**».

وجاء في فتح الباري لابن حجر لفظ: «**تَأْتِي أَيَّامٌ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ**»، قيلَ مِنهم أو منَّا يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «**بَلْ مِنْكُم**». وكذلك أخرجه في صحيح الجامع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانُ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا مِنْكُمْ**». وقال في شرح الحديث: أَخْبَرَنا النَّبيُّ ﷺ بما سيكونُ من قِلَّةِ الدِّينِ في آخِرِ الزَّمانِ كما أَخْبَرَنا بأَجْرِ المتَمَسِّكِ بدِينِه في هذه الأَزْمانِ حثًّا لنا على الصَّبْرِ مع رَجاءِ الأَجْرِ من اللهِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ**» أَيْ: قُدَّامَكُم مِنَ الأَزْمانِ الآتيَةِ، أو خَلْفَكم من الأُمورِ الهاويَةِ «**زَمانَ صَبْرٍ**» أَيْ: أيامًا لا طَريقَ لكم فيها إلَّا الصَّبْرُ، أو أيَّامًا يُحمَدُ فيها الصَّبْرُ والمُرادُ بالزَّمانِ: هو الذي يَغلِبُ فيه الفِتَنُ، وتَضعُفُ شَوْكَةُ المسلِمينَ، «**لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ**»، أي: لِمَنْ صَبَرَ على التَّمسُّكِ بدِينِه واعْتَصَمَ به، «**أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا مِنْكُمْ**» يَتَضاعَفُ له أجْرُه بأَجْرِ خَمْسينَ من شُهَداءِ الصَّحابَةِ، وهذا مِنْ عِظَمِ بَلاءِ هذا الزَّمانِ الذي يَجِدُ المسلِمُ المسْتَمْسِكُ بدِينِه كالقابِضِ على جَمْرةٍ من نارٍ...

وأختم هذا المقال بترغيب زائد للمسلمين في العمل لإقامة الخلافة، وفي الوقت نفسه أحذرهم من أن الفرصة التي أتيحت لهم في هذا الزمان هي فرصة تاريخية لن تتكرر بعد إقامتها القريبة إن شاء الله، وذلك لأن النبي ﷺ قد سكت بعد أن قال: «**...ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**»، وسكوته لا يعني أن الخلافة الثانية ستهدم ثم تبنى ثالثة أو رابعة... ولا يسكت النبي ﷺ في معرض البيان، ولا ينسب لساكت قول.

فإلى العمل مع العاملين أيها المسلمون هبوا، وللإطاحة بالطواغيت حكام دويلات الضرار فبادروا، ولا تدخروا وسعًا في إنجاز هذا العمل الجليل، والفرض العظيم الذي به تقام جميع الفروض، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.■

٧- حديث صحيح، وأخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه باختلاف يسير.

بشر هذه الأمة بالرفعة، والسنا، والتمكين في الأرض

حمد طبيب - بيت المقدس

ينظر البعض من أبناء المسلمين هذه الأيام في أحوال المسلمين، وما وصلوا إليه من تأخر وضعف وذل وهوان، وما وصل إليه حكامهم من تبعية وعمالة، وجريٍ وراء الدول الكافرة جري العبيد الأذلاء... وينظرون في المقابل إلى دول الكفر، وقوتها وسطوتها، وجبروتها وتقدمها العلمي في كل المجالات... فيصيبهم اليأس والقنوط. اليأس من تغيّر الحال نحو الرفعة والسموّ، ومن التحرر والانعتاق من ربقة العبودية للدول الكافرة، واليأس من الوحدة، وعودة الأمة المسلمة دولة واحدة؛ كما كانت في ظل حاكم واحد، ورايةٍ واحدة، وجيشٍ واحد...

إن هذا الصنف من المسلمين المهزومين داخليًا، المضبوعين بهالة الكفر وجبروته، اليائسين من حالة الأمة وما وصلت إليه... هذا الصنف، لم ينظر إلى الحقيقة من جميع جوانبها، ولم يعرف حجم الحرب التي أُعلنت على أمة الإسلام منذ مائتي عام وحتى اليوم، ولم يدرك أن هذه الحرب، بكافة أشكالها الفكرية والمعنوية والنفسية، والعسكرية والتضليلية، وفي كل المجالات، لم تستطع أن تطمس فكر هذه الأمة (عقيدتها وشريعتها)، ولم تستطع أن تبعد الأمة عنها رغم قسوة الحرب وشدّتها وضراوتها... ولم يدرك كذلك أن أمة أخرى لو مورس عليها معشار ما مورس على أمة الإسلام من ألوان الحرب لزالت عن الوجود كأمة، ولزال فكرها، ولأصبحت أثرًا بعدة عين!!

فما هي مقومات الرفعة والشموخ والصمود والثبات لهذه الأمة العظيمة الكريمة؟ وكيف وقفت أمام كل هذه العواصف العاتية والتحديات؟ وهل ستعود هذه الأمة مرة أخرى كما كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ تتبوأ مقعد الصدارة والريادة والقيادة في الأرض، تحمل رايتها عالية خفاقة كما كانت تحملها، وتنشر دينها وفكرها بين الشعوب كما كانت تصنع من قبل؟ هل ستعود هذه الأمة العظيمة السامية مرة أخرى، في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، وفي ظلّ حكام أتقياء، وعلماء أجلاّء يخافون الله عز وجلّ، ولا يخشون فيه لومه لائم؟؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة؛ سنقف عند بعض الحقائق المتعلقة بهذه الأمة، وفكرها وتاريخها وواقعها، وواقع الكفر ومبادئه ودوله؛ لنصل إلى الحقيقة الساطعة، وهي أن بشارة

رسول الله ﷺ بالرفعة والسنا والتمكين عائدة لا محالة، وأن الكفر ودوله ومبادئه إلى زوال واندثار وانهدام.

الحقيقة الأولى: تميُّز هذه الأمة عن غيرها من أمم وشعوب في فكرها، وحفظ الله تعالى لها.

الحقيقة الثانية: تميز هذه الأمة بنهوضها من كبواتها؛ عبر تاريخها الطويل.

الحقيقة الثالثة: ارتقاء الأمة اليوم وصمودها والتفافها حول المخلصين من أبنائها، رغم شدة الحرب وقسوتها.

الحقيقة الرابعة: واقع الكفر، وواقع دوله ومبادئه، وما وصل إليه من انحدار، وواقع نظرة الشعوب في الأرض إلى مخلّصٍ لها من الشقاء والانحدار، والتردي والانحطاط الحيواني.

أما ما يتعلق **(بالحقيقة الأولى)**؛ وهي تميز هذه الأمة عن غيرها، فإن هذه الأمة هي صاحبة رسالة سماوية سامية صحيحة تتصل بخالق الكون، وقد تكفَّل الله عز وجل بحفظ الأمة ودينها من الاندثار والزوال، قال تعالى بشأن دينها ورسالتها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي؛ أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا؛ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعضا**» رواه الإمام مسلم.

وهذا بعكس اليهود والنصارى حيث أضاعوا دينهم، واختلفوا وتفرقوا وكانوا شيعًا وفرقًا متعددة؛ تختلف في صلب عقيدتها؛ كاختلافها في حقيقة المسيح عليه السلام، وكاختلافها في الربوبية، وحقيقة الخالق جل جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

إنه برغم كل ما لاقته هذه الأمة، عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان، بقيت محافظة على دينها بحفظ الله عز وجل، وبقيت أمةً واحدةً لم تتفرّق كما حصل مع غيرها. فرغم الحروب الصليبية المتكررة وحروب الاستعمار، وحروب التبشير الفكرية... لم تترك هذه الأمة

دينها، وبقيت تتمسك به، وظلت عقيدتها نقية صافية، علمًا أن هناك حضارات كثيرة، على وجه الأرض، أصابها أقل مما أصاب أمة الإسلام، وزالت عن الوجود نهائيًا، وأصبحت أثرًا بعد عين؛ مثل الفراعنة والرومان واليونان وغيرهم... وهذا كله بفضل من الله تعالى ورعايته.

وأما (الحقيقة الثانية)؛ (وهي مدار حديثنا في هذا الموضوع): فهي نهوض هذه الأمة أكثر من مرة من كبواتها عبر تاريخها الطويل؛ وذلك بفضل الله تعالى أولًا، ثم بفضل القادة العظام، والعلماء الأجلّاء الأتقياء؛ الملازمين لهؤلاء القادة، ومواقفهم النبيلة، وهممهم العالية في تحريك الأمة ضد الكفر والكافرين، وفي دفع الأمة للالتفاف حول القادة المخلصين الأفذاذ من أبنائها. وسنتحدث عن ثلاث مراحل من تاريخ المسلمين، انتكست فيها الأمة انتكاسة شديدة لدرجة أنها غُزيت في عقر دارها من الكافرين، وأذاقوها ألوان العذاب والقتل والتشريد والاستعباد؛ حتى مَنَّ الله عز وجل عليها بقادة عظام، وعلماء أفذاذ أنقذوها من هذا الواقع البئيس... وهنا سنتحدث عن (مرحلة الغزو الصليبي) في ظل الخلافة العباسية، وما اعتراها من تعدد الممالك، والتحالفات والخيانات من بعض الممالك مع الصليبيين، ومرحلة (الغزو التتاري المغولي)، وما سبقه من وهن وتشرذم وخيانات الحكام، وعن مرحلة الغزو الصليبي فيما يسمى بـ (حروب الاسترداد في بلاد الأندلس) في ظل ممالك الطوائف، وما واكبها من فرقة وتمزق وتناحر، في الشمال الأفريقي (بوابة الفتح للأندلس)، وداخل بلاد الأندلس نفسها، من مؤامرات وتحالفات مع الصليبيين ضد إخوانهم من ملوك الطوائف.

والحقيقة أن المراحل الثلاث؛ تشترك في الحالة نفسها التي سبقت الغزو الخارجي الكافر، مع اختلاف بسيط في الأماكن والأشخاص والقوى الخارجية الغازية؛ حيث ساد، في المراحل الثلاث، الاقتتال والتمزق والفرقة والتنافس على حطام الدنيا وبهارجها وزينتها، ومخالفة بعض الحكام لأحكام الله عز وجل في اختيار الحاكم، وولاية العهد للأقارب والأبناء، وفي تعدد الحكام، وفي ترك فريضة الجهاد في سبيل الله عز وجل، وترك العدل بين الناس، وإثقالهم بالضرائب والإتاوات لمصالح خاصة، أو لدفعها كجزية للنصارى الصليبيين، وانتشر الزنا والخمور والفجور والغواني والجواري في بلاد الأندلس والشمال الأفريقي، كما انتشر اللهو وحب الدنيا في قصور بني العباس في بغداد... وزاد على هذا وذاك ما حصل من بعض الممالك، وخاصة الفاطميين في الشام ومصر وشمال أفريقيا، من تحالفات مع الصليبيين والمغول؛ ضد أبناء دينهم وجلدتهم... لقد بلغ الضعف والهوان مبلغًا عظيمًا، وانشغل المسلمون في جسم الدولة بالحروب الداخلية والنزاعات المتتالية والانقسامات عن جسم الدولة الأم (الخلافة) ما أطمع الصليبيين والمغول على التوالي بحاضرة الإسلام وعرينها.

ذكر (**الحافظ ابن كثير**)؛ في البداية والنهاية في وصف الحالة الإسلامية التي سبقت الغزو الصليبي والمغولي، قال: «... لم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد؛ كما كان بنو أمية؛ فإنه خرجت عن بني العباس بلاد المغرب، وكذلك أُخذت من أيديهم بلاد خراسان، وما وراء النهر، وتداولتها الملوك دولًا بعد دول؛ حتى لم يبقَ مع الخليفة إلا بغداد، وبعض بلاد العراق؛ وذلك لضعف خلافتهم وانشغالهم بالشهوات والملذات وجمع الأموال من أيدي الناس في أكثر الأوقات...». ولم يقف الأمر عند حد الضعف والهوان؛ بل إن بعض الممالك الإسلامية - مثل الدولة الفاطمية، قد تحالف وتعاون مع عبَّاد الصليب، كما ذكرنا، ضد المسلمين، وأخذ يحارب بني دينه وجلدته؛ من جند الخلافة.

ويقول الدكتور **راغب السرجاني** في كتاب «قصة التتار» في وصف الحالة التي وصلت إليها بلاد المسلمين قبل الغزو التتاري: «...إن التتار كانوا يدخلون المدينة؛ يقتلون كل من فيها بدون أي مقاومة، ووصل الهوان أن المسلمين عاونوا التتار على إخوانهم خوفًا منهم، فكان ملخص الوضع في ذلك الوقت انقسامًا شديدًا بين حكام المسلمين، وشعبًا وصل لقمة الضعف والخوار، فحصل اكتساحٌ للتتار لكل أرض المسلمين، دون مقاومة تذكر...».

ويقول الدكتور **سعيد عبد الفتاح عاشور** في كتاب «الحركة الصليبية» عن خيانة بعض الممالك مثل الفاطميين، وتآمرهم على الخلافة، وعلى الممالك الإسلامية الأخرى مع الصليبيين: «... لقد أرسل حاكم مصر الفاطمي سفارة (سفراء) إلى الصليبيين، وهم يحاصرون أنطاكيا، يعرض عليهم عقد تحالف بينهما، وكان ذلك في ربيع الأول/شباط من عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م، بأن يتم التعاون بينهما للقضاء على السلاجقة، على أن يتم تقسيم الغنيمة بعد ذلك بينهما؛ بحيث يكون القسم الشمالي (سوريا) من الشام للصليبيين؛ في حين يحتفظ الفاطميون بالقسم الجنوبي (فلسطين)».

ويقول الدكتور **سفر الحوالي** تحت عنوان: «عوامل نجاح الحروب الصليبية»: (لقد أصبحت دولة السلاجقة ممالك موزعة ممزقة، وكل أمير فيها يحسد أخاه، والإخوة أبناء السلطان الواحد يتقاتلون على الملك؛ حتى بلغ الحال أن أي مدينة من المدن - ولا سيما المدن الكبرى في بلاد الشام أو العراق - أصبحت دولة أو سلطنة: فحلب دولة، ودمشق دولة، والموصل دولة، وطرابلس دولة... وهكذا أصبحت كل منطقة أو مدينة دولة، مع أن بعض السلاطين كانوا أبناء رجل واحد... وكان هؤلاء السلاطين على تحاسد وتباغض وشحناء، وعلى انغماس في الشهوات والملذات، وكانت آثار ذلك كله واضحة عندما قدم الصليبيون).

لقد تهاون غالبية المسلمين في أمر الجهاد في سبيل الله، وركنوا إلى الدنيا، وسكتوا على ظلم الحكام وفرقتهم زمنًا طويلًا؛ فأصابهم ما أصابهم مما ذكرنا، وصدق في المسلمين

وأحوالهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾، وصدق فيهم كذلك حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: **«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»** رواه الإمام أحمد في مسنده.

لهذه الأسباب وغيرها طمع الكفار الصليبيون في بلاد المسلمين، فحصلت الحملات الصليبية واحدة تلو الأخرى؛ وذاقت الأمة مرارة الهزيمة والقتل والتشريد والأسر، واستبيحت مقدساتها، خاصة في بيت المقدس ومدينة القدس، فبقي الأقصى تحت سطوة الصليبيين وتدنيسهم واحدًا وتسعين عامًا، لم تقم فيه صلاة ولم يرفع فيه أذان، واستخدمه عباد الصليب اصطبلًا لخيولهم الغازية. وتبع حملات الصليب بعد فترة من الزمن حملات المغول التي دمرت وخربت معظم حواضر المسلمين؛ ابتداء من بلاد ما وراء النهر وخراسان، مرورًا ببغداد وحلب، وانتهاء ببيت المقدس... وواكب هذا وذاك حروب الصليبيين في الأندلس؛ فيما سمي بحروب الاسترداد؛ حيث أخذت حملات الاسترداد تنزع المدن والحواضر في الأندلس؛ واحدة بعد الأخرى؛ في قرطبة وإشبيلية وبلنسيا وطليطلة، وانتهاء بغرناطة.

فهل بقيت الأمة على حالها وصمتها وذلها وانكسارها ورضاها بالهزيمة؟ وماذا فعل العلماء الأبرار؛ خلال هذه الفترة العصيبة؟ وماذا كان دور المخلصين من قادة هذه الأمة في إعادة الأمة إلى جادة الحق والصواب، وتوحيدها في وجه الغزاة المعتدين، وإعادة العزة والمهابة والقوة إلى أمة الإسلام، وتحرير ما سلب من أرضها وديارها؟؟

إن أمة الإسلام هي كالغيث لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره؛ كما وصفها رسولها الأكرم ﷺ فقال في الحديث: **«مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ»** رواه الإمام الترمذي، وهي أمة الخير والعطاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث قال الحق تعالى في وصفها: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾...﴾ فإذا ما كبت مرة؛ فسرعان ما تعود إلى أصالتها ومعدنها الأصيل. وإذا ما هُزمت في موقعة لملمت جراحها، ووقفت ثانية تُنازل عدوها فتنتصر عليه...

وفعلًا هذا ما حصل بعد كل مرحلة كانت تنتكس فيها الأمة، وقد كان الفضل للمخلصين من القادة الأبرار، والعلماء الأتقياء... فقد تضافرت جهود العلماء الأتقياء الأجلاء، والقادة الأبرار العظام؛ في نهضة الأمة من كبوتها؛ عبر

التاريخ في كل مرة... وقد تركّز دور العلماء - خاصة - على أمور عدة منها:

١- **تقدم صفوف الأمة الإسلامية لإحياء فريضة الجهاد.**

٢- **النصح للحكام، ومحاسبتهم على تقصيرهم، وحثهم واستنهاض هممهم نحو الجهاد.**

٣- **إثارة النخوة في صفوف الأمة عبر الخطب والحركة الاستنهاضية، وإثارة النخوة والحماس الديني.**

٤- **كشف المؤامرات والخيانات التي كانت تحصل من بعض ملوك الطوائف أو الإمارات المشرذمة، في عهد الصليبيين والمغول...**

فقد ذكر المؤرخون المواقف المشرفة لعلماء المسلمين في تقدم صفوف الأمة الإسلامية، في ساحات الجهاد ضد الصليبيين والمغول على السواء؛ أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، والعلماء الأجلاء أمثال ابن قدامة المقدسي، وأبو القاسم الأنصاري، وعز الدين الحنبلي، وابن الجوزي، وابن جعفر اليونيني، وابن شرف الحنبلي، وعبد الله بن ياسين... وغيرهم الكثير.

جاء في «كتاب الروضتين» **لأبي شامة المقدسي،** قال: «...خلال المرحلة الأيوبية، يمكن أن نلتمس ملامح الدور الجهادي للفقهاء والعلماء المشاركين في المقاومة الشعبية في تراجم أعلام الفقهاء والعلماء، مثل الفقيه عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام الحنبلي؛ المتوفى سنة ٥٨٦هـ وأحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٥٢٨هـ والمتوفى سنة ٦٠٧هـ ودوره الجهادي في مقاومة الاحتلال الصليبي؛ في عهد صلاح الدين؛ بحيث كان مسارعًا إلى الخروج في الغزوات، وقلما يتخلف عن غزوة، وقدمت بعض المصادر بعض التفاصيل عن تلك الأنشطة الجهادية؛ حيث ذكرت أنه اشترك في المعارك التي سبقت دخول المسلمين للقدس، وكذلك معارك الساحل الشامي، والشيخ أبو محمد عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني؛ المتوفى سنة ٦١٧هـ وقد قيل عنه إنه لم تفُتْه غزوة من الغزوات بين المسلمين والصليبيين إلا اشترك فيها...».

ذكر المؤرخ **ابن الأثير؛** في كتاب «الكامل في التاريخ»؛ حول تصدي علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لخيانات الحكام، وتحالفاتهم مع الصليبيين قال: «...لقد واصل الفقهاء ورجال الحركة الفكرية تزعمهم لردود الأفعال الشعبية ضد أيِّ تخاذلٍ أو تفريط يلمسونه من جانب زعمائهم السياسيين، مثل معاهدة السلام التي عقدها السلطان الأيوبي الكامل مع الإمبراطور فريدريك الثاني؛ في السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ٦٢٦هـ والتي تقضي بتسليم القدس للصليبيين، واعتبروها كارثة حقيقية، وكان رد فعل العلماء عنيفًا ضد السلطان...».

ومن المواقف المشهورة للعلماء المجاهدين، والتي أثارت النخوة والحمية في نفوس المسلمين للجهاد ضد الغزاة، الخطبة المشهورة لابن الجوزي... وجاء فيها: «أيها

الناس... ما لكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم، وقعدتم عن نصر الله، فلم ينصركم، حسبتم أن العزة للمشرك، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. يا ويحكم! أما يؤلمكم ويشجي نفوسكم؛ مرأى عدو الله وعدوكم؛ يخطر على أرضكم التي سقاها بالدماء آباؤكم، يذلكم ويستعبدكم؛ وأنتم كنتم سادة الدنيا؟! أما يهز نفوسكم وينمي حماستكم مرأى إخوان لكم؛ قد أحاط بهم العدو، وسامهم ألوان الخسف؟!أفتأكلون وتشربون، وتتنعمون بلذائذ الحياة، وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب، ويخوضون النار وينامون على الجمر...؟». أما المجاهد الكبير والعالم التقي عبد الله بن ياسين الذي كان له الفضل في توحيد بلاد المغرب في دولة المرابطين، والتي تولى إمارتها من بعده الأمير التقي الورع أبو بكر بن عمر، ثم القائد العظيم يوسف بن تاشفين، فإن هذه الدولة كان لها فضل كبير؛ في توحيد بلاد المغرب؛ تحت راية الإسلام؛ بعدما كانت على شاكلة بلاد المشرق ممزقة ومتفرقة، يقتل بعض الأمراء البعض الآخر... ثم انطلقت الفتوحات من دولة المرابطين ضد حروب الاسترداد في الأندلس؛ فهزمت الصليبيين شر هزيمة؛ في معركة الزلاقة المشهورة، وحافظت على الأندلس سنوات طويلة؛ من شرور حروب الاسترداد. يقول الدكتور **زين العابدين كامل** تحت عنوان: «تربية الأجيال وصناعة الأمم»: (عبد الله بن ياسين أنموذجًا): «... في صفحات التاريخ المشرقة، نلمح نموذجًا قاد حركة تغيير وإصلاح سجلها له التاريخ، هو عبد الله بن ياسين. ولد في بداية القرن الخامس، وتوفي في جمادى الأولى ٤٥١هـ هو داعية ومجاهد ومُرَبٍّ وفقيه وقائد، من زعماء الإصلاح الإسلامي، جدد الإسلام بأفريقيا، وهو الذي وضع اللبنة الأولى؛ لدولة المرابطين في المغرب الأقصى، ويلقبه البعض بالزعيم الديني لدولة المرابطين، قال عنه الذهبي: «كان عالمـًا قوي النفس، ذا رأي وتدبير»...».

لقد كان لهذه الانطلاقة العلمية الجهادية العظيمة في بلاد المسلمين (في المشرق والمغرب) أثر عظيم في استنهاض همم الأمة الإسلامية؛ تحت شعار محاربة الكفر، والتصدي لهجمته الكافرة على حاضرة العالم الإسلامي ومقدساته، وتخليص المسلمين من الذل والهوان وتبعية الكفر، والعيش تحت سلطانه الذليل... وتقدم هؤلاء العلماء في مقدمة الصفوف في الحركة الجهادية، سواء ما كان منها مع جموع المسلمين، في التصدي للغزاة، أم في الحروب المنظمة تحت راية الأمراء... وكان لكل ذلك الأثر الكبير في انطلاق القادة المخلصين، والتفاف الأمة حولهم في الجهاد والاستشهاد، دفاعًا عن مقدرات الأمة وكرامتها ودينها... فكانت انطلاقة القائد العظيم نور الدين آل زنكي، وقائده صلاح الدين الأيوبي لتحرير الشام ومصر، وتوحيدها في كيان واحد، وتحت راية واحدة، هي راية الإسلام، ونبذ كل أسباب الفرقة التي كانت سببًا في اغتصاب بلاد المسلمين من الصليبيين، ثم هزموا عبَّاد

الصليب في موقعة حطين الفاصلة، وواصلوا الفتح نحو القدس والمسجد الأقصى المبارك؛ في السابع والعشرين من رجب الفرد سنة ٥٨٣هـ. وكانت انطلاقة المجاهد موسى بن نصير، وقائده طارق بن زياد؛ لتوحيد بلاد المغرب، وإخماد ثورات الانفصال عن جسم الدولة، ثم الانطلاق نحو الأندلس... وكانت انطلاقة السلطان العظيم الظاهر بيبرس، وقائده المظفر سيف الدين قطز؛ بالطريقة نفسها في عهد المغول؛ فحرّروا البلاد من رجس المغول، ووثنيتهم وشرورهم الطاغية الكبيرة، وكسروا شوكتهم في معركة عين جالوت الشهيرة، في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ ووحدوا بلاد الإسلام في مصر والشام تحت راية واحدة... فدفع هذا إلى تحول كبير عند المغول؛ فاتبعوا الدين الإسلامي، ورجعوا إلى بلادهم مبشرين بالإسلام... والأمر نفسه حصل في بلاد المغرب والأندلس عندما حصل ما حصل من فرقة وتمزق وحروب بين الطوائف... فجاء العالم الجليل عبد الله بن ياسين؛ وعمل على توحيد بلاد المغرب، وأكمل المشوار القائد العظيم أبو بكر بن عمر، وقائده المظفر يوسف بن تاشفين، فأنقذ أولًا بلاد المغرب من الانهيار والفرقة والتطاحن، ووحدها تحت راية الإسلام، ثم انطلق بن تاشفين إلى الأندلس؛ فأنقذ البلاد والعباد من سطوة النصارى، واعتداءاتهم وإذلالهم لأهل الأندلس، ثم وحد بلاد الأندلس جميعًا مع بلاد المغرب في إمارة المرابطين، والتي بقيت شوكة في حلق النصارى سنوات طويلة وحامية لبلاد الإسلام في الأندلس والمغرب.

إن بلاد المسلمين هذه الأيام تعيش في الظروف نفسها التي عاشها المسلمون في تلك الحقب المظلمة من فرقة وتمزق وتناحر، وتحالف مع الكفار ضد بلاد المسلمين... ضاعت القدس والمسجد الأقصى بيد شر الخلق وأبغضهم إلى الله تعالى يهود... واستبيحت معظم بلاد المسلمين من قبل النصارى الصليبيين الأميركان والأوروبيين والروس... وفرضوا على حكام المسلمين الجزية والإتاوات تدفع بالمليارات في كل عام، وأسسوا القواعد العسكرية في أرض الإسلام يصولون فيها ويجولون، وفرَّقوا بلاد المسلمين إلى أكثر من خمسين مزقة، على كل مزقة منها (تابع ببغاء) يخدم مصالحها وينطق باسمها وينفذ مخططاتها، وتسلط المشركون على أبناء المسلمين في الصين، وفي بورما، وفي كشمير، وفي أفريقيا الوسطى؛ فبطشوا وفعلوا ما لم يفعله أصحاب الأخدود الذين ضرب الله بهم مثلًا في كتابه العزيز.

لقد بدأت الأمة اليوم تتحسس سبب تمزقها وترديها إلى أسفل، وساعد في ذلك ما حصل في السنوات الأخيرة من انكشاف أوراق الاستعمار السياسي، وعملائه في بلاد المسلمين، وخاصة بعد ضياع فلسطين وانفتاح حكام البلاد الإسلامية على الكفار، يهود ونصارى، في كل اتجاه، وخاصة ما جرى من معاهدات تآمرية مع يهود، مثل كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي

عربة وغيرها، وانفتاحهم كذلك في فتح بلادهم جوًا وبرًا وبحرًا لتستخدمها أميركا وحلف الناتو؛ في حربها على بلاد المسلمين؛ في العراق وأفغانستان والشام؛ فاهتدت الأمة بمجموعها أن سبب ترديها هو خيانة حكامها، وبعدها عن تحكيم مبدئها في حياتها، وجري البعض منها خلف سراب خادع، ووعود موهومة من الكفار المستعمرين... لقد أصبحت الأمة بمجموعها اليوم تنادي بتحكيم كتاب ربها عز وجل في حياتها حتى أصبح هذا الأمر رأيًا عامًا في كل بلاد المسلمين، ثم جاءت المرحلة الحالية بعد الثورات فازداد طلب الأمة لتحكيم دينها لدرجة أن معظم الثورات التي حصلت كان شعارها تحكيم كتاب الله عز وجل، وانعكس هذا الأمر في فوز الجماعات الإسلامية التي تحمل شعار الإسلام، ففازت بالأغلبية الكاسحة في كل البلاد التي حصلت فيها انتخابات.

إن المشكلة الكبيرة؛ التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم في غالبيتها هي عدم الوعي وعيًا كافيًا على فكرها، وعدم وعيها على مخططات الكفار، وخاصة في موضوع التضليل ببعض من يتلبسون الإسلام من بعض الجماعات الإسلامية أو بعض الشخصيات التي تدعي الإسلام نظريًا؛ أمثال أردوغان والغنوشي والبشير، وحكام إيران وباكستان وأفغانستان... وهنا يكمن واجب العلماء المخلصين الواعين؛ تمامًا كما كان واجبهم في عهد الصليبيين والمغول وحروب الاسترداد... فإذا بقيت الأمة على هذه الشاكلة؛ فإنها تبقى في تضليل حتى وهي تريد الإسلام في غالبيتها؛ لأن القضية ليست الرأي العام فقط دون وعي، وفهم مخططات الكفار وعملائهم... بل القضية هي **الرأي العام والوعي العام معًا؛** غير منفصلة الواحدة عن الأخرى.

وهنا نريد أن نقف عند الدور الريادي والقيادي الواعي في الأمة الذي قام وما زال يقوم به **حزب التحرير؛** منذ سنوات طويلة. وقبل أن نذكر هذا الدور، نقول بأن الحزب قد قام على أساس الوحي؛ فنظر إلى الواقع بالطريقة نفسها التي نظر بها العلماء في عصور التردي والتمزق والضعف... ولم تكن طريقته ردة فعل مرتجلة، ولا استنباطًا من الواقع مباشرة دون الرجوع إلى الفكر، ولا أخذًا لطرق الغرب الديمقراطية، أو بالمشاركة والوسطية مع الأنظمة الإجرامية في العالم الإسلامي... لقد كان المؤسس الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله؛ عالمـًا جليلًا من علماء الأمة؛ مشهودًا له بالعلم والورع والتقوى حتى من مخالفيه؛ عزّ عليه ما أصابها ويصيبها؛ فنظر وتدبر ودرس الواقع دراسة واعية مستنيرة متفحصة، من جميع الجوانب... فحدد المشكلة التي تعاني منها الأمة وطريقة الحل الشرعي الصحيح... لقد حدد الحزب للأمة مشكلتها الرئيسة التي نتجت عنها كل المشاكل الفرعية؛ فأرشد الأمة أن مشكلتها هي (غياب حكم الإسلام من حياتها)؛ أي غياب الراعي الذي يرعاها بالإسلام، وهي دولة الإسلام (الخلافة)... فربط الحزب كل مشاكل المسلمين بهذه المشكلة الرئيسة، سواء منها

ما تعلق بالفقر ونهب الثروات، أو اغتصاب يهود لمقدساتها في الأرض المباركة فلسطين، أو تسلط الحكام على رقابها وإيداع أبنائها في السجون، أو استباحة الدول الكافرة على رأسها أميركا لبلادها، أو التنازع والاقتتال الداخلي بين دولها... أو غير ذلك من مشاكل فرعية... وبعد أن حدد الحزب المشكلة الأم، أرشد الأمة إلى طريقة حل هذه المشكلة؛ أرشدها إلى طريقة عودة حكم الإسلام وتخليص الأمة من المشكلة الأم، وكل المشاكل الفرعية التي نتجت عنها... فحدد الحزب الطريقة الشرعية لإعادة حكم الإسلام، وفي الوقت نفسه بيَّن للأمة أن كل الطرق الأخرى: من ديمقراطية، أو مشاركة الأحزاب العلمانية في البرلمانات، أو الاغتيالات السياسية، أو الدخول في صراعات مسلحة مع الجيوش... بيَّن الحزب أن كل هذه الطرق ما هي إلا تضييع للوقت والجهود؛ عدا عن مخالفتها للطريقة الشرعية الصحيحة، وعدا عن أن قسمًا من العاملين فيها إنما يقومون بترسيخ الاستعمار من حيث لا يشعرون، ويخدمون مخططات الدول الكافرة من حيث يدرون أو لا يدرون.

لقد بدأت الأمة تتلمس طريق الوعي، وتدرك شيئًا فشيئًا عمالة الأحزاب السياسية التي تدعي الحرص على الإسلام، وفي الوقت نفسه ترتبط بالاستعمار، بعد أن أدركت تمامًا عمالة الأحزاب العلمانية والقومية والوطنية، وبعد أن أدركت عمالة حكامها، وتكشفت جميع أوراقهم وستائرهم التي تستروا بها ردحًا من الزمن تحت شعارات كاذبة، كمحاربة الإمبريالية والصهيونية وتحرير فلسطين شبرًا شبرًا... وإن كان هذا الوعي والإدراك لم يصل بعد ليكون عامًا وكاسحًا في الأمة، ولكنه بادرة خير وإشعاع نورٍ طيب؛ يبشر بالخير القريب، ويتسارع بشكل طيب؛ كلما اشتدت الأحداث وتكشفت الأوراق السياسية.

إن بشائر الوعي في الأمة تتسارع وتزداد يومًا بعد يوم في موضوع فهم الواقع السياسي، وموضوع مشكلة الأمة الرئيسة، وموضوع الحركات الإسلامية المضللة التي تدعي الحرص على الإسلام والعمل له... وكلما اشتدت الأحداث تكشفت للأمة أمورٌ جديدة. يزيد شبابُ حزب التحرير وعلماؤه وقادته وعيَ الأمة وبصرها، ورؤيتها للحقائق مقترنة بالأحداث؛ حيث يسلطون الضوء على الأحداث والمصائب والكوارث والمؤامرات السياسية والعمالات، ويضعون الخط الصحيح بجانب كل هذه المؤامرات والمهاترات والعمالات... ويقترن بهذا وذاك ما يحدث في بلاد الغرب والشرق من سقوط حضاري وأخلاقي وانهيارات مبدئية وأزمات متتابعة، مالية وأخلاقية ونفسية... وتطلُّع الشعوب إلى مخلص حقيقي يخلصها مما هي فيه من شرور وويلات واستعباد من طبقة الـ٢٪؛ التي تنهب كل ثروات الشعوب ولا تدع لها إلا الفتات، وتفتعل الحروب والشرور والاستعمار، وتتسبب بالأزمات جميعًا؛ من أجل خدمة غاياتها وأموالها ومصالحها الخاصة، على حساب دمار الشعوب وفقرها وتعبها

ومعاناتها...

وفي الختام نقول: إن الشمس لا يخفيها غربال العمالة والمؤامرة... فلا بد أن تفضح عتمة الدجى؛ ولو تأخرت قليلًا، وأن السراب ينكشف أمره إذا وصل إليه الناس وعاينوه ولمسوه بأيديهم، وأن الشوك الذي يدمي اليد إذا أمسكت به هو شوك لا خير فيه... وهذا بالفعل ما يحدث مع الأمة شيئًا فشيئًا، فقد عرفت عمالة حكامها بعد أن عاينت أفعالهم وعرفت أكاذيبهم واكتوت بفعالهم... وعرفت عمالة الأحزاب القومية وغيرها من علمانية واشتراكية... وها هي الأمة اليوم تلمس عمالة من حملوا مشروع الإسلام بشكل مضلل مخادع، وفي الوقت نفسه أدركت أن فيها الكثير من أبنائها الأتقياء المخلصين من علماء وعوام الناس، وأدركت الأمة أن فيها حزبًا مخلصًا لله عز وجل؛ لا يرتبط بأحد من الدول الكافرة، ولا الحكام العملاء، ولا يقبل غير الإسلام بديلًا، لا بالمشاركة، ولا بالمحاصصة، ولا بالوسطية، ولا بغير ذلك، وأدركت أن هذا هو الأمل للأمة، للمخلصين من أبنائها، المتصلين بوحي السماء؛ لا بأي سبب من أسباب الأرض، وأن الشمس قد بدأت تبشر بالنور وسط الدجى الحالك بعد ليل طويل، وأن تباشير الصباح تتنفس مع إطلالة أشعة النور، وأن وعد الله لآتٍ وقريب، وأن الزبد مهما كثر على صفحة الماء لا بد أن يتطاير ويذهب، سواء أكان علمانيًا، أم من الحكام، أم من أحزاب إسلامية مخادعة، وأن الماء الزلال هو وحده الذي يمكث في الأرض، والماء الزلال هو فقط الوحي، ومن يرتبط بهذا الوحي من علماء وقادة وأحزاب، قال تعالى: ﴿...فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾... وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**» رواه الإمام البخاري، وقال: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ**» رواه الترمذي.... وقال: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**» رواه الإمام أحمد.

فنسأله تعالى أن يعجل بانتشار الوعي في كل أبناء أمة الإسلام، تمامًا كما انتشر الرأي العام فيها، وأن يعجل بفضح كل المتآمرين المضلّلين في طريق الأمة؛ ليكون ذلك مقدمةً لنهوض الأمة من كبوتها على أساس الإسلام بقيام خلافة المسلمين، تمامًا كما نهضت من قبل، في عهد القادة العظام، والعلماء الأبرار... اللهم آمين... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...■

أسدُ العرين

نافذ الجعبري - أكناف بيت المقدس

عادَنا رجعُ السنينِ الخاليات ... عهدُ أبطالِ الفدا والتضحيات
فامتطينا العزمَ لا نخشى الكروب ... وارتقينا المجدَ من غيرِ التفات
ثلةُ الأحرارِ تمضي في ثبات ... يَقدُمُ الركبَ عطاءٌ والثقات
يا عطاءَ الخيرِ دوماً للأمام ... نجمعُ الأقوامَ من بعدِ الشتات
قد أنرتَ الدربَ يا نعمَ الأمير ... كَسِراجٍ في الليالي الحالكات
خَلفَك الأحرارُ يجمعُها الإباء ... في ثباتٍ كالجبالِ الراسيات
نحنُ من رام العلاءَ ولن نحيد ... نطلبُ العلياءَ لا نرضى الفُتات
نحملُ الخيرَ عميماً للأنام ... نوردُ الظمآنَ من ماءٍ فرات
ليسَ منّا من يداجي الظالمين ... لا نُضيعُ العمرَ خلفَ الأمنيات
قد رضينا نهجَ أسوتِنا الحبيب ... سيدِ الأكوانِ محمود الصفات
قد عَرفنا دربنا دربَ السداد ... قد علمنا أنَّ نصرَ اللهِ آت
حزبُ تحريرِ القلوبِ منَ الرياء ... عودةٌ للخيرِ تنبتُ كالنبات
مُذ خبا نورُ الخلافةِ في الأنام ... شاعَ في الأرضينَ بؤسٌ وانفلات
وانقضى عهدُ المروءةِ والرجال ... واعتلى فوقَ العروشِ الإمِّعات
سادَ أوباشُ الخلائقِ في البلاد ... وابتُلينا بالسنينِ الخادعات
يا عبيدَ الغربِ يا أسَّ البلاء ... قد عقدنا العزمَ أن نحيي المَوات
ما عرفتُم غيرَ ساحاتِ الهوان ... تنشدونَ العونَ من عزّى ولات
كم شربتمْ نخبَ أنّاتِ الجراح ... كم سكرتمْ من دموعِ الثاكلات
أمةَ التوحيدِ قد آنَ الأوان ... نوقظُ الأقوامَ من طولِ السبات
نرفعُ الراياتِ رايات العقاب ... ننشرُ المعروفَ نقصي المنكرات■

الأمة تشهد لحظة موت الحضارة الرأسمالية وإحياء الحضارة الإسلامية، في ظل دولة الخلافة المرتقبة

عادل الزروقي

يقول تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

إن سنة التدافع ماضية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فيهيئ سبحانه وتعالى دوافع لواقع التغيير. وبما أن العالم اليوم يرزح تحت نير النظام الرأسمالي الذي سيطر عليه منذ القرن التاسع عشر الميلادي؛ حيث عرف العالم حينئذ بروز المبدأ الرأسمالي ونظامه فصل الدين عن الحياة، واستطاعت الحضارة الرأسمالية أن تغزو جميع الأمم والشعوب بما فيها الأمة الإسلامية، التي تعرضت إلى غزو فكري مكَّن للغرب فرض طريقته في الحياة على بلادنا، وتركَّزت مفاهيمه في مجتمعاتنا، على إثر الاحتلال المباشر بعد تقسيم الدولة العثمانية إلى كيانات هزيلة تتبنى الأنظمة الرأسمالية. وبما أن النهضة الغربية أساسها عقيدة غير صحيحة، فعقيدة فصل الدين عن الحياة بنيت على الحل الوسط، وعلى ردات فعل عن المفاهيم التي سادت أوروبا في عصور انحطاطها. فمن الطبيعي أن تعرف هذه الحضارة ضعفًا يؤدي إلى سقوط محتم.

يقول ج. ديوارنت: «تسقط الحضارات من الداخل قبل بروز عدو خارجي يقضي عليها نهائيًا». وكان حديثه في سياق سقوط الإمبراطورية الرومانية وظهور الإسلام كقيادة للبشرية في القرن السابع الميلادي. إن بداية انهيار الحضارة الغربية، ماثل للعيان، ولا سيما لدى مفكري الغرب، فكتاباتهم ونشراتهم ودراساتهم تشير بوضوح إلى سقوط المبدأ الرأسمالي وتطلق صرخة فزع تنذر بما هو قادم... فالغرب يدرك أن النظام الرأسمالي هو نظام كوني لا يمكن تغييره إلا بنظام كوني جديد يحمل مفاهيم جديدة في الحياة

تعتنقها البشرية وتتفوق على المفاهيم الغربية وتبطلها وتبين زيفها وعسفها.

إن الإسلام العظيم هو البديل الحضاري الجديد الذي تحتاجه الشعوب والأمم ولا سيما الأمة الإسلامية، خير أمة أخرجت للناس. فالإسلام مبدأ، عقيدته تجيب عن الأسئلة الأساسية والمصيرية التي تتخبط فيها البشرية الآن، فتبين بالأدلة والبراهين أن الكون والإنسان والحياة، وراءها خالق واحد أحد صمد، وأن ما بعد الحياة الدنيا، لقاء في الآخرة مع الله ليجزي كل بما عمله في الحياة الدنيا.

إن المبدأ الرأسمالي أسقط من مفاهيمه علاقة الخالق بتنظيم شؤون الناس في حياتهم، وعليه جاءت نظمه وتشريعاته ومفاهيمه ومقاييسه وقناعاته من وضع عقولهم القاصرة والمحدودة والمتناقضة والمتأثرة بالبيئة... ومن الطبيعي أن تحدث أزمات على مستوى قيم ومفاهيم الغرب المنبثقة عن قاعدة فكرية باطلة وغير صحيحة. إنها أزمة عميقة بالأساس؛ لذلك شعر بعض علماء الغرب بالخطر، فعبروا عن خوفهم من انهيار مبدئهم. فعلى سبيل المثال يقول «جان زيغلر»، وهو عالم اجتماع وسياسي أوروبي، يصف الرأسمالية المالية المعولمة «بالمجتمع القاتل»، وهذا ما تكشفه حروب الغرب الماضية والنفقات المتصاعدة على التسلح. هذه هي النزعة الحربية المتأصلة في الرأسمالية. ألم تثبت أحداث العالم أن هذه القدرة المفترضة على السلام لا أساس لها، كما هو حال الاعتقاد بأن تحرير السوق وخصخصة الممتلكات العامة سيؤدي إلى ظروف عمل عادلة، ورواتب تقاعدية مجزية، ونظام اجتماعي آمن... كلها سراب في سراب؟!

الخبير ميخائيل عوض، أجاب باختصار مؤكدًا سقوط الرأسمالية وحقبها وأدوارها، وأنها لم تعد قادرة على توليد الحلول، فقال: «هي بكل تأكيد أزمة كيانية وأزمة نمط إنتاج، والآن تبزغ شمس الشرق». والحل يكمن، كما رأى الخبير عوض، في تطبيق الآية الكريمة ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

كارل شواب، فاجأ الحضور، في نهاية منتدى دافوس، بإعلانه المفاجئ «أن النظام الرأسمالي انتهى» ولخص ميخائيل عوض كلام شواب بقوله: «بفشل النظام الرأسمالي برمته وليس فقط الليبرالية، فقد اختبرت الأشكال الأخرى وانتهت إلى الليبرالية، وبنهاية الليبرالية تنتهي قدرة النظام على الاستمرار، المطلوب توليد بديل، وهذا ما تبحث عنه الإنسانية بعد سقوط نموذج روسيا، رأسمالية الدولة الاحتكارية ونموذجها، وسقوط النظام الرأسمالي، على الشرق أن يولد هذا الجديد». فالدَين العام الأميركي مثلًا يبلغ الآن حوالى ستة عشر تريليون دولار، ومجمل المديونية الأميركية للقطاعين العام والخاص تتجاوز الخمسين تريليون دولار، وكل الفوائض المالية العربية لا تتجاوز تريليون دولار».

أما «وزني» فقد قدم توصيفًا للأزمة فيقول: «إن صندوق النقد الدولي يواجه مشاكل مالية بسبب تأخر بعض الدول الأعضاء من سداد استحقاقاتها (الولايات المتحدة الأميركية) وبفعل تزايد مشكلات دول أخرى أوروبية ونامية... تراهن مديرة الصندوق على مساهمات بعض الدول مثل الصين والدول النفطية (السعودية) لتحسين أوضاعها المالية، ولكن هذه الدول تطالب بالمقابل بإصلاحات في الصندوق وتعديل نظامه الداخلي على صعيد الحصص وحقوق التصويت...».

. والمفكر الفرنسي ديباسكييه (DEEBCKEEH) فهو الآخر يرشح الإسلام كمخلّص ومنقذ وحيد للبشرية، فيقول: «إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدًا، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفًا عدائيًا منه، ولم يكفّ عن الافتراء والتنديد به لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان».

. ويقول الأديب العالمي ليف تولستوي: «يكفي محمدًا فخرًا أنه خلّص أمةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).

وهذا الفيلسوف الدنماركي سورن كيركغارد يصرخ مُعْلنًا: «أن الجانب المادّي والنّفعي تغلّب على الجانب الروحاني في الحضارة الغربية؛ لذا سيكون السقوط مآل هذه الحضارة».

. وهذا الألماني أوزوالد شبينغلر صاحب كتاب «تدهور الحضارة الغربية» الذي بشر باقتراب موت الحضارة الغربية بعد خوضها للحروب الكونية، ولاقى كتابه شهرة واسعة...، ولم ينقطع البعض من المفكرين والشعراء والكتاب عن التلويح بالسقوط الوشيك للحضارة الغربية. من أشهر هؤلاء يمكن أن نذكر الألماني هرمان هسه، والبريطاني هايش، جي، ويلز، والنمساوي كارل كراوس الذي كتب في نصه الشهير «الأيام الأخيرة للإنسانية» الصادر عام ١٩٢٢م يقول: «لقد قرّرنا استئصال كوكبكم، وأيضًا كلّ الجبهات، وكلّ هذا الدّود الأرضيّ المغرور الذي يتباهى بالتأهّب للإغارة على الكواكب».

. أما الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري الذي بعد صدور كتابه الذي «فضح فيه أكاذيب فرويد»، يصدر كتابًا، يعلن فيه عن اقتراب انقراض الحضارة الغربيّة. وقد صدر هذا الكتاب الذي حمل عنوان «تدهور» (٧٥٠ صفحة) عن دار «فلاماريون» مطلع العام الحالي ويذكر فيه: «الحضارة الغربية فهي تترنح بانتظار سقوطها المدوي». ويرى

ميشال أونفري أنه «ليس بالإمكان فعل أيّ شي لهذه الحضارة التي تموت». وهو يضيف قائلًا: «بأن رؤية أزوالد شبينغلر للتدهور، كانت «جامدة»، و«منهجيّة». أما رؤيته هو «فـمتحركة»، «وحيّة». كما أنها ليست لا رؤية يمينية، ولا يسارية. فأصحاب الرؤية اليمينية يظهرون تشاؤمًا من الحاضر؛ لذا هم يعتقدون أن الخلاص لا يتمّ إلاّ بالعودة إلى الماضي المجيد. ولا ينشغل أصحاب الرؤية اليسارية إلاّ بالمستقبل؛ لذا هم متفائلون أبدًا. وأما هو فلا هو متفائل ولا متشائم، وإنما «تراجيديّ».

. ويقول ميشال أونفري أيضًا: «لقد هيمنت الحضارة الغربية على الشعوب، والحضارة التي ستقوم مقامها ستعوضها. إنها مسألة وقت فقط. الباخرة تغرق. ولم يتبقَّ لنا سوى أن نغرق بأناقة ورشاقة». ويخلص المؤلف إلى قوله: «بأن موت الغرب ليس تنبؤًا بما سيحدث، إنه تصوير لما يحدث الآن، إن أمم العالم تموت، وهي تواجه أزمة مميتة، لا بسبب شيء ما يحدث في العالم الثالث، بل بسبب ما لا يحدث في الوطن وفي بيوت العالم الأول».

. أما **باتريك جيه بوكانن** في كتابه «موت الغرب»: وهو مفكر أميركي، و**كان مستشارًا كبيرًا لثلاثة رؤساء أميركيين،** فيؤكد: «انهيار أوروبا وأميركا و(إسرائيل) وصعود الإسلام».

وكذلك فقد عبر الكثير من أصحاب الرأي عن رعبهم وهلعهم من استلام الحضارة الإسلامية لقيادة العالم.

يقول الباحث الألماني باول شمتز: «إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الإسلامي الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه، هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب».

هذا ما يجول في بالهم، فهم يعتقدون جازمين بأن الإسلام له عودة وظهور جديدان على الساحة؛ لهذا يعدون العدة والوسائل والمناهج لعدم عودته، فلن يستطيعوا أبدًا.

وهذه بعض أقوال الساسة الغربيين:

يقول ميتران: «إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر، فسوف أتدخل عسكريًا كما تدخل بوش في بنما».

ويقول نيكسون: «يجب على روسيا وأميركا أن تعقدا تعاونًا حاسمًا لضرب الأصولية الإسلامية».

ويقول كارتر: «والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفياتي في الشرق الأوسط على المصالح الأميركية هو الإسلام المتطرف، ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأميركية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضًا، والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في زي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة».

يقول أستاذ القانون في جامعة هارفارد نوح فيلدمان في كتابه «سقوط الدولة الإسلامية

وصعودها» البدايات النبيلة للدستور الإسلامي، ثم سقوطه، ثم الوعد الجديد الذي يمكن أن تقدمه عودة الشريعة للمسلمين وللغربيين على حد سواء.

ويرصد المؤلف ظاهرة قوية ومتنامية من المغرب إلى إندونيسيا، وهي أن الشعوب الإسلامية تطالب بعودة الشريعة، وخصوصًا في دول ذات تعداد سكاني كبير مثل مصر وباكستان، متسائلًا: «لماذا يطالب الناس الآن بعودة الشريعة وينجذبون إليها رغم أن أجدادهم في العصر الحديث نبذوها ووصفوها بأنها أثر من الماضي السحيق؟». ويقول: «إن من ضمن الأسباب: أن الحكام الحاليين فشلوا أمام الشعوب بما فيهم الغرب، وأن الشعوب الإسلامية «تفتقر إلى العدالة اليوم» مضيفًا أنه لا توجد طبقة علماء حقيقية، أو طبقة قضاة حقيقيين، كما كان في السابق في الدول الإسلامية حتى الآن».

وتتعدد الدراسات حول الإسلام وأخطاره على الغرب، فتقرير معهد «بيو» الأميركي Pew Research Center حول انتشار الإسلام، وجد اهتمامًا كبيرًا من وسائل الإعلام الغربية، ويُذكر فيه أن الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا في العالم، بحسب الأرقام التي تم إعدادها والبيانات الإحصائية في الغرب خاصة.

وأعدت مؤسسة راند تقريرًا حول ضرورة دعم الصوفية؛ لأنها حركة أقرب إلى القيم الغربية... ففي التقرير الشهير لمؤسسة راند، دعت بينارد لدعم التيارات الفكرية «الأقرب لمنظومة القيم الغربية». فقسّمت التيارات الفكرية العربية إلى الأصوليين، التقليديين، الحداثيين، العلمانيين. وبعد تعريفات مبهمة لهذه التصنيفات دعت لدعم الحداثيين والعلمانيين والتقليديين والصوفيين ومكافحة الأصوليين. وفصّل التقرير في طريقة دعم «الشركاء» من خلال «نشر كتبهم وإدراج أفكارهم في التعليم» و»منحهم المنابر». وأوصت بفضح «الأصوليين» وتدريب الحداثيين لمناظرتهم» و«إثبات صلاتهم بالجماعات والأنشطة غير القانونية» و«تشجيع الصحافيين على التحري عن حالات الفساد والأعمال اللاأخلاقية في أوساط الأصوليين» و«تشجيع الانقسام بين الأصوليين»، كما دعت لدعم المذهب الحنفي على حساب الحنبلي، والصوفية على حساب السلفية.

صدر كتاب في ٢٠١٥م، بعنوان Sponsoring Sufism: How Governments Promote «Mystical Islam» in Their Domestic and Foreign Policies كشف فيه المؤلف Fait Muedini عن دعم الأنظمة الحاكمة للتصوف في القوقاز والمغرب والجزائر، والسودان ودور أميركا وبريطانيا.

يمكننا تلمس الدعم للصوفية من خلال إبراز دور علي الجفري وعبد الله بن بيه، وللحداثيين عدنان إبراهيم ومحمد شحرور وتركي الحمد. وتصريح ريكس تيلرسون -

وزير الخارجية الأميركي المقال - عن نجاحه في إقناع دول عربية لتعديل المناهج الدينية وسحب القديمة، وتدريب الأئمة والخطباء على مناهج «معتدلة» جديدة... كل هذا يصب في إثبات هذا التوجه تحت مسمى مكافحة التطرف.

هذا ما يجول في بالهم، فهم يعتقدون جازمين بأن الإسلام له عودة وظهور جديدان على الساحة، لهذا يعدون العدة والوسائل والمناهج دون عودته ولن يفلحوا أبدًا.

إن المتتبع للأحداث التي جاءت إثر تلك الدراسات والمؤلفات لمفكري الغرب ولمراكز الدراسات والتفكير، يتبين أن خيار الغرب هو الإسلام المعدل بحسب النمط الغربي والذي لا يخرج عن جبة الديمقراطية... فـ«نوح فيلدمان» كاتب دستور العراق ودستور تونس إبان الثورة سنة ٢٠١١م، والذي أعلن سنة ٢٠١٤م دستورًا لتونس، يقصي أحكام الإسلام من الحياة والدولة، فالغرب يدرك أن حضارته ساقطة لا محالة، فيعمل جاهدًا على صناعة بدائل مشوهة يصفها زورًا بـ«الإسلام السياسي» كنموذج حكم الإخوان في مصر وتونس إبان الثورات العربية... وقد أراد لتلك التجارب المخبرية، أن تفشل، تضليلًا عن الحل الحقيقي، ولتيئيس الأمة من مشروع «الإسلام السياسي الحقيقي». والحال أن دعاة «الديمقراطية المعممة»، هم من فشلوا؛ فالإسلام غُيّب من التشريعات والقوانين التي زادت تكريسًا لحدود سايكس بيكو، وأفسدت معيشة الناس وازداد الأمر بها سوءًا...

ومن بين محاولات الغرب اليائسة للبقاء، محاولات إعادة صياغة النظام البائد نفسه في إخراج جديد، يستند إلى أحلام قديمة للسيطرة على العالم بالقضاء على جميع الأفكار والبدائل في محاولة استباقية خبيثة، لقيام «حكومة كونية عالمية» و«مواطنة عالمية» تذوب فيها جميع الأيديولوجيات، لا سيما مبدأ الإسلام الذي يهدد النظام الرأسمالي، فالغرب يخشى قيام دولة «الخلافة الراشدة على منهاج النبوة» وهي دولة تطبق نظامًا عالميًا جديدًا؛ وعليه يفكر شياطين الغرب في إيجاد استراتيجيات كفكرة «الحكومة العالمية» حيث تحدَّث عنها بعض المفكرين، وتبناها أمين عام الأمم المتحدة هذه السنة أنطونيو غوتيريش، وكان بعض الساسة الغربيين قد شرحوا بعض تفاصيل تلك الخطة على غرار «كيسنجر».

قال كيسنجر في حوار أجرته معه جريدة «ديلي سكيب» الأميركية «إن الحرب العالمية الثالثة باتت على الأبواب، وإيران ستكون هي ضربة البداية في تلك الحرب، التي سيكون على (إسرائيل) خلالها أن تقتل أكبر عدد ممكن من العرب وتحتل نصف الشرق الأوسط»، وذلك بحسب ما أوردته يومية المساء في عددها لنهاية الأسبوع الماضي.

وأضاف قائلًا: «لقد أبلغنا الجيش الأميركي أننا مضطرون لاحتلال سبع دول في الشرق

الأوسط نظرًا لأهميتها الاستراتيجية لنا، خصوصًا أنها تحتوي على البترول وموارد اقتصادية أخرى، ولم يبقَ إلا خطوة واحدة، وهي ضرب إيران».

وزاد قائلًا: «عندما تتحرك الصين وروسيا من غفوتهما سيكون (الانفجار الكبير) والحرب الكبرى قد قامت، ولن تنتصر فيها سوى قوة واحدة هي (إسرائيل) وأميركا... وسيكون على (إسرائيل) خلالها القتال بكل ما أوتيت من قوة وسلاح، لقتل أكبر عدد ممكن من العرب واحتلال نصف الشرق الأوسط».

وأضاف كيسينجر منذرًا بأن: «طبول الحرب تدق بالفعل في الشرق الأوسط، والأصم فقط هو من لا يسمعها»، مبرزًا أنه إذا سارت الأمور كما ينبغي - من وجهة نظره - فسوف تسيطر (إسرائيل) على نصف منطقة الشرق الأوسط».

وأشار كيسنجر إلى أن الشباب، الأميركي والأوروبي، قد تلقوا تدريبات جيدة خلال القتال في السنوات العشر الماضية، وعندما ستصدر لهم الأوامر بالخروج إلى الشوارع لمحاربة تلك (الذقون المجنونة) - حسب تعبيره - فسوف يطيعون الأوامر ويحولونهم (يقصد المسلمين) إلى رماد. كما صرح كيسنجر أيضًا بأن «أميركا و(إسرائيل) قد جهزتا نعشًا لروسيا وإيران، وستكون إيران هي المسمار الأخير في هذا النعش، بعدما منحتهم أميركا فرصة للتعافي والإحساس الزائف بالقوة. بعدها ستسقطان للأبد، لتتمكن أميركا (الماسونية) من بناء مجتمع عالمي جديد، لن يكون فيه مكان سوى لحكومة واحدة تتمتع بالقوة الخارقة». وأكد كيسنجر أنه حلم كثيرًا بتلك اللحظة التي تتحقق فيها رؤيته هذه للأحداث.

وقد أعلن الأمين العام للأمم المتحدة تبني مقترح «إنشاء حكومة عالمية...» وقد تم الإعلان عن هذه النية وهذا التوجه نحو حكومة عالمية تدير الشأن العالمي، خلال خطاب ألقاه الأمين العام على هامش أعمال مؤتمر حوكمة الإنترنت، وقد قال السيد غوتيريش مخاطبًا قادة العالم: «عندما يتعلق الأمر بالحوكمة، يجب أن نكون مبدعين وجريئين مثل أولئك الذين قاموا أولًا ببناء الإنترنت. يمكنكم الاعتماد على دعمي في هذه الرحلة نحو مستقبل رقمي مزدهر وآمن وعادل».

وفكرة إنشاء حكومة عالمية ظهرت في بنود تأسيس ميثاق الأمم المتحدة منذ الخمسينات، وبدأ البروفيسور تشارلز برايز رئيس قسم الكيمياء في جامعة بنسلفانيا، يشتغل على الفكرة تحت منظمة الفيدراليين الأميركيين، وهي من مراكز التفكير الأميركية. وفي عام ٢٠١٥م، أصدرت الأمم المتحدة أول إعلان مبشرةً بقيام الحكومة العالمية سنة ٢٠٣٠م، وتشمل وثيقة الإعلان ٩١ بندًا تحت عنوان: «حكومة عالمية تنمية مستدامة ٢٠٣٠».■

تعامل الآباء المؤسسين لأميركا مع الهنود الحمر...

صور من البشاعة المغيبة عن الأنظار

المهندس شفيق خميس - اليمن

هذا المقال يبين عقلية أميركا الإجرامية، ليس في حق المسلمين فقط، بل بحق البشرية جمعاء، وهي عقلية مبنية على فكر عقدي قائم على (فصل الدولة عن الدين) أُقصي فيه الدين عن الدولة إقصاء كاملاً؛ بحيث لا تبرز في تصرفاتها إلا الناحية المادية القائمة على الأنانية المفرطة وتحقيق المصالح على حساب الآخر، سواء أكان هذا الآخر يحمل عقيدة المبدأ نفسه، أم كان معاديًا له. فالهنود الحمر، أو العبيد، أو المسلمين، أو حتى ما حدث من حربين عالميتين، كانت ضحاياهما بعشرات الملايين، غالبيتهم من أهل المبدأ نفسه ... فالنظرة واحدة، (أنا، ولا أحد غيري) (أنا، ومن بعدي الطوفان)؛ لذلك جاء هذا المقال ليفضح العقلية الأميركية المشبعة بالإجرام، والفكر الرأسمالي الذي ما عرف العالم معه إلا القتل والدمار والأزمات والإرهاب (على اعتبار أنهم هم الإرهابيون الأصليون)، والاستعمار والحروب، والإفقار، حتى إن ما يحدث في الطبيعة من كوارث: زلازل، وتغير مناخ، وتصحُّر، وانتشار أوبئة وأمراض... إنما هو وليد هذه الحضارة البائسة، التي أصابت شرورها حتى أهلها. لقد آن أوان هذه الحضارة أن تزول... وآن لحضارة الإسلام أن تقود من جديد.

ذكر المؤرخ الأميركي ريتشارد سلوكتين: «إذا كان لا بد من شعار يرمز لأميركا وتاريخها، فليس هناك ما يعبر عن هذه الحقيقة سوى هرم هائل من الجماجم». لقد أنهك الأوروبيون الإنجلوساكسون البروتستانت الفارون من ظلم الكنيسة وإفسادها لحياتهم في أوروبا، أنهكوا الهنود الحمر السكان الأصليين للعالم الجديد باستعمار أراضيهم، ثم تقتيلهم بحملات إبادات فظيعة بدأت بالحروب الجرثومية من جدري وحصبة وطاعون وإنفلونزا وسل ودفتيريا وتيفوس وكوليرا، ثم برصاص البنادق والسكاكين والحرق والتدمير... في أبشع صور حروب الإبادة البشرية على الإطلاق.

قد تستغرب من أفعال الإبادة التي تعرض لها الهنود الحمر على أرضهم، فإنها حدثت بالفعل، حتى إن أحفاد الفاعلين لا يتوارون عن القوم بسوء أفعالهم تلك، ويعتبرون حدوث ذلك العمل صحيحًا بعيدًا كل البعد

عن الخطأ، وكان ضروريًا القيام به؛ لأن الهنود الحمر يستحقون ما حل بهم؛ لأنهم متوحشون بربريون... فجاز إفناؤهم لإفساح العيش أمام غيرهم من البشر المتحضرين!! وعلى مر السنين التي تلت إبادة الهنود الحمر لا بد لأحفاد من قاموا بإبادتهم أن يحتفلوا ويرفعوا الأنخاب ويتبادلوا التهنئة مفاخرين بأفعال أسلافهم. فقد كتب كريستوفر هيتشنز، وهو كاتب وناقد صحفي أميركي: «من لا يحتفل بإبادة سكان أميركا الأصليين إنسان يكره إنسانيته. إنه مخبول، جاهل بليد... هذه الإبادة تستأهل التمجيد والفخار لأنها ساهمت في تحسين الوضع الإنساني».

ولدت الولايات المتحدة في ١٧٧٦م، بعد أقل بقليل من ٣٠٠ عام على بدء إبادة السكان الأصليين من الهنود الحمر على أكوام من جثثهم تحت شعار "شعب مكان شعب، وثقافة مكان ثقافة"، فهل اختلف تعامل الأميركيين ورؤسائهم من الآباء المؤسسين مع الهنود الحمر أم استمر المنوال على ما هو عليه؟

يردد الأميركيون على أسماع الناس مصطلح الآباء المؤسسين، ويطلقون عليهم الألقاب والنياشين، ويضفون عليهم بالغ الاحترام والتقدير، بل وحتى التقديس. ويقصدون بالآباء المؤسسين عددًا من السياسيين الأميركيين الذين وقعوا على وثيقة الاستقلال والدستور الأميركي، وحاربوا الاستعمار البريطاني بمساعدة خفية من فرنسا التي كانت تشاطر بريطانيا وإسبانيا احتلال العالم الجديد بعد فتحه أمام الهجرات من بلاد أوروبا المختلفة، والذين عاصروا قيام الدولة الأميركية "من ثلاث عشرة ولاية" على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأميركية اليوم، وأرسوا قواعدها.

عدد لا بأس به من الآباء المؤسسين صاروا في وقت لاحق رؤساء للدولة الأميركية الوليدة. كجورج واشنطن، وجون كوينسي آدامز، وتوماس جيفرسون، ووليم هاريسون، وأندرو جاكسون. مجّدهم التاريخ الأميركي، وسميت بأسمائهم عدد من المدن والشوارع والجامعات والحدائق وغيرها من المرافق، ونُصبت لهم التماثيل. ومنهم من كتب الدستور بيده كهاريسون. ويقتطف السياسيون الأميركيون ممن جاء بعدهم أجزاء من خطبهم وكلماتهم كمرجعية يستشهدون بها في مناسبات مختلفة. لكن دعونا ننظر كيف تعامل أولئك الرؤساء الأميركيون مع الهنود الحمر؟

جورج واشنطن هو أول رئيس للولايات المتحدة، مُلهِم أميركا ورمز من رموزها ومفخرة من مفاخرها. تنسب إليه العاصمة واشنطن، وتزين أيقونته ورقة الدولار، وتصوره آلاف التماثيل، وتحمل اسمه عشرات المدن على طول وعرض الولايات المتحدة الأميركية.

قاد جورج واشنطن الحرب على الهنود الحمر، وأوقع فيهم تقتيلًا، تذكره كتب المؤرخين، ولم ينسَه ضحاياه من الهنود الحمر. حين نُصّب جورج واشنطن رئيسًا لأميركا أمر قائده العام في الحرب على هنود الأروكوا

عام ١٧٧٩م بأن يدمر كل ما يجده على وجه الأرض، ويحضُّه على أن يصمَّ أذنيه عن نداءات السلام أو الرحمة قبل أن تصبح أرض هنود الأروكوا قاعًا صفصفًا. وكتب الجنرال جون سوليفان يبشر رئيسه جورج واشنطن بدمار كل شيء، وبتحويل «تلك الجنان الجميلة إلى قفار مخيفة». [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٦٩].

لقد لقب الهنود الحمر جورج واشنطن بـ"هدّام المدن" بعد أن هدم ثمانيًا وعشرين مدينة من أصل ثلاثين مدينة من مدن هنود السينيكا، وكذلك فعل بمدن هنود الموهوك والكايوغا الواقعة من شمال البحيرات الكبرى شمالًا حتى نهر الموهوك وغيرهم من هنود الشمال، خلال خمس سنوات من سني توليه الرئاسة في أميركا. حتى إن كومبلانتر زعيم هنود الأروكوا قال لواشنطن في ١٧٩٢م «عندما يذكر اسمك تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات وتشحب وجوههن، أما أطفالنا فإنهم يتلببون بأعناق أمهاتهم من الخوف». [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص٧٠].

تلا جورج واشنطن جون كوينسي آدامز الذي تشارك معه في ملاحقة ما تبقى من الهنود الحمر في مواطنهم الأصلية، وعدم الالتفات إلى ما سيلاقونه على أيدي القوات الأميركية المدججة بالسلاح والعتاد. كان على آدامز أن يستمر في التوسع الذي بدأه سلفه واشنطن، غربًا حتى نهر المسيسيبي.

الرئيس توماس جيفرسون انضم إلى من سبقه من الرؤساء الأميركيين في سياسة الإبادة للهنود الحمر الذين يقفون في وجه التوسع الأميركي باستخدام كافة الأسلحة بما فيها السكاكّين. وكانت كلماته وأوامره صريحة في إيقاع الأذى بالهنود الحمر ومحوهم من العالم الجديد. جيفرسون أصدر أوامره لوزير حربه: «لن نرفع هذه البلطة عن رؤوسهم حتى يبادوا عن بكرة أبيهم أو يرحلوا إلى ما وراء نهر المسيسيبي. نعم قد يقتلون بعضًا منا، لكننا في النهاية سندمرهم جميعًا؛ إذ ليس لدى الحكومة الأميركية من خيار سوى مطاردة الهنود واستئصالهم من الأرض». [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٧٠].

الرئيس أندرو جاكسون الذي تزين أيقونته المقدسة ورقة العشرين دولارًا كان يتباهى بالقول إنه يسلخ جلود كل من يقتلهم ويحتفظ بها، وأنه سلخ جثث مئات الهنود وجدع أنوفهم ودبغ جلود أجسادهم لجعلها أعنّة للخيول. وكان يأمر القوات الأميركية بقتل كل نساء الهنود وأطفالهم والبحث عنهم في مخابئهم لاستكمال هذه الإبادة. [أميركا والإبادات الجنسية منير العكش، ص: ٦٨].

كذلك يروي دافيد ستانراد قصصًا مؤلمة عن مذابح النساء والأطفال التي ارتكبها الرئيس أندرو جاكسون لاستكمال مهمة الإبادة. [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٥٤].

جاكسون أكد أنه الحفيد المقتدي بمن سبقوه من مبيدي الهنود الحمر، يحمل نفس

مخطط الإبادة، ولا يتوانى عنه بحكم منصبه الرفيع في الدولة الأميركية، يشحذ همم من خنعوا من الأميركيين، وتبادر إلى ذهنه بأنهم سيتوقفون، حين سنحت له الفرصة بتذكيرهم في رسالته السنوية الثانية للكونجرس قال: "على بعض الأميركيين الذين يتباكون على طرد الهنود الحمر إلى القبور أن يفهموا بأن هذا لا يختلف عن موت جيل من أجل أن يفسح المجال للجيل الذي يليه". [المصدر السابق، ص: ٦٨].

وليام هاريسون الذي كان رئيسًا أميركيًا من الآباء المؤسسين استعرض أمامه الجنود الأميركيين، تم التمثيل أمامه بالهنود الحمر، ثم قُتل الزعيم الهندي تيكومسه شر قتلة ومزق جلده وفروة رأسه ليأخذه الجنود تذكارات لهم، ومع ذلك تحمل اليوم عدد من المدن الأميركية اسم هذا الرئيس وعشرات التماثيل متقلدًا سيفا وممتطيًا حصانًا، منها ما هو تحت قبة الكونغرس، ومنها ما هو قبالة البيت الأبيض بواشنطن، تخليدًا لما فعله بهنود الجنوب الحمر.

إن الكلمات التي نقلت عن باشغنتاكيلياس زعيم شعب دولاوير الهندي أنه قال سنة ١٧٨٧م، تعني مدى ما أحدثه المهاجرون القادمون من وراء الأطلسي من جرائم ظنوا أنها دفنت بمجرد الانتهاء منها، مستخدمين في تحقيقها السكاكين كغيرها من أدوات القتل بجانب الوعود الكاذبة إذا لم يستسلم الهنود الحمر لما يمليه عليهم القديسون بالسيادة عليهم «إنهم يفعلون ما يحلوا لهم، يستعبدون كل من ليس من لونهم. يريدون أن يجعلوا منا عبيدًا، وحين لا يتحقق لهم ذلك يقتلوننا. إياك أن تثق بكلماتهم أو وعودهم. إنها أحابيل، صدقني، فأنا أعرف سكاكينهم الطويلة جيدًا». [أميركا والإبادات الجماعية، منير العكش، ص: ٥٣]

يتألف الهنود الحمر من أربعمائة أمة عاشت في الأميركيتين، تعرضت مع قدوم الرجل الأبيض للإبادة بصورة تشبه المحو لوجودها ليستبدل الرجل الأبيض ثقافته بثقافتها. البعثات الأوروبية التي قدمت إلى أميركا للتعرف على من تبقى من أمم الهنود الحمر سجلت التناقص الخطير في أعداد الأمم الهندية، كبعثة لاسال، التي جاءت على إثر بعثة دوستو، وصلت إلى أميركا في ١٦٨٢م، أي بعد قرابة المئتي عام على قدوم كولومبوس إلى العالم الجديد؛ حيث كانت الأمم الهندية قد تعرضت لأعمال محو وإبادة واضحة ظهرت حين قامت تلك البعثة بتسجيل الأمم الهندية، وتعرفت على ٥٢ أمة فقط من الأمم الـ٤٠٠. تبعتها بعثة عالم الأحياء الفرنسي جان لوي برلانديه في عام ١٨٢٨م، فسجلت تناقصًا آخر للأمم الهندية التي سجلت أربع أمم هندية فقط. فيما سجلت غيرها من البعثات ست أمم فقط هي موهوك، أونيدا، أونونداغا، كايوغا، سينيكا، توسكاريرا، تنضوي تحتها شعوب الهنود الحمر وقبائلها.

مؤخرًا أجرت الولايات المتحدة في ١٨٩٢م إحصاء لما تبقى من الهنود الحمر على أرضها، وكانت نتيجته ربع مليون نسمة

[أميركا والإبادات الثقافية، منير العكش، ص: ٧٤] بدلًا من ١٨,٥ مليون قبل خمسة قرون!

مؤسسة سميثسونيان الرسمية الأميركية ظلت لفترة طويلة تنافح بأن عدد الهنود الحمر حين قدوم كولومبوس لم يتجاوز المليون. فرانسيس جننغز الرئيس السابق لجمعية الدراسات العرقية والمدير السابق لمركز تاريخ الهنود الأميركيين فند الزعم الباطل والافتراضات الزائفة المبنية على العنصرية.

درج الرؤساء الأميركيون فيما بعد على ما فعله الرؤساء من الآباء المؤسسين بالهنود الحمر فحذوا حذوهم واقتدوا بهم، فهذا الرئيس شارل غرانت من جهته أطلق سياسة السلام التي دارت حول اجتثاث الهنود بالتعليم والتبشير. وتكشف عن إصرار الرجل الأبيض على المضيِّ قدمًا في استبدال أنفسهم بالهنود الحمر، ومحو أية آثار قد تدل على أن غيرهم عاش على أرض العالم الجديد. وسياسة السلام هذه جاءت بعد فشل الرجل الأبيض في القضاء المبرم على الهنود الحمر بالحرب. هكذا يكون الكونجرس والبيت الأبيض ضالعين في تصفية الهنود الحمر في أرضهم. سياسة السلام تلك تنضح بذلك، والنص التالي يكشفها: «لقد انقضى عهد الحرب مع الهنود. ما نحتاج له اليوم هو جيش (مسيحي) من المعلمين. هذا هو الجيش الذي سيربح الحرب. إننا سنقضي على البربرية، ولكننا سنفعل ذلك بالقضاء عليهم بربريًا بعد بربري. سنغزو عقل كل فرد منهم، كل ذكر، وكل أنثى، وكل طفل، وسنعلّمهم الحضارة الحق. إننا سنقهر الهنود ونسحق هنديتهم بجيش من المعلمين المسلحين بالأفكار، ونحقق انتصاراتنا بالتدريب الصناعي وبإنجيل المحبة وإنجيل العمل». [أميركا والإبادات الثقافية، منير العكش، ص: ٩٧] والرئيس ثيودور روزفلت مضى على أثر سابقيه فقال: «لن تنتصر قيمنا الحضارية ما لم نتخلق بالأخلاق البربرية» [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٥٣]. وقوله كل تاريخنا الوطني كان تاريخًا للتوسع. ففي عهد واشنطن وآدامز توسعنا غربًا حتى الميسيسبي. وفي عهد جيفرسون توسعنا في القارة حتى ثغر كولومبيا. وفي عهد مونرو توسعنا في فلوريدا ثم في تكساس وكاليفورنيا. [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٧٧]

كذلك فعل الرئيس الأميركي جورج بوش الأب في حرب الخليج الأولى حين استخدم جيشه الرصاص والقذائف المصنوعة من اليورانيوم المنضب فلوثت الهواء وأضرت بالإنسان والحيوان والنبات والبيئة، وكشفه الأطباء، ولم يرحم حتى جنوده فأصيب منهم ٢٠٠ ألف بـ«مرض حرب الخليج» حتى لا يتسنى للسامع معرفة كنهه. مات منهم ١٥ ألفًا، وولد لهم أطفال مشوهون، نتيجة تمركز غبار اليورانيوم في الرئتين والنخاع والعظام، وسبب لآخرين أمراض السرطان المختلفة ومنها سرطان الدم والكبد. إن استنشاق غبار اليورانيوم يغير المورثات الجينية للإنسان. [من مقال لأحمد منصور في الأسبوع العربي العدد ١٨٤ تاريخ ٢٠٠٢/١١/١٦م].

وكذلك فعل بيل كلينتون في حصار العراقيين لفترتي رئاسته لأميركا، وأدى إلى نقص حاد في الغذاء والدواء، وتحدثت وزيرة خارجيته مادلين أولبرايت أنه لا يهمها موت ملايين من أطفال العراق جراء الحصار.

ثم تبعهم جورج بوش الابن في الحرب الظالمة على أفغانستان التي شنتها أميركا في أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، وأعادت استخدام اليورانيوم، لكن هذه المرة غير المنضب "الأشد خطورة" في القذائف فألقت منه ٦ آلاف قذيفة في شرق وجنوب ووسط أفغانستان، مما جعل الجميع عرضة لخطره المضاعف عن اليورانيوم المنضب؛ لأن غباره يتطاير في الهواء عند انفجار القذائف.

وللمقارنة بين استخدام اليورانيوم المنضب وغير المنضب أخذت عينات من دم الأفغان في المناطق التي تعرضت للقصف بالقذائف الأميركية، فإن أجسادهم تحتوي على ٢٠٠-٤٦٠ ضعفًا مما في أجساد العراقيين من استخدام اليورانيوم المنضب. [المصدر السابق] وواصل أوباما ثم ترامب حروب أميركا بالأسلحة نفسها ورموا أهدافًا في سوريا والعراق وغيرهما.

إن أناسًا فعلوا ما فعلوا، وفاخرت أجيالهم بكل ما فعلوه من جرائم يشيب لها الولدان، ويدّعون أن فعلهم ذلك قصدوا به العناية بالشعوب المتوحشة وتمدينها، ولم يشعر الأحفاد بالخزي من تلك الأفعال، وبالتالي الاعتذار للهنود الحمر... صاروا فيما بعد رأسماليين، ولم يتغيروا أو يأسفوا على ما اقترفته أيديهم، وصاروا زعماء المبدأ الرأسمالي، وانتهاء ما انتهى بهم الحال إلى إقامة مطاعم لاستقبال وطهي وأكل لحوم البشر، والمتاجرة بالأعضاء البشرية... إن أناسًا هذا حالهم حري أن يؤولوا إلى السقوط والاندثار قبل أن يتعرض العالم لأفعالهم السيئة. هذا ما عبرت عنه الكاتبة الهندية وينونا لا دوك التي تقدمت لنيل منصب نائب الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأميركية سنة ١٩٩٦م: «إن تجربتنا مع البقاء يشاركنا فيها الكثير من الشعوب، فهي ليست خاصة بالسكان الأصليين وحدهم، بل هي تجربة بقاء كل هذه الإنسانية التي تهددها أميركا بمصير السكان الأصليين» [أميركا والإبادات الجنسية، منير العكش، ص: ٧٩]

إن ظهور دولة الخلافة الراشدة الثانية على المسرح الدولي بمبدأ الإسلام الذي اختاره وارتضاه وأنزله رب العالمين ليكون عليه نظام الحياة على الأرض حريٌّ بأن تنقذ العالم مما مر به ووصل إليه من شرور ومصائب دامت لقرون خلت، وما زالت، إن دولة الخلافة تحمل عقيدة الطمأنينة للعالم، التي يجد فيها الهنود الحمر وأمثالهم السكينة فوق أرضهم، وإن لم يوافقوها ويجيبوها إلى ما تدعوهم إليه من اعتناق عقيدة الإسلام، فإن نظامه لا يبيد الإنسان ولا الحيوان، ولا يفسد الماء ولا الشجر ولا الهواء... بعد أن سلبها منهم الهاربون من الظلم في بلادهم ليمارسوه على غيرهم. ■

استعصاء المنطقة الإسلامية على الغرب

عصام الشيخ غانم

تعيش الأمة الإسلامية اليوم حالة فريدة من نوعها لا يمكن وصفها إلا بالمرحلة الانتقالية من نظام إلى نظام. وما يمكن مشاهدته في حالة الأمة الإسلامية اليوم أنها تخلع ثوب الحقبة التي أعقبت هدم الخلافة وتقوم بتجهيز ثوب جديد لها. وهذه المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية تتزامن أيضًا مع تغييرات عالمية كبيرة تفرض وجودها وأثرها على طريقة التفكير حول العالم. وحتى نفهم الحالة الإسلامية الجديدة «الانتقالية» ونلمس مظاهرها يجب وضع هذه التطورات في العالم الإسلامي وما يتعلق بها في العالم في سياق صحيح على النحو التالي:

أولًا: انهيار الاشتراكية

في الوضع الدولي الذي كان يقف فيه عملاقان فكريان في العالم (الرأسمالية والاشتراكية) وكان لكل واحد منهما دول تضم مئات الملايين من البشر، فقد تأثر العالم الإسلامي بذلك النزاع وبنفوذ تلك الدول في بلادنا، وكان انعكاس ذلك يمكن رؤيته في الأحزاب السياسية في بلادنا، فكانت إما أحزابًا ديمقراطية رأسمالية أو أحزابًا اشتراكية يسارية. وبفشل الاشتراكية في روسيا وأخواتها فقد تحطمت الركيزة الفكرية للأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم الإسلامي، فانهارت تلك الأحزاب وتفرَّق أتباعها. وقد ساهم ذلك في تسريع عودة أبناء الأمة للإسلام، إذ إن انهيار الشيوعية وانكشاف زيف حتمياتها، وتحوُّل بلدانها إلى الرأسمالية من جديد، وهو أمر مستحيل في النظرية الشيوعية، قد أسقط من أذهان المسلمين أي أثر لذلك الفكر الإلحادي الذي كان يتحدى الدين، فخلت أذهان المسلمين من واحد من الملوثات الكبرى. وكانت مشاهد عودة الإسلام في آسيا الوسطى والقفقاز مرعبة للمراقبين حول العالم، إذ وبشكل سريع نمت تيارات فيها زخم كبير تدعو من مناطق الشيوعية سابقًا إلى إعادة الخلافة، فيما اتخذت تيارات أخرى من تلك البلاد الجهادَ طريقًا للعمل الإسلامي.

ثانيًا: ما بعد حرب أميركا على الإسلام

تذرعت أميركا بـ«الإرهاب» فشنت حملات عسكرية على أفغانستان والعراق، وبعدها اليمن والصومال وسوريا، كل ذلك لقتل «الإرهابيين» على حد زعمها. قتلت الحروب الأميركية ملايين المسلمين في أفغانستان والعراق واليمن وسوريا والصومال وغيرها، وكانت تستهدف كل من ينادي بالإسلام، واستفحلت أميركا بجرائمها تعيث في الأرض فسادًا. وعلى وقع هذه الحرب الأميركية على

الإسلام والذعر الذي أشاعته فقد حصل ما يلي:

١- أدرك المسلمون بأن هذه الحرب هي حصرًا حرب على دين الإسلام، وأن أميركا تندفع بذعر منها متخوفةً من بناء دولة الإسلام العملاقة، ولم يكن هذا خفيًّا، فقد كان رئيس أميركا بوش الصغير يحذر بأن هذه التيارات المتطرفة تريد بناء دولة من إندونيسيا إلى إسبانيا. وفيما كان ذعر أميركا يدفعها إلى زيادة إجرامها، كان ذلك وعلى الجانب الآخر يدفع بالمسلمين إلى زيادة تعلقهم بدينهم ليس فقط عقائديًا، بل وبدعم التيار المتصاعد في الأمة والمنادي بفك الارتباط بين المسلمين والغرب.

٢- وعلى وقع الجرائم الأميركية في العراق ضد المدنيين والبنية التحتية التي تهدمت على وقع القصف الشديد فقد وصل عداء المسلمين لأميركا عنان السماء، وأصبحت أميركا في ورطة لم تحسب حسابها؛ إذ أصبحت العدو رقم **(واحد)** للمسلمين، وقد تأصل ذلك في نفوس الغالبية الكاسحة من أبناء الأمة الإسلامية.

٣- وعلى صعيد آخر وأمام الجرائم الأميركية والغربية في العراق وأفغانستان، فقد انهارت الدعاوى الغربية التي كانت عناوينها حقوق الإنسان والحرية وغيرها، فقد شاهد المسلمون الانتهاكات الأميركية الفظيعة في سجون أبو غريب وباغرام وغوانتينامو. وهذه الانتهاكات الجسيمة عرّت صورة أميركا وكشفت حقيقتها، فهي دولة متوحشة لا قيمة فيها للإنسان وحقوقه. وفضلًا عن انكشاف توحش أميركا أمام المسلمين، فقد أدى ذلك إلى انهيار آخر في الساحة الإسلامية؛ إذ انهارت الأحزاب الديمقراطية التي كانت تستقي من الغرب، بعد أن أصبح النموذج الغربي مقززًا ومثيرًا للاشمئزاز عند عامة المسلمين.

٤- أدت الحرب الأميركية على الإسلام إلى تعاظم ثقة المسلمين بدينهم، فقد رأى المسلمون عجز أميركا عن هزيمة المقاومة في العراق وأفغانستان، وهي مقاومة لا تملك من العتاد والتدريب إلا القليل القليل مقارنة بما يملكه الجيش الأميركي الذي ظهر عاجزًا خائفًا نازفًا يبحث عن مخرج. وقد ذكرت صحيفة في كيان يهود بأن أسوأ ما نتج عن الحرب الأميركية في العراق أن المقاتلين الإسلاميين لم يعد يخيفهم الجيش الأميركي، أي أن المسلمين قد أدركوا صلابة وقوة الركيزة العقائدية في القتال، وأنها توازي أو تزيد عن ركائز القوة العسكرية والاقتصادية التي يتمتع بها الخصم. وهكذا أصبحت الحروب الأميركية في العالم الإسلامي وبالًا عليها، وورطاتٍ تتوسل للخروج منها؛ لكن الأهم أن المسلمين قد اكتشفوا أن أميركا خاصة والغرب عامة يستهدفون دينهم ويكرهونه ويعملون يوميًا على تدميره، فولَّد ذلك ردة فعل حملت المسلمين على الالتصاق بدينهم والثقة به والاعتماد على ربهم بشكل جماعي لم يسبق له مثيل منذ ما يزيد عن قرن من الزمان.

ثالثًا: حكومات المنطقة الإسلامية

ولأن أميركا تريد تحقيق أغراضها بسرعة وبأقل الخسائر في حربها على الإسلام، فقد

دفعت معها الحكومات العميلة لتحارب معها الإسلام، وفعلًا انصاعت هذه الحكومات فأخذت تعتقل وتقتل وتشن حملات إعلامية وعسكرية كلها لخدمة أميركا، وكانت تلك الحكومات تندفع لأن أميركا تحفظ لها عرشها، بل إن أميركا قد فضحت تلك الحكومات حين أعلن ترامب بأن بعضها لن يصمد أسبوعين فيما لو رفعت عنها الحماية الأميركية!

وبانكشاف العداء الشديد للإسلام الذي تكنُّه الحكومات في المنطقة الإسلامية، وبسيرها مع أميركا لحرب شعوبها وضرب دينها، فقد تعرَّت هذه الحكومات، ولم يبقَ أي مبرر داخلي لوجودها. وبهذا فإن الأمة الإسلامية قد شاهدت معادلة الصراع بشكل هو الأوضح منذ ما يزيد عن قرن من الزمان، وفي هذه المعادلة تقف أميركا والغرب والحكومات في المنطقة الإسلامية في صف، فيما تقف الأمة الإسلامية وأحزابها المخلصة في صف آخر تمامًا، صف يعادي الإسلام وآخر يدافع عنه.

ومما يشير إلى وضوح الموضوع أيضًا ما يقوم به ابن سلمان في السعودية اليوم، فهو ينفذ الأجندات الأميركية بتحويل جزيرة محمد ﷺ إلى علمانية صريحة بعد أن كانت مقنَّعة، فرغم أن آل سعود لم يطبقوا الإسلام يومًا، فكانت بنوكهم تتعامل بالربا، وكانوا لا ينصرون مسلمًا في فلسطين، بل يتآمرون عليها، وكانوا يفتحون بلادهم لدول الكفر بما يتنافى مع أحكام الإسلام، إلا أنهم كانوا ببعض الأحكام البسيطة كالأحوال الشخصية، ورعاية المشايخ وإغداق المال عليهم يظهرون وكأنهم في صف المسلمين.

أما وقد جاهرت الإدارات الأميركية بعدائها للإسلام، وأنها لا تريد أن ترى شيئًا منه قريبًا من الحكم، فقد أخذ ابن سلمان يقيم حفلات الغناء الراقصة حول مدينة محمد ﷺ، المدينة المنورة، وأبرز الفسوق والفجور والاختلاط وبنى دور السينما والاستثمارات السياحية لزيادة الفجور، وزج بعلماء المسلمين في السجون. وفي مصر نادى رئيسها السيسي بتغيير دين الله تحت عناوين «التجديد»، فهاجم تبعًا لذلك شيخُ الأزهر أحكامَ الإسلام في تعدد الزوجات، وطار ذليلًا إلى أبو ظبي ليلتقي بابا الفاتيكان ليقدم له ولاءه، وبرزت علمانية مقيتة في مصر تحارب كل ما هو إسلامي. وليس هذا مقصورًا على مصر والسعودية، فقد أبرزت دويلة الإمارات عداءً منقطع النظير لكل ما هو إسلامي، وغيرها مثلها من حكومات المنطقة الإسلامية.

وهذا الواقع من إخلاص الحكومات في المنطقة في خدماتها لأميركا لضرب دين الإسلام وإن أدى إلى زيادة القمع والزج بالمخلصين في السجون؛ لكنه من زاوية أخرى، وهو الأهم، أدى إلى إزالة أي سبب لوجود هذه الحكومات فوق رؤوس المسلمين، فهي حكومات ممثلة للغرب المستعمر لبلاد المسلمين، وهي حكومات خادمة للكفار، مضيعة لمصالح المسلمين. وهذا الواقع حض المسلمين وبقوة على العمل للتخلص من هذه الحكومات؛ إذ إنها تمثل وجهًا آخر للاحتلال الغربي للعالم الإسلامي، ولا تكاد تجد في العالم بأسره

حكومات تعمل ضد شعوبها كهذه الحكومات، فهي جبرية بامتياز، ولا تجد أحدًا يدعمها في الداخل إلا أن يكون جزءًا منها، أو منتفعًا بها ترتبط أرزاقه بها.

رابعًا: الربيع العربي

ربما كان أهل الفكر فقط هم من يثق بذلك الوصف للحالة في العالم الإسلامي، بل إن أصحاب الفكر في الغرب كانوا ربما لا يصدقون بأن حالة العالم الإسلامي قد وصلت إلى هذه الدرجة من العداء لحكوماتها وللغرب، وأنها ملتصقة بدينها بشكل كبير، لذلك باغتت احتجاجاتُ الربيع العربي أجهزةَ المخابرات الدولية التي لم تكن تتوقع هذه الهبات الجماهيرية القوية.

انطلقت الجماهير في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا تريد هدم هذه الأنظمة الديكتاتورية المعادية لشعوبها، فكانت موجات قوية قادرة عل هدم النظام، وعندها دقت أميركا والغرب نواقيس الخطر وانتابها الرعب مما هو قادم في المنطقة الإسلامية. وكانت موجات الاحتجاجات لكمات قوية أسقطت من الأنظمة رؤوسها وبعض أركانها الآخرين، إلا أن نفوذ الغرب في المنطقة الإسلامية قد مكَّنه من تجنب الأخطر. فقد انطلقت قطر، وهي مطبخ السياسة الإنجليزية في المنطقة، تتبنَّى الاحتجاجات وتدعمها إعلاميًا وماليًا، وأخذت تحرك جماعات ذات صبغة إسلامية للمناداة بالإصلاح بدل التغيير الشامل لتفتَّ في عضد الجماهير الغاضبة، فبعد أن توجهت الجماهير المصرية لحرق سفارة كيان يهود في القاهرة، قبل الرئيس مرسي باستمرار الالتزام باتفاقية كامب ديفيد ومدّ كيان يهود بالغاز المصري. وفي تونس قبلت الحركات التي أبرزتها قطر بالنظام القائم، فحصل تغيير أشخاص دون أن يتغير في النظام شيء. وفي ليبيا واليمن دفعت المنافسة الأميركية والأوروبية عملاءهما إلى الحرب الأهلية.

كانت سوريا تمثل المأزق الأكبر للغرب؛ إذ ظهر في الاحتجاجات السورية وبشكل واضح المناداة بالخلافة طريقًا للخلاص؛ لذلك استمرت الثورة سنوات طويلة جنَّدت أميركا خلالها قوى دولية وإقليمية على جانبين؛ إذ جنَّدت روسيا وإيران وأشياعها للحرب العسكرية ضد الثورة بعد أن كاد النظام يسقط، وجنَّدت تركيا والسعودية لاحتواء الثوار بالمال والدعم السياسي، فما أن وثِق قادة الفصائل المسلحة بتركيا والسعودية إلا وقد وجدوا أنفسهم يسلمون المناطق المحرَّرة للنظام تحت الضغط التركي. تهدَّمت سوريا وانهارت مدنها تحت القصف الروسي والإيراني المدعوم أميركيًا وغربيًا، وتحطمت آمال السوريين بالتغيير تحت وقع الضغوط التركية والسعودية المدعومة أميركيًا هي الأخرى، وقد سمى أهل سوريا إحدى جمعهم بجمعة «أميركا: ألم يشبع حقدك من دمائنا؟».

وهكذا نقلت أميركا ودول الكفر، ومعها الحكومات في المنطقة، حالة الغضب والثورة إلى الفوضى؛ ولكن أميركا وأعوانها أيضًا لا يستطيعون التحكم بها؛ إذ إن حالة الغضب قد أصبحت كاسحة ومقرونة بالدم. وهكذا يمكن

الجزم بأن الأمة الإسلامية تعيش حالة جديدة عنوانها الرئيسي **الاستعصاء على الغرب**، وأنها اليوم بعيدة كل البعد عن أن تكون طيِّعة بيد الغرب تنفذ له مخططاته، وإن كانت الحكومات العميلة لا تزال تملك من بقايا القوة ما يؤهلها لخدمة أميركا والغرب وإضعاف شعبها والقضم من مصالحه. وحتى تكون الصورة واضحة بشكل أكبر نذكر المشاهد الكبيرة التي تدل على هذه الحالة «الانتقالية» الجديدة التي تعيشها الأمة:

أ- المشاريع الفكرية

لا يوجد في الأمة اليوم أي مشروع فكري غير إسلامي. فالتيارات اليسارية منعدمة أو هامشية إلى حد كبير، والتيارات الديمقراطية الموجودة ليست أحزابًا حقيقة، ولا يوجد لها صدى في الشارع، والكثير منها أحزاب مكتبية يقوم عليها نخبة صغيرة للغاية من العلمانيين الذي يجتمعون في مكتب واحد للإعلان عن مواقف معينة، فيما يعمل الإعلام على تكبيرها وإظهار مواقفها، وعقد اللقاءات مع زعمائها لإبرازها كأحزاب؛ ولكنها كلها أحزاب وهمية لا أنصار لها في الأمة، ولا تؤثر على الشارع إلا بقدر ما يعطيها الغرب من أموال لكسب الأنصار والولاء والفوز ببعض المقاعد المهترئة في برلمانات الحكام الصورية التي ما أوجدت إلا لأن تعمل كأداة تجميل للحاكم المجرم.

وأما حزب الدولة، أو حزب السلطة، فهو الحزب الوحيد الذي يقف في وجه الإسلام في كل البلاد الإسلامية، وهذا الحزب لا يوجد له أيديولوجية، فهو حزب قومي اشتراكي في سوريا، وكان كذلك في العراق، ثم تحول إلى حزب ذي صبغة إسلامية طائفية في العراق بعد الاحتلال، وهو حزب وطني للتحرير كما في فلسطين وقد سلمها لليهود، ويمكن أن يكون هذا الحزب مؤتمرًا كحزب حاكم السودان، أو نداءً كحزب حاكم تونس، أو جبهة تحرير لا علاقة لها بالتحرير كالجزائر، أو حزباً ثوريًا كإيران يسيطر على اقتصاد البلاد ويجوع الشعب، أو خذ من المسميات ما شئت، ففي لبنان هو حزب للمستقبل باعتبار استثمارات الحريري المستقبلية، أو حزب ثورة كحزب إيران اللبناني لتحرير فلسطين، فإذا به يقتل المسلمين في سوريا ولبنان ولا يقتل اليهود! فهذه الأحزاب التي هي أحزاب الحكام هي حزب واحد فقط، يناضل ضد الأمة من أجل امتيازات الحاكم، وليس له وظيفة أخرى، وهذا الحزب يفوز في الانتخابات رغم أن الأمة تعاديه بشدة، ففي سوريا تثور الأمة ضد بشار، وهو يفوز في الانتخابات، وفي لبنان ينتفض الناس ضد الحكومة التي لا تستطيع حتى جمع القمامة من الشوارع، ثم تفوز أحزاب السلطة في الانتخابات، وفي مصر تزيد الحكومة إرهاق الناس فيفوز حزب السيسي!!...

والكثير من الناس لا يعلمون أسماء هذه الأحزاب، فهي متغيرة حسب شخص الحاكم، وهي ليست شيئًا يذكر، فلا فكر فيها، ولا مشروع تدعو إليه، ولا مستقبل تعد به، وهي حصرًا حزب لنظام يملك طاقات الأمة جبرًا، فيستخدم هذه الطاقات في الإعلام وشراء الذمم ليفوز بالانتخابات، ولا فرق بين أن يكون

هذا الحزب محليًا كنداء تونس، أو ذا أبعاد إقليمية كحزب إيران اللبناني الذي يتقاضى رواتبه بملياري دولار من إيران، وإيران جائعة تخرج على حاكمها من شدة الجوع؛ لذلك فإن كل هذه الأحزاب، بغض النظر عن الاسم، ليست مشاريع فكرية، وعلى الرغم من كونها رأسمالية ديمقراطية أو ثورية أو ما شئت من المسميات، إلا أنها لا تدعو إلى أي ديمقراطية أو رأسمالية أو ثورة، إذ إن مثل تلك الدعوات ستسقطها من الحكم، فإذا ترك الشعب يختار حاكمه وممثليه فإن هؤلاء القائمين على حزب الدولة أو السلطة لا يمثلون إلا الفساد والتسلط والفشل في عيون الأمة.

وما يزيد في إركاس هذه الأحزاب أن دولها فاشلة بامتياز، فلا هي أحدثت نهضة، ولا أوجدت فرص عمل، ولا تنمية، ولا شيئًا من ذلك، لأنها تابعة للغرب الذي يريدها حرسًا للناطور (الحاكم) الذي يسهر على مصالح أميركا وأوروبا، ولا يعنيه شعبه بشيء. لذلك فهذه كلها أحزاب الفشل، وأحزاب الفساد، والتنفع بالسلطة، ولا قيمة لها بين الأمة، ولا وجود، وهي ستختفي كالأحزاب الشيوعية التي اختفت بعد سقوط روسيا، فلو رفعت عن تلك الأحزاب السلطة لوجدتها صفرًا، ولا أدل على ذلك من حزب البعث العراقي الذي صار صفرًا بعد أن فقد السلطة، والأحزاب التي ترعرعت بعده ستكون صفرًا عندما تفقد السلطة، وهكذا... أي أن حزب الدولة والسلطة لا يمثل أي مشروع فكري في الأمة، وهو يدور مع السلطة وجودًا وعدمًا.

وأما الحركات المصبوغة بالإسلام، وتوصف بالمعتدلة، فهي أيضًا لا تمثل مشروعًا فكريًا للأمة، وذلك أنها قد سارت مع المشروع الغربي للمنطقة الإسلامية والقاضي بتسليم مفاتيح الحكم لهذه الحركات لتكون سدًا ضد المشروع الإسلامي الحقيقي، وهذه الحركات قد تلوثت كثيرًا بالحكم، فقد تم تسليمها الرئاسة في مصر، ووقفت بجانب الحاكم في السودان، وكانت سندًا دينيًا قويًا للحكم الجبري في السعودية، وسيطرت جزئيًا على مقاليد الحكم في تونس، وبرزت بقوة في أطراف الصراع الليبي واليمني والفلسطيني. وفضلًا عن أن الأمة لم تلمس أي مشروع للإسلام تحمله هذه الحركات، ولم تطبق أي شيء منه حين تم تسليمها مفاتيح الحكم ولو جزئيًا؛ إلا أن تلقيها الدعم الغربي قد أفقدها الكثير من المصداقية. والكثير من هذه الحركات يعتمد على الدعم القطري والسعودي والتركي كشريان حياة له، وهذه الدول، قطر والسعودية وتركيا، هي أدوات للغرب، لذلك فإن دعم هذه الدول لتلك الحركات كان بقصد تسييرها مع الغرب، وهو ما كان فعلًا؛ إذ إن بروز هذه الحركات لفترة في الحكم لم يحمل معه أي مشروع فكري للإسلام، بل إن هذه الحركات ملوثة بمفاهيم تبعدها عن الإسلام، فهي تبنت مفاهيم المصلحة والتدرج وغيرها من المفاهيم التي تقربها من الغرب وتبعدها عن الإسلام، وهي لا تنادي بتطبيق الإسلام، بل تتملص منه كما كان في تجاربها في مصر وتونس وغيرها، وهي تتذرع بالتدرُّج لتهرب من تطبيق الإسلام.

وبالمجمل فإن الحركات التي تسمى بالإسلامية المعتدلة تفتقد لأي مشروع إسلامي واضح، وقد نجح الدعم الغربي عبر قطر والسعودية وتركيا بتحويل الغالبية العظمى من هذه الحركات إلى حركات وطنية، تعمل في حدود الوطن فقط.

وبهذا وذاك، فإن المشروع الفكري الوحيد الموجود في الأمة الإسلامية اليوم هو مشروع الخلافة، ولا يوجد أي مشروع يقابله، فالحركات اليسارية لا تنادي بالاشتراكية، والحركات الديمقراطية منعدمة، وليس لها وجود إلا حزب الدولة أو السلطة، وهو فاقد لأي أهلية لطرح مشروع فكري، وغير قادر على ذلك، بل لا يفكر في ذلك على الإطلاق؛ لأنه حزب تابع للاستعمار، وهو ينتظر التعليمات الصادرة للحاكم من واشنطن ولندن وباريس وموسكو. وأما حركات «الإسلام» المعتدل فهي لا تطرح مشروعًا إسلاميًا مخافة إغضاب الغرب، بل لا تملكه أصلًا في أدبياتها، وهي متلوثة بالدعم الغربي.

وإذا كان العالم الإسلامي يحوي الكثير من الحركات المخلصة، إلا أن المشروع الفكري الوحيد الموجود في الساحة هو مشروع الخلافة الذي يقدمه حزب التحرير. وعندما تكون الأجواء صافية نقية كما كان في سوريا، فإن الكثير من الفصائل المخلصة قد تبنت هذا المشروع؛ إذ إنها حركات قد دفعها إخلاصها للقتال ضد الحاكم دون أن تبلور مشروعًا فكريًا شاملًا؛ ولأنها مخلصة فقد وجدت في مشروع الخلافة ضالتها فتبنته، قبل أن يحرف الدعم التركي السعودي الكثير منها عن مشروع الخلافة الذي يتمسك به حزب التحرير، فابتعدت عن مشروع الخلافة وأضاعت تضحيات الشعب السوري.

ب- التأهب للانقضاض على الحاكم

مع تأصل شعور الأمة بأن الحكومات تعاديها وتعادي دينها، فإن الأمة تقف متأهبةً للقضاء على الدول العلمانية التي يدعمها الغرب الكافر بكل ما أوتي من قوة. ومع شعور الأمة بالثقة بنفسها وبدينها وسقوط هيبة الدول الكبرى، فإن الأمة تتحرك فعلًا للقضاء على هذه الدول العلمانية، وما المشاهد التي نراها بعد الربيع العربي من احتجاجات شديدة تظهر هنا وهناك إلا دليل قوي على تأهب الأمة للخلاص من هذه الحكومات.

فإن انطلقت شرارة في السودان يشتعل السودان، وما إن انطلقت شرارة في الجزائر حتى اشتعل الجزائر، وهكذا كان في الأردن، وقبلها في كردستان العراق، بل وفي إيران نفسها. فشعور الأمة بعبثية هذه الأنظمة شعور عميق وشامل، فهذه الأنظمة والحكومات من الجزائر إلى السودان إلى الأردن إلى إيران قد استنفدت كافة طاقاتها في خدمة الغرب، لا فرق بين الحكومات التي جعلتها أميركا معتدلة كمصر، والحكومات التي جعلتها أميركا في محور الممانعة كإيران وسوريا. فإيران تقاتل مع أميركا في العراق ضد «الإرهاب»، وجماعاتها العراقية هي ذات الجماعات الداعمة للحكم الأميركي في العراق بعد الاحتلال. والمظاهرات تخرج في تونس رفضًا للحكم القائم بما في ذلك رفضًا لحركة النهضة ذات الصبغة الإسلامية

المعتدلة، وقد خرجت في مصر ضد حكم مرسي لأنها لم ترَ فيه أي بديل للحكم القائم قبل أن يصبح خروجها موجهًا من الجيش من أجل الانقلاب على مرسي، والاحتجاجات عارمة ضد حكم البشير في السودان رغم أنه يعلن أنه «إسلامي معتدل»، فهذا كله لم يعد يجدي نفعًا. أي أن الأمة لم تعد تمرَّر عليها أكاذيب هذه الدعاوى، ولم تعد تنطلي عليها كلمات مدعيها الفارغة، فالأمة تريد أن ترى حكمًا حقيقيًا يطبق دينها ويعلي من مصالحها، لذلك فإن الأمة تلعن الدولة والحكومة، وتلعن حزبها، سواء أكان مسماه اشتراكيًا أم ديمقراطيًا أم يتنطع بالإسلام، وليس فيه من الإسلام إلا الاسم، فكل هذا لم يعد ينطلي على الأمة. والأمة تحتقر أصحاب المقامات من رؤساء وملوك ومدراء، وتحتقر من يدافع عنهم، وتنظر بعين الشفقة إلى المشايخ الذين يدافعون عن حكم آل سعود، بل وأنزلت المشايخ المدافعين عن البشير من على منابر المساجد في السودان.

وليس الكلام أن الأمة لا يعجبها هذا الحاكم فتريد تبديله ليبقى النظام نفسه، فقد شاهدت تبديل السيسي بمبارك، وتبديل هادي بعلي صالح، وتبديل السبسي ببن علي. وشاهدت الأقزام يتحدثون عن الحكم وهم ليسوا أهلًا له، واستمعت إلى الكثير من الخطب والمحاضرات، ثم تبين لها أن أصابع الغرب تعبث بهؤلاء الحكام أو المستوزرين، ورأت أمواله تغدق عليهم عبر قطر والسعودية وغيرهما، ثم وجدت الأسماء الجديدة على الطريق القديم نفسه، طريق بن علي ومبارك والقذافي وصالح وغيرهم... لكل ذلك فإن ما لا يريد الغرب الاعتراف به اليوم أن الأمة تريد فعلًا إسقاط النظام، وهي باتت عصية على الغرب في إقناعها بأسماء جديدة في الحكم ليسيروا على النهج البائد ذاته، حتى لو تسمَّوا زورًا بأسماء الإسلام، فالأمة تعرف الغث من السمين، وقد باتت تمتلك الميزان.

وهذا الميزان هو أقوى أداة لإنجاح التغيير الذي تمتلكه الأمة، فالأمة تريد مشروعًا إسلاميًا صافيًا نقيًا لا أثر فيه للغرب وأدواته، ورجال هذه المشروع لا علاقة لهم بأميركا والغرب، ولا علاقة لهم بقطر والسعودية وتركيا وأموالها وإعلامها، وفي الكثير من المواقع تعرف الأمة هؤلاء الرجال الذين يستمدون منها قوتهم، وهم يتكلون على ربهم ولأجله يسيرون. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ذلك الميزان الذي بات موجودًا لدى الأمة وتريد منه أن ترى حكمًا حقيقيًا يضع حدًا للحكم الجبري فيقبره ويدفنه ويقضي عليه فعلًا، وليس يخرجه من الباب مع تصفيق الإعلام ثم يعود إليه من جديد من شباك الانتخابات كما حصل من عودة الأنظمة نفسها في تونس ومصر وغيرهما، وكأن ثورةً لم تحصل! فالأمة تناضل اليوم وتخرج إلى الشارع حتى ترى حكمًا حقيقيًا، وتلمس في رجال الحكم الجديد رعاية مصالح الأمة رعاية فعلية، وتقطيعًا لأوصال دول الكفر أميركا وأوروبا خاصة من بلاد المسلمين، والأمة تريد أن ترى جيوشها تخوض الحروب لأجلها، فكيف يمكن لحكم أن يقول للأمة بأنه حقيقي وكيان يهود غاصب لفلسطين، قلب الشام، وكيف

يمكن لحكم حقيقي أن يستوي مع القواعد العسكرية الأميركية والأوروبية التي تعم المنطقة. فالأمة قد فقدت ملايين الشهداء في العراق وأفغانستان وسوريا وغيرها، ولا تبالي بتقديم المزيد منهم من أجل الخلاص من كيان يهود والقواعد العسكرية الأميركية وغيرها، وتوحيد بلاد المسلمين في دولة واحدة، وتطهير المنطقة من أي نفوذ للغرب الكافر.

ج- العداء للغرب

تكتسح الأمة اليوم موجة عارمة من العداء لكل ما هو أميركي أو أوروبي، فالأمة شاهدت إفلاس أميركا وأوروبا في مسائل حقوق الإنسان في العراق وأفغانستان، وشاهدت القصف الوحشي الأميركي للأعراس في أفغانستان، ودائمًا حجتها «الإرهاب»، وشاهدت كيف يقتل كيان يهود الجرحى من أهل فلسطين في الشوارع، وهم ينزفون على الأرض، ويقول يهود: دفاعًا عن النفس! شاهدت كل ذلك، وشاهدت صمت المجتمع الدولي اللئيم وبراميل بشار وقنابل روسيا تنهال على أفران الخبز والمشافي لتقتل أكبر عددٍ من الناس، وتهدم البيوت فوق رؤوس ساكنيها، والعالم يتفرج، أيْ راضٍ عن ذلك الوضع على أمل أن يضع بشار وبراميله حدًا لاندفاع الشعب السوري نحو الإسلام وبناء دولته.

ومن ناحية أخرى، فإن الغرب ينقلب على نفسه، فأميركا تريد أن تأكل حلفاءها الأوروبيين وتطالبهم بخدمتها والمزيد من الدفع لقاء الحماية العسكرية، وترى حكومات أميركا وأوروبا تأكل شعوبها لصالح رأسماليها، فكانت حركة «احتلوا وول ستريت في أميركا»، وحركة السترات الصفراء في فرنسا، تعبيرًا عن أن الرأسمالية قد بلغت مداها بالكامل، وآن أوان رحيلها حتى عن الغرب نفسه؛ لذلك فإن الرأسمالية بكل إنجازاتها لم تعد موضع احترام عند المسلمين، فهي كالوحش الذي يهاجم الآخرين لأكلهم، هكذا كان في العالم الإسلامي منذ «النهضة» الأوروبية وبداية عصر التوحش الرأسمالي، فإن لم يجد ما يأكله في الخارج أخذ يأكل نفسه، وها هي تأكل نفسها. وهذا النظام يجب أن يتم التعامل معه بعدائية كبيرة حتى قلعه من الكرة الأرضية، ولا تستحق دوله أي احترام. وهذا عين ما يزرعه دين الإسلام في نفوس المسلمين بأن يهبوا لإنقاذ العالم من هذا النظام المتوحش المسؤول عن قتل عشرات الملايين من بني الإنسان، وتجويع مئات الملايين من البشر.

وبالتدقيق، نجد أن الموقف في المنطقة الإسلامية جدٌّ لا هزل فيه، أمة يملؤها كُره الغرب الاستعماري، متأهبةً للخلاص منه ومن أتباعه المزروعين في الحكم في بلاد المسلمين... ونجد أن هذه الأمة وعلى عكس حالتها قبل عقود ثلاثة أو يزيد، فإنها اليوم تبصر طريقها وتشقه، وهي واثقة بنفسها وبقدراتها، فالعقيدة الإسلامية وما تولده من طاقة أيديولوجية قادرة على الوقوف في وجه الغرب، وقادرة على هزيمته رغم امتلاكه للآلة العسكرية الضخمة والقوة الاقتصادية الهائلة، بل وتدرك الأمة الإسلامية مواطن ضعف الرأسمالية، فالديون تكاد تعصف بأميركا، والإجرام في

نفوس شواذها يفتك بها نفسها، وهي قادمة إلى انقسام كبير لتنشغل بنفسها، ولكن الأمة الإسلامية لا تنتظر ضعف الغرب لتتحرك، بل تحركها عقيدتها، والحيوية والاندفاع فيها تشاهَدان بالعين المجردة، وبدون أي مجهر استخباراتي، فتتحرك عند كل نازلة وواردة.

والأمة تكنّ كرهًا شديدًا لحكامها، وليست مستعدة للتسامح معهم، وتدعو ربها أن ترى فيهم يومًا أسود، ولا تخفي ذلك، وهذا ما يرعب الحكام ويجعلهم ينفذون كل ما تطلبه منهم أميركا على أمل حمايتها لهم من شعوبهم. وبعد سلسلة من التجارب المريرة، من اشتراكية فديمقراطية مزيفة، إلى علمانية صريحة أو مبطنة يسمونها «إسلامًا» معتدلًا، هذه الأمة وبعد هذه التجارب قد صارت تعرف قيادتها الفكرية، وتشير بالبنان إلى من لم تتلطخ أيديهم بدعم رخيص من أتباع الاستعمار قطر والسعودية وتركيا، إلى من لا يتهاونون في شرع الله، ويعرفونه من كتاب ربهم وسنة نبيهم، وليس من بنوك التفكير الأميركي والأوروبي التي أنتجت لهم فكرًا مرنًا يسمونه «إسلامًا». وهذه الأمة تعرف مشروعها الوحيد، وهو مشروع الإسلام العظيم، دولة خلافة على منهاج النبوة، فعلًا قبل أن تكون قولًا، عن طريق تطبيق نظام الإسلام كاملًا في مناحي الحياة، حتى يرضى عنهم ربهم، ويفتح عليهم بركات السماء، إسلام لا تشوبه شائبة، نظام طاهر نقي كما نزل على نبيه ﷺ، دونما حاجة لفلان ليقول عنه مرن أو متطرف، فهو نظام الله الذي ارتضى لعباده أن يعيشوا وَفقه، فيكون طريقهم إلى سعادة الدنيا، وأهم من ذلك إلى الفوز بجنة عرضها السماوات والأرض.

هذه هي الحالة «الانتقالية» الجديدة التي تسيطر اليوم على أحوال الأمة الإسلامية في جميع أقطارها، وهي حالة تجد فيها أميركا وأوروبا أدواتها معطلة، فالأمة لا تكنُّ لهذه الدول المتوحشة أي تقدير، ولا تثق في سياساتها التي لا تهدف إلا لضرب دين الله واستمرار نفوذها في ديار الإسلام، ونهب ما فيه من قدرات وثروات، ولا تجد أميركا أي فعالية لأدواتها من حكومات محلية قد أزكم فشلها وخبثها وخياناتها كل الأنوف، فلم يعد لها من أتباع إلا بقدر ما تنفق من نقود ووظائف، بل إن الأمة تطارد هؤلاء الحكام وتتأهب لصرعهم وإقفال هذه الصفحة الأليمة من تاريخ هذه الأمة العظيمة. وإذا كان الغرب يدافع عن نفسه وعن نفوذه بكل ما أوتي من قوة وإجرام، فإن أمة الإسلام بحاجة إلى انتصار واحد فقط، ليكون له ما بعده، وإذا ما سقط حاكم سقوطًا حقيقيًا فإن سقوط باقي الحكام في جميع العالم الإسلامي مسألة سنة، وقت قصير؛ لتتحول هذه المرحلة «الانتقالية» إلى مرحلة استقرار من بناء دولة الإسلام العظيم، عملاقًا جبارًا يحقق قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتكون هيمنة الإسلام ودولته، وتنقلب الأمور دوليًا بسرعة قياسية تمامًا كما انقلبت على فارس والروم، وبرزت دولة محمد ﷺ قوة لا تقهر... وإن غدًا لناظره لقريب.

الثورة في سوريا مستمرة، والإسلام هو الحل، والطريق هو طريق الرسول ﷺ

حسن عبد المعطي

صاغت الدول التي تدخلت في الثورة السورية وعلى مختلف المستويات، وسواء أكانت في صف المعارضة أم في صف النظام، صاغت نهاية الثورة على أساس الحل السياسي الذي يثبت النظام العلماني والنفوذ الأجنبي في آن معًا، بالقضاء على كل القوى المخلصة وتفتيتها، وإعادة قوى المعارضة المروَّضة الباقية إلى حضن النظام، وهكذا كانت محطة الثورة في إدلب متوقعة وليست مفاجئة، مع أن الآمال كانت عريضة والدعوات كانت كثيرة لتصحيح مسار الثورة والصمود، ثم النهوض لهزيمة النظام وإسقاطه قبل محطة إدلب المؤلمة.

إذًا، إدلب الآن هي محطة من محطات الكيد والمكر بالثورة السورية المباركة قبل الإجهاز عليها كليًا!! فهل سيستمر القطار بالسير وفق المخطط الخارجي المدمر؟! أم أن هنالك أملًا في تصحيح المسار، والحد من الأخطاء الداخلية الممزِقة، والاستمرار بالثورة حتى تحقق غايتها؟

وللجواب على هذا السؤال، ينبغي أولاً تقرير حقيقة ثابتة بأن الثورة هي إرادة التغيير؛ تغيير الواقع الفاسد والانتقال إلى واقع أحسن؛ وبغض النظر: هل تم بلورة صورة للواقع الأحسن أم لا، فإن إرادة التغيير كانت الباعث والمحرك للثورة على أوسع نطاق. وعلى الرغم من وجود قطاعات ضيقة لم تبدأ الثورة عندها حتى الآن، وهي منغمسة في الواقع الذي فُرض عليها في حضن بشار أو في حضن الدولار، وعلى الرغم من وجود قطاعات أوسع ممن انتهت الثورة عنده لأنه فقد الأمل أو ضاع في طرقات الهدن والمصالحات والتسويات؛ إلا أن القطاع الأوسع هو المستمر في النضال أيًّا كان الموقف، ومهما كانت المتغيرات. ولهؤلاء كتبت هذه المقالة لعلها توسع الأمل، وتضيء الطريق، وتجدد العزائم لتصحيح المسار.

ولن أحصر هؤلاء في إدلب وحدها، فمنهم الأسرى في مناطق النظام، ومنهم المهجرون في الشتات، ومنهم الباقون في المناطق المحررة، فلكل هؤلاء، أهل الثورة الحقيقيين، تكتب هذه الكلمات... نعم أرادت جميع الدول المتدخلة في سوريا وأد الثورة والعودة إلى نظام استعباد البشر تحت مظلة الاستعلاء والهيمنة العالمية، وكانت في الصورة محطة إدلب التي نُقلت إليها القوى الرافضة للمصالحات والتسويات، وأتت معها أو قبلها الكثير من العائلات والأفراد الذين تجسدت فيهم روح الثورة ورفض النظام.

وهذه الدول تحتاج إلى وقت وإلى فخاخ وأعمال سياسية حتى تنهي هذه القوى، وتنهي الأمل في حاضناتها، وتصل بالثورة إلى الحلقة

الأخيرة في إخراج النظام الجديد الذي يرث سابقه بأمنه ومخابراته، ويحافظ على وظيفته الأساسية في رعاية مصالح الأجنبي ومحاربة الإسلام والحفاظ على أمن كيان يهود.

هذه القوى يمكن القول بأنها مخلصة ولاشك، بدون قياداتها. وهي في الواقع متنافرة ومتنافسة، ولن تجتمع هي لوحدها، ولن تجمعها تلك المبادرات الواقعية الناقصة، ولا تلك الأماني الحالمة. وهذا التأخير، وهذا الوضع هو ما يفيد اللاعبين الدوليين والمحليين في انتهاز الفرص وخلق المشكلات لتفتيتها والقضاء عليها.

ولكن شاء الله تعالى أن يتواجد في الساحة من يريد الجمع والطرح على أسس ثابتة، ووفق رؤية واضحة، وإلى هدف صادق يطلبها بإلحاح كما هي تطلبه، جمعًا يرص الصفوف ويحزمها بحزام الحاضنة الثائرة، ويطرح النواقص والضفادع، ويقلب الطاولة على رؤوسهم، ويدفنهم في أحقادهم. وحتى تكتمل الصورة لابد من الوقوف على المحاور التالية: ١- طاقاتنا المتوفرة – ٢- وعي الحاضنة المتلهفة– ٣- القيادة الغائبة – ٤- صياغة الحل.

١- طاقاتنا المتوفرة:

عندما قرعت طبول الحرب على إدلب – وهذا من خطة الماكرين ولا ريب – وجدنا أن القوى المدافعة هي أكبر حجمًا وعددًا وحماسةً وإصرارًا من الفصائل الموجودة والمشهورة على الساحة، بل من الحيف القول إن الفصائل استعدت ذلك الاستعداد اللافت للنظر، وكان المشهد غير بعيد عن أهل المكر والخداع حتى قال قائلهم: «إذا بدأت معركة إدلب، لا نضمن أن لا تستعيد المعارضة مناطق واسعة خاضعة لسيطرة النظام» ونحن هنا لسنا بصدد التحليل السياسي لنرصد كيف كانت حركات المتآمرين ومكرهم؛ ولكن نحن نرصد حركة الناس والقوى الكامنة فيها، ومن الجدير ذكره أن اتفاق سوتشي كان المخرج من حرب ربما يستطيع النظام وروسيا، ومن ورائهم أميركا، بدءها؛ ولكن لا يعرفون نهايتها ولا يعرفون نتيجتها.

ولابدّ لكل ذي رأي أن يحدد موقفه الرافض لاتفاق سوتشي، وأن يعمل بكل وسيلة على إفشاله، وقد كُتب في هذا الكثير وقيل فيه الكثير؛ ولكن الذي يجب التركيز عليه الآن هو مخرجات سوتشي؛ لأن هذه المخرجات وما يبنى عليها من أعمال سياسية وعسكرية هو ما يستهدف هذه القوى الكامنة، ويعطل ويشل كامل القوى، ويسقط الحاضنة في اليأس وفي طلب الخلاص بأي ثمن.

نعم، إن حركة القوى المتناثرة والمبثوثة بين الناس، وحتى تلك المنضوية اضطرارًا في فصائل كبرى، بل حتى حال عناصر الفصائل الكبرى المتململة قد أرعبت كل من يريد شرًا بنا ويريد إنهاء الثورة!! وليست القضية هنا البحث في موازين القوى بين الطرفين، ولا البحث في قدرات تلك القوى وحساب عتادها وعديدها!! ولكن موضع البحث هو الثورة وإرادة التغيير، فكانت صورة الحال في قرع طبول الحرب مع ما ظهر في الناس من تصميم على القتال والمواجهة مرعبة للغرب، صورة حقيقية وليست خيالًا ولا أوهامًا؛ ولهذا السبب تأجلت المعركة ولكن لم تلغَ من

مخططات الماكرين... ولمزيد بيان نقول: إنه قد ولدت في أذهان الناس وفي عزائمهم حالة من التصميم على المواجهة كانت هي المغذية للثورة ومغذية لاستمرار الثورة، وهذا ما لا يريده الغرب بل يعمل على وأده وإنهائه بشكل نهائي. والسبب ببساطة أن مجموع الناس الآن قد اتخذت قرار المواجهة والقتال، ولم يُلتفت كثيرًا لقرار الفصائل ومواقفها؛ فكان رعب الغرب والنظام هو عودة الناس للقتال، وهذا معناه عودة صورة عام ٢٠١١م و٢٠١٢م، وهي الصورة المرعبة التي لا يستطيع الغرب تحمل تكرارها ولو ليوم واحد، وكل ما سجله التاريخ في ذاكرة الثورة من مكر، وتآمر، وكذب الصديق، وبطش وعدوان العدو، وبيع وشراء بغرف الموك والموم، وخبث وعبث من منظمات الإغاثة ولواحقها، والحصار، والتجويع، والقتل، والتهجير... كل ذلك كان المقصود منه تثبيت فصائل خانعة تؤمر فتطيع، ويطلب منها الوقوف فتقف، ويطلب منها التوقيع والمصالحة فتقبل، فصائل كهذه هي الصيغة الوحيدة المقبولة دوليًا، وأي تغيير لهذه الصيغة يعني فشل الخطة الدولية للقضاء على الثورة ـ ولو مرحليًا ـ وهو رعب وكابوس كان قد شيّب رأس أوباما سابقًا، وسيصدع رأس من أتى بعده وكل المشاركين في جريمة العصر.

وختام هذا المحور أن يحسّ أهل الثورة الحقيقيون، ونحس نحن المخاطبين بهذا المقال، بالمشهد المتغير. ونحس نحن بالنفوس التي نادت بالتغيير الحقيقي وهي تدرك فعلًا أنها قادرة على قلب المعادلة والاتجاه إلى الهدف، وهو النصر الذي يطلبها كما هي تطلبه.

٢- وعي الحاضنة المتلهفة:

ربما لا أتردد في وصف مقاتل ألقى السلاح وجلس في بيته أو صالح النظام أو سافر إلى تركيا أو للخارج بأنه قد يئس وانتهت الثورة عنده، ولكن لا أتخيل أبدًا أن الثورة انتهت في نفوس الناس الذين يشكلون الحاضنة الشعبية التي حملت الثورة وتحمَّلت وضحَّت إلى هذا الوقت. واليأس الذي ربما يظهر عند الناس ليس مداره وجود القدرة على الخلاص من بشار وتوابعه القذرة من عدمها؛ لا، ليس هذا، ولكن اليأس عند الناس تمثَّل بوعي منهم، وبالقول إنه لا أمل في هذه الفصائل أن تنتصر أو تجتمع أو تحقق حتى الحماية والدفاع عن النفوس والأعراض... وهنا نرصد حالة الوعي التي تختلف عن حالة الالتهاب والاستعداد للمواجهة. إذًا، لابد من تشخيص الحالة بشكل جيد حتى يكون الرأي صائبًا غير زائغ ولا مزيف. إذًا، اليأس هو من الفصائل ومن قياداتها تحديدًا، وليس اليأس من التغيير والقدرة على إسقاط النظام. وكل من قال تعبنا وأرهقنا ومللنا كان يقصد التعب والضنك من عبث الفصائل ومن سلوكها المعوج، ولا يقصد بحال من الأحوال أنه تعب من الثورة أو المواجهة مع النظام!

لقد واجه الناس النظام بكل جرأة وصلابة، وهم لا يملكون شيئًا وهو يملك كل شيء! ولقد تحمَّل أهل سوريا فاتورة تأديب الشعوب المستعبدة قاطبة، كل من يفكر بالثورة في العالم الإسلامي أرادوا له أن ينقطع قلبه وينخلع فؤاده وتشل حركته مما يجري في

سوريا، ومع ذلك صمد الناس ولم يترددوا في المضي بالثورة والإصرار على إسقاط النظام، هذا على مستوى أهل الشام، أما قابلية التحرك من قبل أبناء الأمة فهي ممكنة وواردة في أي منطقة في العالم الإسلامي، والخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، ولعل مشهد الشام الدامي يكون محركًا للتفكير بالطريق الجاد للتغيير؛ ولذلك نقول إن الحاضنة الشعبية بصبرها وتحملها وإصرارها وبأبنائها المقاتلين هي إرادة التغيير، هي الثورة، وهي بعد التوكل على الله ضمان النصر بإذن الله تعالى.

وختام هذا المحور أن يحسّ أهل الثورة الحقيقيون بالوعي المتصاعد عند الناس، والمهم أن تنتقل الأمة من منطقة اليأس من قادة الثورة، ومن الوسط السياسي الفاسد الذي حاصر الثورة بجدار التآمر الدولي... إلى منطقة البحث عن القادة الحقيقيين، أو إيجاد المقاييس الصحيحة للقيادة الجديدة، وهو مطلبنا في بحث النقطة التالية.

٣- القيادة الغائبة :

لقد شكَّل غياب القيادة المسيطرة على الناس والفصائل عقدة في الحل الأميركي للقضاء على الثورة والمحافظة على النظام في سنوات الثورة الأولى. وقد أجمع الكثير من المراقبين أن طول الأزمة السورية سببه غياب تلك القيادة، وأما ما تم تصنيعه في الخارج فلقد كان ممسِكًا بصندوق المال وشاشة الإعلام ليس غير؛ ولذلك كانت كل محاولات الغرب هي إيجاد قيادات تمسك بالقوى المسلحة أولًا، وقادرة على التحكم بالناس ثانيًا، حتى تعطيهم أميركا فرصة الصعود إلى السلطة في سوريا مع بشار أو بدونه.

ولكن هذه العقدة في الحل الأميركي لم تمنع الدول من المكر واللعب بأوراق أخرى، ليس الاقتتال والاتجار والحصار والتجويع بأولها، ولا المصالحات والهدن والتسويات آخرها... فغياب القيادة وإن كان معطِّلًا للحل الأميركي، ومؤخِّرًا له حينًا من الزمن؛ ولكنه معضلة في سير الثورة ونمائها وتكامل رصيدها حتى تبلغ مداها وهدفها من جهة أخرى، ومنه كان فقد القيادة سببًا رئيسًا في تأخر الإنجاز، وضياع الطاقات، وتبدد الجهود، وارتفاع فاتورة الدماء والدمار.

وختام هذا المحور أن يحسّ أهل الثورة الحقيقيون بضرورة إيجاد القيادة الواعية المخلصة، وضرورة وضع المقاييس الصحيحة التي تقبل بها قيادة أو ترفضها أخرى، والأَولى من ذلك كله هو أن يباشر أهل الثورة بأنفسهم ومن بينهم إيجاد من يأخذ زمام القيادة على أسس صحيحة. وهنا نلج إلى خاتمة الختام في محور صياغة الحل.

٤- صياغة الحل:

الحل كلمة صعبة وشاقة على السياسيين المخلصين، ومسؤولية عظيمة ملقاة على كواهلهم. وأما الحلول المطروحة فهي سهلة ميسورة مبتذلة عند كل بوق فارغ، وعند كل سمسار لزبائن السفارات ومرتادي المؤتمرات وأقزام المؤامرات. ولن نبالغ إذا قلنا بأن أميركا بقوتها ومكرها وأدواتها، وروسيا بكل حساباتها وحقدها، والغرب بكل ما يتربص به ويحاول ويقدم ويؤخر... نقول بأن الكل لا يملك

الحل في سوريا، ولا في أيّ قضية من القضايا العالمية. والمقصود بالحل من وجهة نظرهم هو الحل الذي يثبت أقدامهم كدول كبرى تريد القسط الأكبر من الكعكة، وتريد نهاية الثورة في نفوس الناس، ونهاية التمرد على النظام العالمي؛ لتعود القطعان إلى الحظيرة، ويرجع الدجاج إلى القن. هذا هو الحل الغربي الذي توسوس به شياطينهم ومفكروهم، ويحلم به أشد المتفائلين من ساستهم. وأما الواقع الذي يؤمنون به فهو أنهم يؤخرون ساعة سقوطهم عن عرش الاستكبار والطغيان العالمي.

والناظر إلى أبرز القضايا في بلاد المسلمين يرى أن أفضل ما حصل عليه الغرب بكل تدخلاته وعظيم مؤامراته وفداحة أخطاء المسلمين وقباحة جرائم الخونة والمتعاملين كان كسب جولة أو نصف جولة كما حصل في فلسطين أو أفغانستان أو العراق... نعم كسب جولة أو نصف جولة هو أفضل إنجاز للغرب إن صح التعبير، فلا تزال المنطقة ساخنة والقضايا مشتعلة والحلول على القياسات الغربية بعيدة المنال ومرفوضة من عامة الناس، ولعل أجدر عمل نجحت فيه أميركا على وجه الخصوص هو تدوير الأزمات وإدارتها نحو تثبيت عملائها على كوم من الخراب والركام في دول هشة لا تأتيها بفائض الكسب المعتبر الذي يناسب عقليتها الرأسمالية الجشعة، وكلها دول تسبح على فوهة بركان يغلي وقابل للانفجار في أي لحظة.

نعم، قد تجيد أميركا إدارة الأزمات وتدويرها وتطويلها حتى يتهيأ الحل الذي تريد، وهي لا تيأس ولا تترك الساحة أبدًا ما كان فيها عرق ينبض؛ ولذلك تجدُ الفارغين والمتلاعبين الذين يجيدون العزف والغناء على الألحان الدولية المشدودة على أوتار العمالة والخيانة لازالوا في المشهد أو في سدة الحكم، فقد يأتي حامد كرزاي، أو المالكي، أو عباس، أو السيسي، أو السبسي... مع جولة أو نصف جولة من جولات الغرب الماكر؛ ولكن لا أحد يجد الحل، وليس عند أحد الحل، وقد تزداد وتيرة بطشهم وجبروتهم بمقدار ما يزاد خوفهم وانقطاع قلوبهم مما سيلحق بهم وبعروشهم عند التغيير القادم الذي يطاردهم ويقضُّ مضاجعهم.

نعم إن الحل كلمة صعبة شاقة على السياسيين المخلصين؛ ولكنَّه من السهل جدًا، ومن الميسور جدًا، إدراكه والاهتداء إليه!! لقد جاء في طيات هذه المقالة عبارة أن الهدف والنصر تطلبه الجماهير كما هو يطلبها، نعم هذا هو مفتاح الحل، وهذه هي الإشارة إليه التي تلوح كلما قرأ العاقل الواقع وقلب الفكر فيه، وصدق الشاعر حين أنشد:

إن اللبيب إذا تعقد أمره
فتق الأمور مشاورًا ومناظرًا
وأخو الجهالة يستبد برأيه
فتراه يعتسف الأمور مخاطرًا

إن الذي يخضع الحل للعاطفة، تفاؤلًا كانت أم تشاؤمًا، والذي يخضع الحل للواقع مساعدًا كان أم ممانعًا، والذي يخضع الحل للهوى كريمًا كان أم متنازلًا، فإنه لن يجني العنب ولن يحصد الخير له ولا لأمته، ولن يقدم لأحداث الزمان غير أصفار الخيبة. وأبلغ ما يمكن أن يبلغه هو أن يكون جسرًا تمر عليه المصائب

والمكائد والنكسات على البلاد والعباد، وأسوأ من هذا وذاك من يستجدي الحل من عدوه، ومن يطلب العون من قاتله. وصدق من قال: «إن طلب الحلول الدولية من هيئات التآمر الدولية هو الانتحار السياسي بعينه».

إن الحل ثقيلٌ، وحملهُ ليس سهلًا؛ ولكن الاهتداء إليه سهل جدًا من رجال وطدت نفوسها لقبول الحق والتواضع لقول الحق، من رجال صدقت مع نفسها واحترمت عقولها أولًا، وصدقت مع أهلها وأخلصت لبلادها ثانيًا؛ وذلك أنها قصدت الحل من مصدرٍ صحيح موثوق، لا من شرق ولا من غرب ، لا من عاطفة ولا من هوى، ولم تجعل الواقع ولو ثقلت قيوده على كاهلها مقيدًا لفكرها ولإرادتها ولحركتها، نعم الحل فكرٌ صحيح وإرادة حرة وحركة مستقيمة، لا تقبل الخطأ ولا الخنوع ولا الانحراف مهما كان الثمن، ومهما طال الزمن أو قصر.

إن الإسلام هو الحل حقيقة لا شعارًا، فطاقاتنا وقدراتنا المبعثرة لا يجمعها غير الإسلام بعقيدته الصافية النقية التي توجد حرارة إيمان تدفع إلى العمل، قال تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

فطاقاتنا وقدراتنا المبعثرة لا يجمعها غير الإسلام، ولا يضعها في مكانها ويحافظ عليها غير الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما شأن المقتول؟ قال لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه**». وقال الله جل وعلا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾. وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾. وعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قَالَ: كُنَّا عِندَ النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّينِ عَن يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّينِ عَن يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ في الخَطِّ الأَوسَطِ فَقَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ رَوَاهُ ابنُ مَاجَهْ. وَقَالَ تَعَالى:﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

وعن ثوبان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خير أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**» أخرجه الحاكم في مستدركه، والمعنى: أي لن تحصوا الخيرات المتأتية من الاستقامة .وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ

لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

ولن يثمر عملنا ويلتقي مع النصر الذي يطلبنا إلا على طريق الإسلام، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**". وقال تعالى:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ ﴾

هذه الحقيقة هي كالشمس في رابعة النهار، راسخة في القلوب رسوخ الإيمان، واضحة في العقول وضوح البديهيات، مدركة بالحس إدراك الكليات والجزئيات؛ لكنها لن تأتي لوحدها، ولن تأتي بها الملائكة على أجنحة تحملها، بل تحتاج أن يحملها الرجال الرجال حملًا صادقًا قويًا، أي حمل المشروع الإسلامي كاملًا غير منقوص حملًا واعًيا ومتحديًا وسافرًا، ولابد لحملة الدعوة أن يبرزوا في الميدان، ولابد أن يرفعوا الصوت ويوقظوا النائم وينبهوا الغفلان ويزجروا المتهاون الجبان.

إن الإسلام هو الحل، هو برنامج عمل يحمله ويعمل به بصدق **حزب التحرير**، وإنه لواضح ومفصل عنده على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس من المناسبة بيانه للقارئ الكريم في هذه العاجلة، ولكن ما يجدر التركيز عليه في هذه المقالة هو أن كل ما صدر عن **حزب التحرير** في طريقته الشرعية للتغيير، ونظرته للدولة الإسلامية المنشودة ودستورها وأجهزتها وإدارتها... كان من المصدر الموثوق عند كل المسلمين: القرآن والسنة وما أرشدا إليه من طريقة صحيحة في الاجتهاد، وكل ما بيَّنه **حزب التحرير** في معالجة قضايا المسلمين المشتعلة عامة، ومنها الثورة السورية المباركة خاصة، كان مستندًا إلى فهم مستنير للواقع، وإدراك عميق للمؤامرات الدولية، وأخذ الحلول والمعالجات من الإسلام الصافي الزلال، فكان عملًا دؤوبًا ومتواصلًا لجعل الإسلام هو الحل، أي لأخذ الحل من شريعة الله التي أنزلها الله رحمةً ونورًا وتبيانًا لكل شيء، والأمل أن يمتلئ المسلمون شوقًا لمعرفة ما في خزانة **حزب التحرير** من كنوز الانضباط بالشرع الحنيف، والالتزام بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم المستقيمة على أمر الله في التغيير، وهذا ما يترجم نداء المنادين من أهل الثورة بأن قائدهم إلى الأبد فيها هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم... هذا هو طريق الحل الذي يرضي ربنا، وينقذ أمتنا، ويستجلب النصر الذي يطلبنا كما نطلبه، والله المستعان وعليه التكلان.■

تغيير نظام الإنقاذ وإقامة نظام الإسلام واجب تمليه عقيدتنا الإسلامية

عبد الله عبد الرحمن (أبو العز)

عضو مجلس حزب التحرير/ ولاية السودان

لقد ظل حزب التحرير النذير العريان الذي يأخذ بيد الأمة،ويأخذ على يد الظلمة، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، امتثالًا لقول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وقد قام الحزب امتثالًا لهذا الواجب، بكشف الباطل وأدوار الاستعمار، وقام بتعرية هذا النظام للأمة، والاتصال بقيادات هذا النظام منكرًا عليهم، ومبينًا لنظام الإسلام، ومتبنيًا لأحكامه، وحذر الحزب أعوان النظام، الذين شاركوا فيه، من حرمة المشاركة في نظام الكفر، ولكنهم لم يرعووا، بل اتبعوا أهواءهم، وأصبحوا سبة على لسان الأمة جراء ما اقترفوه من آثام.

لقد كشف الحزب على مر السنين، علمانية حكومة الإنقاذ الملتحية، وتمسحها بالإسلام نفاقًا، وقد أكدت الأمة أنهم قد خُدعوا بشعارات الإنقاذ، مع أن أتباع النظام هم من خدعوا أنفسهم، فالناس يؤكدون أن نظام الإنقاذ خالف كل شعاراته، ولم يعمل بالإسلام، بل قام بكل عمل قبيح يخالف الإسلام، حتى أوصل السودان إلى غرفة الإنعاش.

لقد تعرض الحزب في عمله السياسي لمراسيم الإنقاذ الدستورية التي لم تجعل الإسلام أساسًا، والتي أتت بالفدرالية؛ حيث أهّلت السودان للتشظي، وكشف الحزب علمانية دستور ١٩٩٨م، وبين بطلان اتفاقية نيفاشا الأميركية، وما تمخض عنها من دستور علماني في ٢٠٠٥م، تمزق السودان بموجبه، ودُمّر اقتصاده.

وكشف الحزب الحوار الوطني، الذي أتى به الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر في كانون الثاني/يناير ٢٠١٤م، لإكمال علمنة السودان. هذا غير أعمال الحزب الكثيرة والدائمة في فضح عمالة النظام، وكشف خطط الاستعمار، وتبني مصالح الأمة في الجزئيات المختلفة...

لقد قام الحزب بكل ذلك وغيره، لاستئناف الحياة الإسلامية، وبيّن وجوب ذلك على الأمة، فخاض صراعًا فكريًا عظيمًا، لا يخاف في الله لومة لائم، مستخدمًا كل الأساليب والوسائل السياسية؛ من مسيرات هادرة، ومؤتمرات، وندوات، ووقفات، وتوقيعات مليونية، ومحاضرات، وخطب مساجد، وأحاديث، وتوزيع لملايين النشرات، واتصال بقيادات وفعاليات الأمة، ووضع برامج منتظمة، وحملات، كان آخرها حملة بعنوان (التغيير الحقيقي فرضٌ ووعد) في ٢٦ محرم ١٤٤٠هـ الموافق ٦ تشرين أول/أكتوبر ٢٠١٨م. وقد سار الحزب في عمله بخطًا ثابتة، وهو يعلم أن الأمة لا تبتغي لشرع الله بديلًا، ووجد الحزب سندًا

عظيمًا من الأمة في المدن والقرى والبوادي، كونه لا يعرض فكرًا غير الإسلام.

إن ما فعله الاستعمار في السودان عبر عملاء الإنقاذ كان حتمًا أن يوصِل البلد إلى هذه الحالة المزرية، وضياع مرتكزات نهضته الفكرية والسلوكية والمادية، وكان آخر هذه الأعمال تنفيذ روشتات صندوق الدولي التدميرية، من زيادة الضرائب الباهظة أصلًا، ورفع الإنفاق والدعم عن الخدمات والسلع الضرورية، وتعويم الجنيه مقابل الدولار، ففاق سعره السبعين جنيهًا مقابل الدولار الواحد، ومما زاد الطين بلة توقف الإنتاج في البلد، لكثرة الضرائب والجبايات وانخفاض الصادرات؛ ما أدى، مع طباعة العملة دون مسؤولية، إلى الشلل التام في البلد: انعدام النقد في البنوك والمصارف، صفوف طويلة في محطات الوقود، والمخابز، والصرافات الآلية، وغلاء فاحش انتظم كل السلع والخدمات، حتى وصل سعر تذكرة الطيران إلى نيالا (إحدى مدن غرب السودان)، مثلًا ١٥ مليون جنيه!

إن تسارع الأحداث يجعلنا نقف عند نقاط جديرة بالبحث العميق المستنير، حتى نسير في الدرب الموصل إلى الغاية، وهي استئناف الحياة الإسلامية؛ عن طريق إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وهذه النقاط هي:

١- إن نظام الإنقاذ ساقط منذ زمن، وقد أفسد في الأرض وأذلَّ العباد والبلاد، وقد تأخر الناس في تغييره، مع أن تغيير هذا النظام الباطل فرض وواجب، وهو نظام ترفضه الملايين، وقد قامت ثلة منهم بالتظاهر كاسرة لحاجز الخوف، بل سكبت دماءها رخيصة منكرة للمنكر، وهذا يؤكد خيرية هذه الأمة، وأن الأمة مهما مرضت لا تموت.

٢- كان من الطبيعي لنظام باطل ومفسد في الأرض أن يتصدى للمتظاهرين بالقمع الشديد؛ من إطلاق الرصاص الحي، والسماح بالقتل بدلًا من حماية المتظاهرين، بل تجرأ على الناس حتى انتهك الحرمات والأعراض، واقتحم البيوت، وآذى الناس بالضرب والتخويف والمطاردة واستخدام الغاز المسيل للدموع، فرمى بعبوات كثيرة جدًا داخل المنازل، فنتج منها كوارث في بيوت أوجب الإسلام أن تكون آمنة مطمئنة. إن هذه الأعمال القذرة التي يقوم بها نظام الإنقاذ، لا يحل منها شيء؛ ابتداء من كبيرةِ قتل النفس المعصومة، وانتهاء بالغاز المسيل للدموع، التي اختُرعت لتفريق الكلاب الضالة وليس لتعذيب الرعية!

٣- إن نظام الحكم في الإسلام هو الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وليس النظام الديمقراطي أو العسكري. وقد أجمع الصحابة الكرام أنه لا يحل للأمة أن تبيت فوق ثلاث إلا ولها إمام يقودها بالكتاب والسنة، فالواجب علينا أن نذهب بهذا النظام، ونقيم الحكم بما أنزل الله، والذي قد تعمدت الإنقاذ عبر هذه السنين أن تهرب منه، بل ركزت على تشويهه تنفيذًا لخطة الاستعمار، مصورةً، كذبًا وزورًا، أن ما يصدر منها من جرائم هو الإسلام.

٤- إن المظاهرات لا تغير نظامًا، وهي

وسيلة من وسائل الضغط والإعلام بالسخط العارم، ولكن التغيير لا يتم إلا بوقوف أهل القوة والمنعة مع قضية الأمة، الإسلام، فالواجب على هذه القوى أن تنحاز إلى ما يرضي الله ورسوله، والرسول عليه الصلاة والسلام قد طلب النصرة من أهل القوة والمنعة، فعلينا أن نتأسى به عليه الصلاة والسلام، وعلى الجيوش التي ناصرت الباطل ردحًا من الزمان، أن تتوب إلى الله فتنصر الحق وأهله لتعز في الدنيا والآخرة.

٥- لا يجوز الاعتماد في التغيير على الدول الكبرى، أو ما يسمى بالمجتمع الدولي، فهي أس البلاء، سيما أميركا سارقة الثورات وداعمة الطغاة، وهي بطبعها تحوِّل الحكام إلى عملاء لها، بل تصنعهم، وبعد أن تستنفد أغراضها منهم، وعندما يثور الناس تأتي بعملاء جدد، وبشعارات ثورية خادعة؛ ليستمروا في استعباد الناس من جديد، فاصلين الدين عن الحياة. فلا بد أن نتَّعظ من أن أميركا هي التي سرقت الجهود العظيمة التي قام بها أهل مصر في ثورتهم، فذهبت بعميلها حسني مبارك لتأتي بأسوأ منه (عبد الفتاح السيسي)! فبالخلافة وحدها نقطع يد الاستعمار من بلادنا.

٦- إن قيادات هذه المظاهرات أظهرت علمانيتها كنظام الإنقاذ سواء بسواء، مما يؤكد أن هذه المظاهرات مقودة إلى علمانية أخرى أسوأ من نظام الإنقاذ وفق المشروع الأميركي. فما لم نقم بتوجيه مسار هذا الحراك الاتجاه الصحيح، فحتمًا سيتم ضياع هذه الجهود والاستبسال وسكب الدماء وإزهاق الأرواح.

٧- إننا حملة دعوة الإسلام، مسؤولون أمام الله عز وجل عن تبليغ الأمة، وكشف الحقائق جلية واضحة، فلا يمكن أن يمر هذا المخطط الإجرامي الذي يخدع الناس ويسرق جهودهم؛ ليوصلهم إلى ذل ومزيد من التنكيل.

إن الناس انقسموا إلى أقسام شتى في تعاملهم مع هذا الحراك، وعند الوقوف على واقعهم نستطيع أن نعالج كل قسم أو كل طائفة بناء على واقعها:

أولًا: من يقف مع النظام وينادي بشعار (تقعد بس)، فهؤلاء ينطبق عليهم الحديث: «**... ثُمَّ يُنَادِي مَلَكٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ؟ أَيْنَ أَعْوَانُ الظَّلَمَةِ؟ أَيْنَ مَنْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا؟ أَيْنَ مَنْ نَاوَلَهُمْ دَوَاةً؟**»، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنَّا وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**». وفي الحديث «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**».

ثانيًا: من يقول بشعار (تسقط بس) فيختزل الأمر في الفساد وفي الأشخاص دون النظر إلى النظام، فلا رؤية له أصلًا حتى توصف بالوضوح أو عدمه، فأي عمل لا بد أن يكون من أجل غاية؛ إما أن يكون لله أو لغير الله، وأن يكون العمل وفق أوامر الله، فالتغيير فرض لتغيير

الباطل بالحق، ولا حق بغير الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». فلا يصح أيها الإخوة أن نتفق على هدم صرح من دون أن نتفق على البناء، ونحن نريد أن ننشئ حياة كريمة.

ثالثًا: من يريد تبديل نظام علماني آخر بهذا النظام العلماني، إن الذي يقول بذلك ويعمل له، لا فرق بينه وبين مجرمي الإنقاذ، فهو داع إلى ضلالة. ومنهم من يقول إن دعاة الإسلام السياسي خدعونا ونظامهم فاشل، فلا بد أن لا نسمع لمن يدعوننا إلى الحكم بما أنزل الله، وفي المقابل هذا يعني أنهم يريدون من الناس أن يستمعوا للعلمانيين غير الملتحين، ويسلموا لهم أنفسهم، حتى يستمر الباطل الذي تسير عليه الإنقاذ، وهؤلاء مجرمون كجرم الإنقاذ، بل أكبر، لأنهم يكذبون أيضًا على أنفسهم، ويكذبون على البسطاء الذين يأخذون قولهم دون التفكير فيه، فهم عن قصد جمعوا بين سلوك الظلمة والإسلام، حتى يبعدوا الناس عن الإسلام.

والمعلوم أن نظام الإنقاذ لم يحكم بالإسلام يومًا، بل حكم كما تبين في المقدمة بكل قبيح من دساتير علمانية واتفاقيات ظالمة مزقت بها البلد، وحكمت بتدخل سافر للمستعمر في الشأن الداخلي، فالإسلام لم يحكم، بل حكم من سموا أنفسهم إسلاميين، ومن يجمع بين الإسلاميين وهم علمانيون ملتحون، وبين الحكم بالإسلام، فهو كاذب لا يمت قوله إلى الحق بصلة، بل يجب أن يفضح ويقصى كالإنقاذ سواء بسواء.

رابعًا: المتفرجون على الرصيف، ولا يقومون بعمل للتغيير وفق الشرع، وهؤلاء مقصرون لأن العمل للتغيير واجب فلا يصح أن لا يعمل المسلم للتغيير، ولا يصح أن يكون المسلم لا لون له، وفي الحديث: «**... وَيُؤْتَى بِعَبْدٍ مُحْسِنٍ فِي نَفْسِهِ لا يُرَى أَنَّ لَهُ ذَنْبًا، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ كُنْتَ تَوَالِي أَوْلِيَائِي؟ قَالَ: كُنْتُ لِلنَّاسِ سَلْمًا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتَ تُعَادِي أَعْدَائِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ شَيْئًا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لا يَنَالُ رَحْمَتِي مَنْ لا يُوَالِي أَوْلِيَائِي وَيُعَادِي أَعْدَائِي**».

خامسًا: إن الواجب الشرعي هو التغيير السياسي، المبني على الفكر الشرعي، من خلال جماعة يلتفُّ حولها الناس تعمل في الأمة للتغيير، وتطلب النصرة من أهل القوة والمنعة... هكذا سار القدوة المهداة رسول الله ﷺ في التغيير.

ختامًا: إن هنالك صراعًا محمومًا بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر... فمَنْ للإسلام إن لم نكن نحن؟! كيف نسمح للباطل أن ينتشر وينتصر؟! كيف لا نغذ الخُطا، ونكثر العمل، ونقدم التضحيات لينصرنا الله عز وجل؟!... والله المستعان. ■

رغم الكيد العالمي عليها... ثورات الربيع العربي تتجدد... لكنها تحتاج إلى ترشيد على أساس الشرع

ثورات الربيع العربي: دوافعها ودلالاتها

الدكتور حازم بدر - فلسطين

عندما اندلعت هذه الثورات في غير بلد من بلاد المسلمين، ابتداء من ٢٠١١م، فاجأت كل من ظن أن الأمة الإسلامية قد عفا عليها الزمن، وأن شهادة وفاتها قد كتبت منذ زمن بعيد، وأنها لا يمكن أن تحرك ساكنًا ضد الظلم والطغيان والحكم الجبري، المدعوم من الغرب الكافر المستعمر، والذي صعقته حيويتها وقدرتها الكامنة، ما تسبب له بإرباك كبير في برامجه الاستعمارية في بلاد المسلمين، وأثر على أولويات سياساته الدولية، فجعل إنهاءها وسحقها وإفشالها هاجسه الرئيس ومحل خططه.

ولا شك أن ما سمي بـ«الربيع العربي» هو انتفاضة طبيعية عفوية لهذه الأمة، وثورة على الظلم والاستبداد بعد محاولات تدجينها وتسكينها منذ هدم الخلافة، قبل قرن من الزمان، من خلال تكريس فرقتها وتمزيقها إلى دويلات عميلة للغرب المستعمر، تطبق أنظمته الرأسمالية عليها، وتنهب كل مقدراتها، وتعيش شعوبها البؤس والهوان والخوف والملاحقة والحرمان وشظف العيش.

وقد طالبت الثورات بداية برفع الظلم عن الأمة، لكن مطالبها أصبحت أكثر وضوحًا في اتجاه بحثها عن هويتها، فشعرت الأمة (في ثورة الشام تحديدًا) أن عليها أن تتحرك لتسترجع سلطانها المسلوب منها، وهو الخلافة؛ ما دفع أعداءها لأن يستنفروا كل جهدهم لسحقها واختطافها. فبعد أن ظن الغرب المستعمر والحكام أنهم قاموا بما فيه الكفاية، من تضليل الأمة وتجهيلها، وإبعادها عن عقيدتها، جاء ردها المزلزل بأنها أخذت قرارها بالتغيير، وأعلنت، بعد عقود من الصبر على الاستعباد، أنها لا تفنى، وأنها مستعدة للتضحية بالنفس والنفيس، في سبيل دينها وإعادة مجدها.

صحيح أن هذه الثورات لم تصل إلى أهدافها الحقيقية إلى الآن، بسبب اختطافها وحرفها، وتقزيم مطالبها وحدودها، وقمعها والتنكيل بأبنائها وتخويفهم، حتى ينفضوا عنها؛ إلا أنها قائمة ومستمرة. ومن ظن غير ذلك فهو مخطئ، فهي ليست ثورات عابرة، بل هي

حركة تغيير كامنة ومتجددة لأمة لا تسكت عن الظلم والضيم، وهي حركة تاريخ مشرق لأمة تبحث عن هويتها، وتسير نحو غايتها، في وحدتها ونظامها ودولتها. فها هم أبناء الأمة في السودان اليوم يخرجون على حكامهم، وها هم في الجزائر يتحركون، وفي المغرب وفي الأردن... لذلك، فإن هذه الثورات ما زالت قائمة، رغم فتورها وإخفاقاتها، ولا زالت تلتهب من وقت لآخر، ولا تزال حركتها مستمرة، ويمكن أن نشهد ارتدادات لها في البلاد الثائرة نفسها، ويمكن أن تتمدد لغيرها، فالحال المزري الذي تكتوي به شعوب الأمة لم يتغير، وأسباب اندلاعها ما زالت قائمة، بل تضاعفت وتفاقمت. كما أن الشعوب التي لم تثر على حكامها بعد، تنام على وسائد استقرار هش ووضع مهترئ في كل مفاصل حياتها، ويمكن في أية لحظة أن يدفعها للانفجار والثورة، فما يحدث في بلد من بلدان المسلمين ينتقل صداه عند شعوب الأمة جميعها، فالحال واحد وحس الأمة واحد، والأمة واحدة موحدة؛ لأن مشكلتها واحدة وخلاصها واحد.

ولا شك أن هذه الثورات تحمل بذرة الإسلام ومشاعره. ظهر هذا بوضوح في اتخاذ المساجد نقطة انطلاق للتظاهرات، فكانت الجمعات المباركة، وكانت الملايين تصلي جماعة في الميادين، وكانت التكبيرات فيها، وصار الثوار ينزلون خطباء النظام عن المنابر، وكان من شعاراتها «هي لله، هي لله» و«الأمة تريد خلافة إسلامية»، فكان كل ذلك تناغمًا مع عقيدة الإسلام التي يعتنقها المنتفضون على حكامهم. وهكذا تميزت الثورات بالمطالبة بالإسلام، وإن لم يكتمل وعي بعض الثائرين عليه، فكان هو الصبغة المميزة لهذه الثورات وهو محركها، وليس بالتأكيد، الدوافع الوطنية والقومية في هذا البلد أو ذلك، مهما حاول حفنة العلمانيون وإعلامهم، في بلادنا، تصوير ذلك، خدمة لأعداء الأمة.

وهكذا كان الإسلام الحاضر الأول في هذه الثورات، والمغيب الأكبر في الوقت نفسه. فقد عمد أعداء الثورات على كبت ومنع ظهور الثورات، بصبغتها الإسلامية، ودعوتها للتغيير باتجاه ما يريده الإسلام، فزوروا مطالب الناس، بأنها دعوة إلى الحرية والديمقراطية والدولة المدنية...، فجاء الرد على كذبهم بدعم الناس للإسلاميين، في مصر وتونس، على سبيل المثال، وكذلك بمطالبة الثوار بالخلافة في سوريا. فكان المسلمون يريدون دينهم وإسلامهم، وكان الغرب الكافر وحكام المسلمين والعلمانيون يجهضون ذلك، تضليلًا وتآمرًا وكيدًا؛ لمنع الإسلام السياسي من أن يقود عملية التغيير، مستفيدين تارة من عدم وعي الثوار على ما يريدون، وتارة أخرى مما لديهم من أدوات تحكم في بلاد الثورات، من قوى سياسية علمانية، وقيادات مأجورة في الجيوش.

الثورات: نجحت وفشلت!

في ضوء ما تقدم، نستطيع أن نقول إن ثورات الربيع العربي نجحت في أشياء وفشلت

في أخرى:

نجحت في كسر حاجز كثيف من الصمت والخوف عند الأمة، وكشفت أن الأمة لمت شمل أبنائها المخلصين وحركتهم، للتضحية في سبيل مبدئها وعرضها وكرامتها وبلادها، وأن الأمة في عداء حقيقي مع حكامها، وأنه لا يمكن التصالح معهم، وأوجدت إجماعًا على حتمية تغييرهم وتغيير أنظمتهم، ما يعني رفض الأمة أيضًا لمن يقف خلف هذه الأنظمة الوظيفية، وهو الكافر المستعمر، والذي يكرس وجود أنظمته الرأسمالية الليبرالية في بلادنا. ورفض الأمة هذا، يشكل في حد ذاته، انتصارًا للإسلام على الديمقراطية العلمانية من ناحية حضارية.

ثم إن الثورات نجحت في كشف قواعد الدولة العميقة في بلاد المسلمين، وهم عملاء الغرب العلمانيون، من السياسيين وقادة الجيوش المأجورين، وأدواتهم، وكيف استخدمهم الغرب في تغيير مسارات الثورات، واحتوائها وقمعها. ونجحت بتحجيم الدعوة إلى القومية والفكرة الوطنية، وبها انفضحت اللعبة الطائفية والمذهبية والعرقية في بلاد المسلمين. وبها أيضًا وعت الأمة على أكاذيب ومسرحية خلافة تنظيم الدولة، وأن الإسلام بريء منها ومن قيادتها، وأنها كانت لتشويه الإسلام والخلافة.

ونجحت الثورات في ترك بصمة كبيرة يمكن أن تؤدي إلى إشعال ثورات لا حصر لها، ليس فقط في بلادنا، ولكن على المستوى الدولي، ما يساعد في تزعزع وانهيار المنظومة الدولية كلها، ذلك الوحش الرأسمالي، الذي ينهب ويقتل ويبيد كل من يقف في وجه الدول الرأسمالية واستعمارها. فقد بات البعض يربط بين خروج أصحاب السترات الصفراء في فرنسا والربيع العربي، وباتت بعض الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا تستعيد حيويتها ومدها السياسي، بسبب الانقسام عندهم حول اللاجئين الفارين من أتون الربيع العربي، واختلافهم حول أولوياتهم السياسية. وحتى أميركا، الدولة الأولى في العالم، لم تسلم من الثورات، فقد تقهقر موقعها في بلادنا، كون الثورات هددت عروش عملائها، وهيمنتها.

لكن الثورات فشلت في الوصول إلى الهدف المنشود، وهو التخلص من الأنظمة المجرمة الجاثمة فوق أنفاس الأمة بالكلية، وفشلت في تحقيق أهدافها التي تليق بمبدئها وتاريخها العظيمين، وهو إعادة الحكم بالإسلام بوحدتها وخلافتها.

وفشلت الثورات لأنها لم تكن عندها رؤية واضحة ومبلورة حول ما تريد تحقيقه، وما هي أهدافها. فشلت بسبب غياب الوعي السياسي عند جماهير الثوار والقوى السياسية، التي تقود حراك الثورات، والذين لم يعوا على المطلوب عمله للتغيير الجذري الحقيقي، فكانوا لقمة سائغة لألاعيب ومكر الحكام وعلمانييهم ومن يقف خلفهم في الغرب، والذين التفوا عليهم بتغييرات شكلية، في رأس النظام، من غير أن تغير شيئًا في ماهية النظام

نفسه، فعادت الأنظمة القديمة بأقنعة جديدة، ووُرّط أصحاب ما يسمى بـ»الإسلام المعتدل» في اللعبة الديمقراطية وأُفشلوا، فانحرف مسار بعضها، ونُكِّل بأخرى أيما تنكيل، وجرت ثالثة إلى مواجهات مسلحة لإحكام السيطرة عليها. وهكذا فشلت الثورات لأنها لم تتخذ قيادة سياسية واعية لها تقودها إلى بر الأمان والخلاص المطلوب شرعًا.

وفشلت الثورات أيضًا عندما لم تعمل على الاستنصار بضباط الجيوش، المخلصين منهم، لمساعدتها في التخلص من حكامها بالكلية وتغيير أنظمتهم. وكان عليها أن لا تترك قادة الجيوش المأجورين يتحكمون في الجيوش. كان الواجب على الإسلاميين، في مصر مثلًا (والجماهير العريضة تساندهم في الميادين بالنفس والنفيس) أن لا يقبلوا الحكم إلا بعد أن يتم التخلص من كل قيادات الجيش العميلة، والتي كانت تتربص بهم. لكنهم لم يعوا ولم يعلموا أن قبولهم الوصول للحكم دون أن تكون قيادات الجيش مخلصة لمشروع الإسلام، هو عين الفشل، بل الانتحار السياسي. وهذا ما حذرهم منه الشيخ حازم أبو إسماعيل، بعيد ثورة يناير (٢٠١١/٣/١٠م)، والذي وعى على ضرورة أن يكون أنصار الثورة، من ضباط الجيوش، مخلصين وغير مأجورين. لقد كان الواجب على مرسي وجماعته أن يستنصروا بقيادات الجيوش المخلصين، لتسليمهم الحكم والناس تتحرك في الميادين، حتى يكون الحكام وأنصارهم من قادة الجيوش منسجمين ومتفقين على شكل الحكم المراد، وهو الإسلام، فتلتحم إرادة الأمة بإرادة جيوشها، ولم يكن لأحد، من العسكر العملاء، أن يستطيع أن يمنعهم من ذلك، تحت ضغط الرأي العام الكاسح،... لكن مرسي وجماعته لم يفعلوا!!

وفشلت الثورات أيضًا عندما قبل قادتها الوصول للحكم على أساس اللعبة الديمقراطية الخبيثة، والتي يرعاها الغرب في بلادنا، حسب مصلحته، كيدًا وتضليلًا، فوصل قادتها إلى الحكم ولم يصل الإسلام. ففي حالة مصر، وتحت ضغط الثورة وحراكها الملتهب، سُمح للإسلاميين بالترشح، وحتى بالوصول للحكم، بالطريق (الديمقراطي) الممسوك من رجالات الحرس القديم العلمانيين ومن العسكر المأجورين. وبعد سنة من محاولات إفشال الإسلاميين انقضّوا عليهم وسحبوا منهم منحة (الديمقراطية) التي أعطوهم إياها!! أبَعد ذلك يدافع من يدافع من الإسلاميين عن الديمقراطية كأساس ومرجع وطريق للوصول إلى التغيير؟! إن الإسلاميين الذين أعتلوا موجة الثورات يتحملون الانتكاسات التي ألمت بها، فمشاركتهم الأنظمة العميلة الحكم، وتنازلهم عن الحكم بكل الإسلام، وقبولهم بالاحتكام إلى الديمقراطية وقوانينها الغربية ودولتها المدنية، والتي تكرس استمرار أنظمة الضرار، في بلادنا، يعتبر جرائم اقترفتها هذه الحركات في حق شعوبها وثوراتها. لقد أثبت الإسلاميون الذين وصلوا للحكم أن لا علاقة لهم بالإسلام، بل هم امتداد لفشل التيارات التي تعتقد

أنها إسلامية، تلك التي تقول إن الديمقراطية والدولة المدنية هي الحل! ولقد خذل هؤلاء من انتخبهم؛ لأن من انتخبهم كان يريد الإسلام فأوصلوهم للحكم؛ ولكنهم لم يحكموا بما يؤمن به أبناء الثورات، وهو الإسلام.

الكيد العالمي على ثورات الربيع العربي: ما هي الخطة لإنهائها؟

جاءت الثورات صاعقة للغرب المستعمر، كونه الحاكم الفعلي في بلاد المسلمين، والماسك بزمام الأمور فيها، نهبًا لمقدراتها، وتمزيقًا لشمل وحدتها الواجبة، وملاحقة لدينها، فأمر أنظمته العميلة أن تحبط الثورات وتسحقها، وقدم لها كل مساعدة ممكنة. وقد جاءت استراتيجيته لتحقيق ذلك في مسارات متعددة، فرضها تطور ثورة كل بلد خرج الناس فيه على حكامهم. ويمكن إجمال خططه وأدواته ووسائله المجرمة الماكرة على النحو التالي:

١. اعتبر الغرب المستعمر أن رأس الأمر في استراتيجيته هو منع الثورات من تغيير الأنظمة بالكلية، وإقامة حكم إسلامي رشيد مكانها، يعيد للأمة سلطانها المسلوب منها: دولة الخلافة الجامعة. فالغرب لا ينظر إلى هذه الثورات إلا على أنها إسلامية، ولا يمكر ويكيد لها إلا لأنها كذلك. وهو وإن سماها بـ«الربيع العربي» فتضليلًا للأمة، حتى يصرفها عن التحرك، انطلاقًا من مبدئها، فهو يعرف جيدًا أن تحرك الأمة على أساس الإسلام هو ما يحقق لها الخلاص. فعمد إلى تصوير الثورات بأنها تحركات وطنية محدودة، تطالب بحلول وطنية خاصة ومحلية وشكلية، تكرس وجود الدولة الوطنية العميلة له، ما يساعده في تكريس وبقاء استعماره في بلادنا؛ من أجل ذلك حرص الغرب المستعمر على إبعاد الصبغة الإسلامية عن الثورات، لأنه يعي أنه يستطيع أن يلتف على دعوات ومطالبات الثوار إن كانت مسقوفة وطنيًا، ويعي، قطعًا، أن إسلامية الدعوة في الثورات لن يقف أمامها إلا التحرر الكلي من هيمنته، ووحدة المسلمين، وإقامة حكم الله في الأرض.

٢. أمر الغرب الأنظمة العميلة له أن تظهر مطالب الثورات بأنها الديمقراطية والحرية والدولة المدنية، وكان المقصود من ذلك إقصاء الإسلام والدعوة له، فأكثر ما يرعب الغرب هو الإسلام السياسي وحركته المبدئية في الأمة. فجيشت الأنظمة لذلك كل الإعلام وكل رجالاتها العلمانيين؛ ليقودوا حركات سياسية علمانية ليبرالية تندس بين الثائرين؛ لتضللهم بهذه الشعارات ولتحرفهم عن مفاهيم الإسلام، فلا يدعو الثوار إلى حكم الإسلام.

٣. وكما استخدم الغرب القوى العلمانية، في إجهاض الثورات وإفشالها، استخدم القوى الإسلامية والمصنفة «معتدلة». و«معتدلة» تعني عنده أنها على المقاس الغربي: علمانية ملتحية! ولقد بات المسلمون يعرفون هذه القوى جيدًا، بعد أن جربوها مرارًا، وهي تقدم طوق النجاة للأنظمة الآيلة للسقوط، في غير بلد، لتقف على رجليها مرة أخرى، خدمة

للمستعمر ومحاربة للإسلام. وجريمة تلك الحركات مركبة، فهي، أولًا: تنادي بما تنادي به الحركات العلمانية، من ديمقراطية ساقطة ودولة مدنية. وهي ثانيًا: لا تدعو إلى تطبيق أي شيء من الإسلام في المجتمع، فتشوه فكرته وطريقته. وهي ثالثًا: تشارك الأنظمة الهالكة وأحزابها العلمانية، الحكم والتشريع، على الأساس (الديمقراطي)، والذي يطيح بها في كل مرة تصل أو تقترب فيه من الحكم. ألم توصل هذه الديمقراطية المزعومة هذه الحركات إلى الحكم في مصر، ثم أطاحت بها؟ فلماذا تتمسك هذه الحركات بالديمقراطية، وتجعلها الحكم والفيصل؟! أهو الجهل الفاضح أم الخيانة؟!!

٤. عمل الغرب المستعمر على احتواء ثورة تونس، والالتفاف عليها، من خلال اعتماده على الدولة العميقة فيها، فانتكست الثورة فيها عندما ضُلل الناس بدستور علماني وانتخابات (ديمقراطية!) تزاوج فيها رجالات الحرس القديم لبن علي يقودهم الباجي السبسي، مع إسلاميين علمانيين يقودهم الغنوشي، الذي رفض أن يتضمن دستور البلاد بندًا يعتبر الشريعة مصدرًا للتشريع!! فلم يتغير الحال فيها، بل صار إلى الأسوأ. وفي مصر استدرج الغرب وعملاؤه العلمانيون المسلمين للحكم، بعد أن رأوا أن الناس تريد الإسلام. وفعلوا ذلك أيضًا من خلال الطريق (الديمقراطي) الخبيث. وكان الهدف من وراء ذلك إفشالهم، وإظهار أن الإسلام غير قادر على الحكم. ثم انقضت الدولة العميقة في مصر يقودها العسكر العملاء على الحكم لتكتوي البلاد بالنار والقوة الغاشمة بعدها، وليطارَد الإسلام والمسلمون، وليساموا كل العذاب، إطفاء لجذوة الثورة. وفي ليبيا لا يزال البلد تحت وطأة الصراع الدولي على مغانمه وثرواته، فلا أمن في البلد، ولا حكومة تستطيع أن تدير شيئًا فيه وترعى الناس، والعسكر المتصارعون لحساب الغرب، هم أصحاب الكلمة هناك. واليمن يرزح تحت مجازر تلو مجازر، ومجاعة، وتقسيم، وفوضى عارمة، وحرب بالوكالة أكلت الأخضر واليابس، لحساب الغرب المستعمر. أما في سوريا، ولأن قوة الثورة كانت أكبر وأوضح باتجاه دينها، ودعوتها لتحكيم شرع ربها، جاء المشهد أكثر إيلامًا على يد الغرب المجرم وأعوانه، الذين تكالبوا عليها واستباحوها بكل أسلحتهم ومكرهم السياسي علهم ينهون الثورة كما يشتهون، ويمنعون عودة الحكم بالإسلام فيه.

٥. ومن أساليب الغرب المستعمر في حرف الثورات أمرُه الأنظمةَ بترهيب الناس وقتلهم بالجملة حتى يستكينوا ويجبنوا، ولا يفكروا في الخروج على الحكام مرة أخرى، وما يحصل في مصر، على يد السيسي، وبتشجيع كبير من الغرب (الديمقراطي)، من ملاحقة متزايدة وشديدة لكل ما هو إسلام، وإنشاء عشرات السجون، والتعذيب، والاختطافات والإعدامات... إلا وسائل ترويع مقصودة لإحباط النفوس، وتخويفها من أي تحرك. وما حصل في سوريا ليس عنا ببعيد. ومن أساليبه،

في هذا الصدد، وصم الإسلام والمسلمين بـ(الإرهاب) لتسويغ ملاحقتهم، وكبت تحركهم ضد الأنظمة، فأصبحت تهمة (الإرهاب) هي الشماعة الجاهزة لكل من يسعى للتغيير، وصار الإعلام في بلاد المسلمين ينادي باستباحة دم الناس وأعراضهم ومالهم لمجرد أن عندهم حسًا إسلاميًا، كل ذلك من أجل شيطنة الثوار، وشق صفهم، وتخويف الناس من مجرد الاقتراب منهم.

٦. ومن أساليبه إطلاق أبواقه الإعلامية العلمانية لتصوير الثورات بأنها أمر فشل وانتهى، وأنها جرت الخراب والويلات على الشعوب العربية، فلا أمن ولا استقرار ولا ازدهار اقتصادي بسببها، بل تراجع في التنمية وحظوظ العيش!! وهكذا يحرص الغرب والأنظمة، تضليلًا، على تركيز الصورة الذهنية عند الأمة، بأن البلايا والرزايا، التي تحل بالمسلمين اليوم، قد حلت بهم بسبب الثورات، وصار يصفها بالكارثية حتى يضللهم بعدم التفكير بها، وحتى لا تتجرأ الشعوب على الثورة مرة أخرى.

تصريحات أعداء الأمة تكيد للثورات: وهذه طائفة من التصريحات للتدبر (سياسيون ومفكرون في الغرب، أنظمة عميلة وأبواقهم، يهود...) تؤكد كيد وخشية الغرب والشرق من الثورات:

١. قال توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: يجب دعم الليبراليين في الشرق الأوسط، أو سنواجه الإسلاميين في أعقاب الربيع العربي (٢٠١١)، وأكد بلير أن ثورات الربيع العربي أفرزت تنظيمات (إرهابية)، وأضاف أن ثورة ٣٠ يونيو (انقلاب العسكر على مرسي) ثورة حقيقية قامت في مصر، والتي كانت في أزمة حقيقية، وكادت تنزلق إلى الهاوية بعد تولى الجماعة (الإرهابية) السلطة بها (٢٠١٥)، وقال إن الخسائر الناتجة عن ثورات الربيع العربي باهظة التكاليف، مضيفًا: «حينما بدأ الربيع العربي حاولنا التدخل من أجل الحصول على الاستقرار في المنطقة» (٢٠١٦).

٢. قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إن تونس نجحت في بناء دولة مدنية بالرغم من اختطاف الحكم من قوى أيديولوجية دينية (٢٠١٨)؟!

٣. قال السيناتور الأميركي عن ولاية فرجينيا ريتشارد بلاك عن ثورة الشام: «إن سقوط النصيرية في دمشق ما هو إلا إعلان قيام دولة إسلامية، وبعد شهر من سقوط دمشق سوف تسقط باقي الدول» (٢٠١٥).

٤. قال جوناثان إيفينس المدير العام للجهاز البريطاني للتجسس (إم آي ٥) إن انتفاضات الربيع العربي تشكل تهديدًا إرهابيًا في المنطقة، وفي بريطانيا بالذات (٢٠١٢).

٥. كشف رون نيكلسون الكاتب في جريدة نيويورك تايمز بأن بعض قادة الحركات الاحتجاجية العربية (المدعومين من أميركا) تلقَّوا تدريبات من قبل أميركيين حول كيفية القيام بالحملات الاحتجاجية والتنظيم من

خلال وسائل الإعلام الحديثة، وكيفية مراقبة الانتخابات (٢٠١١)!!

٦. قال المفكر الأميركي نعوم تشومسكي: «في حالة الربيع العربي، لقد دعم أوباما، تمامًا مثل حلفائه، الديكتاتوريات القائمة، واستمر في دعمه هذا لأطول وقت ممكن. وعلاوة على ذلك فقد راهن أوباما وحلفاؤه على إعادة تثبيت هذه الأنظمة القديمة بعد هذه الثورات».

٧. ذكرت الغارديان البريطانية (٢٠١٧): أن الأسباب الكامنة وراء الثورة لم تتلاشَ، وأن الظروف اليوم، في نواح كثيرة أسرع للاشتعال من عام ٢٠١١، وأن هناك أسبابًا واضحة لدورة أخرى من الاحتجاجات، منها أن نخبة متوارثة هي التي تحتكر السلطة، إضافة إلى الفساد الكبير ورجال الأعمال الحيتان الذين يدعمون الأنظمة. وأكد الكاتب البريطاني ديفيد هيرست أن «الظروف التي أشعلت ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١ باتت اليوم أشد ضرامًا» (٢٠١٨). ولخص شايماس ميلن الكاتب في الغارديان في مقالة له بعنوان «الربيع العربي والغرب: سبعة دروس من التاريخ» (٢٠١١) عقلية الغرب الاستعمارية في السيطرة على الربيع العربي، فقال: لا يكلُّ ولا يملُّ الغرب في سعيه للسيطرة على الشرق الأوسط مهما كانت العقبات، وأن القوى العظمى هي أياد خبيرة في تجميل الأنظمة العميلة لإبقاء تدفق البترول، وأن الغرب يقدم العرب الذين يصرون على إدارة شؤونهم الخاصة كمتعصبين، وأن التدخل العسكري الأجنبي في الشرق الأوسط يأتي بالموت والدمار والتقسيم، وأن شعوب الشرق الأوسط لا تنسى تاريخها، حتى لو نسيت الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا ذلك...

٨. اعتبر الأمين العام لجامعة الدول العربية، أحمد أبو الغيط، أن أحداث الربيع العربي لم تخلف سوى الدمار وانتشار الإرهاب في المنطقة (٢٠١٨).

٩. حذّر وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودي عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ، من الثورات التي تجعل من اعتبرهم «دعاة الفتنة» يحاولون الاستيلاء على الحكم، وأضاف أن «الثورات المسماة كذبًا وزورًا وبهتانًا بثورات الربيع العربي» ثورات «سامة» و»مهلكة للمسلمين» وأنها «جلبت الخراب والدمار للبلاد والعباد وأحرقت الأخضر واليابس» (٢٠١٩).

١٠. أكد المستشرق اليهودي إيال زيسير في صحيفة «إسرائيل اليوم» أن إفشال محمد مرسي «تقتضيه مصلحة (إسرائيل) الاستراتيجية؛ لأن التخلص من حكمه يوقف تحقق سيناريو الرعب الذي بشر به الربيع العربي» (٢٠١٢). وقال المفكر ومعلق الشؤون السياسية في صحيفة «هآرتس» آرييه شافيت إن «الجنرال عبد الفتاح السيسي بطل من أبطال (إسرائيل)»، بعد أن أفشل ثورة مصر وانقض على حكم الإخوان (٢٠١٣)، كما حذر الكاتب اليهودي حجي إلعاد من أن يفضي

الربيع العربي إلى «خريف إسلامي». أما آفي بنياهو، الناطق الأسبق بلسان جيش يهود، فقال: «على الغرب التغاضي عن استبداد نظام السيسي ودعمه بوصفه دعامة للاستقرار... الحرب التي يخوضها السيسي ضد الإسلاميين تجعل لـ (إسرائيل) مصلحة واضحة في استقرار حكمه». وقال الجنرال عاموس جلبوع في مقالة له في صحيفة «معاريف»: «إن الربيع العربي أعاد (إسرائيل) للمربع الأول من حيث رفض شرعيتها لدى الجمهور العربي؛ لأنه منح الفرصة للجماعات التي تتخذ مواقف عدائية من الحركة الصهيونية للتعبير عن ذاتها وإبراز مدى التفاف الجماهير حول مواقفها». أما صحيفة «ذي ماركير» الاقتصادية فقد نقلت عن وزير الحرب الأسبق في كيان يهود بنيامين بن إليعاز قوله «إن احتفاظ العسكر في مصر بصلاحياتهم، وعدم نقلها للمؤسسات المدنية يمثل مصلحة استراتيجية للكيان».

المطلوب: الثورات تحتاج إلى ترشيد على أساس الشرع

نقول في ضوء ما تقدم:

١. ثورات الربيع العربي تحتاج إلى ثورة عليها لتصحيح مسارها، ثورة يكون هدفها الأوحد اقتلاع الأنظمة العميلة العلمانية من جذورها، ثورة يقطع فيها المسلمون أية علاقة لهم بالدول الأجنبية، ويرفضون فيها المال السياسي، ثورة مخلصة لمبدأ الإسلام تسير بالثائرين والأمة نحو الخلافة... فرض ربها، ومبعث عزها، وطوق نجاتها. فلا شك أن جوهر المسألة في هذه الثورات هو الصراع بين الأمة التي تطالب بالإسلام والحكم به، وبين أعدائها الذين يريدون حرف إرادتها باتجاه مشاريع علمانية مسمومة تديم بقاء الأنظمة لصالح الهيمنة الغربية.

٢. أهم شيء تحتاجه الثورات هو الوعي على مخططات الغرب المستعمر في بلادنا، فاستعانة الثورات بالغرب ضرره كبير وإثمه أعظم. فالغرب أتقن سياسة جعل الشعوب والأنظمة والجماعات، وحتى القائمين على الثورات، يستعينون به في سياساتهم، وحل مشاكلهم، وهذا يجب أن يتوقف، وإلا لن يحققوا شيئًا. ولا يجوز للقائمين على الثورات أن يكرروا ما تفعله الأنظمة المأجورة من اعتبار الغرب المستعمر المخلص لهم في حل مشاكلهم، فهؤلاء ذنبهم أنهم عملاء. ومهما كان الضغط على الثورات، ومهما كان مستوى الاستضعاف، ومهما كانت الحاجة للمال، ومهما كان مستوى القمع والتقتيل من الأنظمة تجاه الثائرين، فلا يجوز لهم أن يرتموا في أحضان الغرب المستعمر؛ لأنهم لن يجنوا شيئًا في النهاية. فعلى الثورات أن تقطع أن مصلحتها التي يفرضها دينها، هي في التخلص من كل وصاية غربية عليها.

٣. على من يقود هذه الثورات أن يتحرك على أساس الإسلام، وأن تكون قيادته صادقة، وما لم تكن كذلك، فلن يكون قادرًا على قيادة الأمة القيادة الحقيقية. وحتى إن ادعى تبنيه المنهج الإسلامي، ولم يسِر بالأمة نحو أهدافها

الحقيقية السامية (تطبيق الإسلام كل الإسلام في دولته)، فإنه سرعان ما تنكشف حقيقته للأمة، وتنفضه ثم يسقط. لقد كانت كل هتافات الثوار في كل بلدان الربيع العربي تندد بالأنظمة وسياساتها الرأسمالية العلمانية الفاشلة في كل مجالات الحياة، (والتي هي نموذج الحكم الغربي في بلاد المسلمين، وتكريس لهيمنته) فلا يُقبل بعد ذلك من القائمين على الثورات إلا المطالبة والعمل على كب ورمي هذه الأنظمة في مزابل التاريخ، وإبدال حكم الإسلام بها، وهو الذي يخلصها ويرعاها بأحكام الله العادلة الشافية. فأقل من ذلك، يعتبر فشلًا وتضييعًا للوقت، وانحرافًا عن جادة الحق والعمل المنتج الذي يرضي الله عنا.

٤. كان ينبغي على الثوار أن لا يضعوا أيديهم في أيدي الأنظمة الخائنة العميلة، وأن لا يقبلوا أن يمارسوا السياسة كما يريد الغرب وحسب قواعده، تضليلًا لهم وحرفًا لثوراتهم. ولقد كانت قوة الثورات واحتضان المسلمين لها قوة أكثر من كافية للوصول إلى ما يريدون. وكانت هذه القوة أكبر من كافية لإجبار الجيوش وقادتها على الخضوع لمطالب الثوار، دون الحاجة إلى قبول استفتاءات ووضع دساتير وضعية، ودخول انتخابات على الأساس الديمقراطي الخبيث الذي سرق الثورات، ودون الدخول في مساومات على تسلم سلطة منقوصة، كما حصل في أكثر من بلد. لقد استخدم الغرب الكافر ما يسمى بـ«الإسلام المعتدل» ليقود عملية التغيير، بسبب ضعف أدواته وكوادره العلمانية في بلادنا!! وللأسف وافقت الحركات الإسلامية المعتدلة على دفتر شروط الغرب، فانحرفت الثورات وانتكست.

٥. وكان ينبغي على الثوار أيضًا أن يكون لديهم الجاهزية الكاملة لتسلم الحكم كاملًا على أنقاض الأنظمة، بدل مشاركتها. وكان يتوجب أن يكون لدى القائمين على الثورات برنامج عمل سياسي كامل للتطبيق في دولته، وأن يكون دستورهم الإسلامي كذلك جاهزًا لديهم، وأن يطلبوا الحكم كاملًا من الجيش (ضباطه المخلصين طبعًا) ليطبقوا الإسلام، ولم يكن أمام الجيش حينها إلا الخضوع لمطالبهم تحت ضغط الثورة. فإن رفض المأجورون من ضباط الجيش ذلك، استمرت الثورات حتى يخضعوا. لكن الذي حصل في مصر، مثلًا، هو أن الإسلاميين قبلوا الوصول للحكم على أساس الدستور العلماني، ومن خلال انتخابات (ديمقراطية) ورطهم فيها العسكر العملاء، والذين كانوا يديرون الدولة، وبيدهم كل زمام الأمور، فكانت النتيجة وصول إسلاميين إلى الحكم شكلًا، ولم يصل الإسلام!!

٦. أكدت الثورات أن مقولة الإسلاميين «خيارنا ديمقراطي ومرجعيتنا إسلامية»! هي مقولة فاسدة قولًا واحدًا، فهي تجمع بين النقيضين، فالديمقراطية نظام حكم متكامل، يقصي الدين عن الحياة ويجعل التشريع للبشر، وليست آلية انتخابات فقط كما يدعون. إن الديمقراطية العلمانية هي نظام الغرب

المستعمر، الذي يهيمن ويسحق الشعوب!... كفى هؤلاء الإسلاميين تخبطًا، ومكابرة، وتسطيحًا للأمور وإهدارًا لفرص التغيير.

ونقول لهؤلاء الإسلاميين: إن الغرب يغرق بديمقراطيته في بلاده، فلا تنقذوه في بلادنا. ومن يعرف الديمقراطية وحرياتها ودولتها المدنية حق المعرفة، يدرك أنها فكرة وأداة استعمارية، لتحقيق مصالح الغرب الرأسمالية المجرمة في بلادنا. فالديمقراطية صنم أميركا تأكله حين تخشى على مصالحها. ألم يكن خياركم (الديمقراطي) في مصر إيصال محمد مرسي للحكم؟ فلماذا سحبته أميركا منكم بلا استحياء، وهي التي تتشدق بالديمقراطية ليل نهار، ثم أمرت العسكر بالبطش بكل ما هو إسلام، وإلى اليوم؟! آن الأوان لأن تدركوا، رحمكم الله، أن ديمقراطية أميركا نظام كفر يقصي الدين عن الحياة، وبسببها يعيش المجتمع الأميركي حياة فاشلة منحطة في كل مفاصلها؛ من ظلم، وجرائم وعنصرية، وأمراض، وانعدام أمن، ومادية بشعة... ألا تدركون أن ديمقراطية أميركا هي السبب الذي جعلها تنشر الحروب وتهيمن على مقدرات الشعوب في العالم؟! ألا تعون أن أميركا تريد الديمقراطية في بلاد المسلمين من أجل هدف واحد فقط: محاربة الإسلام ومنع عودته، ومن أجل إفساد المجتمع وعلمنته واستمرار الهيمنة عليه؟!

ونقول لهم أيضًا: اعلموا أن الغرب المستعمر لن يستطيع أن يفعل شيئًا لحرف الأمة عن مبتغاها الحقيقي، وهو الحكم بالإسلام، إن وقفتم بجانبها، ترفعون الشعارات الحقيقية للإسلام، ومشروع الأمة، وهو الخلافة. اعلموا أن الثورة الحقيقية هي تلك التي تقطع كل علاقة لها بالغرب المستعمر وأنظمته. ولا يغرَّنكم اكتساح بعض مقاعد في برلمان هنا أو هناك، فهذا لا قيمة له في دين الله، ما دامت الحاكمية للشعب (الديمقراطية) وليست لله، وما دامت قيادات الجيوش، تأتمر بأمر أسيادها في الغرب، بدل أن تلتحم مع أمتها في معركة التغيير الحقيقي.

٧. ونقول للعلمانيين الليبراليين: نعرف أن الغرب الكافر يستخدمكم في حرف الثورات ووأدها، وشق صف الثوار، بإظهار أنها تطالب بالديمقراطية والحريات والدولة المدنية؛ لأن أكبر ما يخشاه هو الإسلام السياسي. ونعرف أنه يتصل بكم، ليمول تحرككم وليدربكم، من أجل القفز على الثورات، ومحاولة توجيهها لما يريد، ونعي أن الغرب يستخدم أصواتكم وصوت الإعلام المأجور، للترويج لشعارات ليبرالية وأفكار علمانية تتطاول وتتهم الإسلام والعاملين له. فاعلموا يا أنصار الحضارة الغربية أنكم غريبون فكرًا وشعورًا عن جماهير الثورات، لكنكم تمكَّنون، في بلادنا، من خلال دعم السفارات الغربية لكم، ومن خلال المال القذر الذي تنفقونه، ومن خلال الإعلام. وأنتم ليست عندكم الشجاعة للمجاهرة بما لديكم كمشروع سياسي لما بعد سقوط الأنظمة تقدمونه أمام جماهير الثوار في الميادين والساحات، لأنكم إن فعلتم، لفظتكم الجماهير

المتعطشة للإسلام ونظامه.

٨. المطلوب الآن هو توجيه البوصلة لتسير الثورات في الاتجاه الصحيح. والصحيح هو أن الأمة - في بلاد الثورات وغيرها - تريد الإسلام ودولة الإسلام. وهذا يستوجب أن يكون النظام الذي يحكم به المسلمون على أساس عقيدة الثائرين من أبناء المسلمين، أي نظام الإسلام وخلافة الإسلام، ويستوجب أيضًا أن يكون من يساند هذا النظام ويمنعه ويحميه وينصره، في جيوش المسلمين، هو من يؤمن بما يؤمن به الثوار. وحتى تصل الأمة إلى هدفها هذا، فلا بد أن تلتحم إرادة الأمة بإرادة أبنائها المخلصين في جيوشها. وما لم يحصل ذلك، فلن تصل الأمة إلى هدفها المنشود. ومن ظن أن الجيوش فاسدة عميلة، قلنا له إن الفاسد فيها بعض قيادتها، وهذه تُزال من الطريق على أيدي المخلصين في الجيوش بإذن الله، بعد أن يروا الأمة تضحي في سبيل دينها، فتهون عندهم الدنيا فينصرون الأمة، ويسلمون الحكم للمخلصين من أبنائها.

٩. نقول للأمة وللقائمين على الثورات: تدبروا أمركم، ولتكن دعوتكم واضحة مبلورة عن البديل الذي تريدون، ولتكن شعاراتكم من أجل إقامة نظام الإسلام ودولة الخلافة، فلا يكفي شعار «تسقط بس» ولا يكفي شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» ليقبل الغرب بالتخلص من رأس النظام، وليأتيكم بمن هو شر منه! اعلموا أن الذي فشل في دول الثورات هي (ديمقراطية) الغرب والأنظمة الزائفة الكاذبة، والتي ضحكوا بها على ذقون بعض المتأسلمين، فأفشلوهم وورطوهم في حكم منقوص سرعان ما سحب منهم!! ارفضوا تشريعات النظام ودستوره وقوانينه الرأسمالية التي تخالف دينكم، وطالبوا بالحكم بتشريعات وقوانين الإسلام التي تنقذكم. التفتوا لمن يعمل معكم وبين ظهرانيكم، ولديه رؤية كاملة متكاملة لنظام الإسلام، وسياسة الإسلام، والحكم بالإسلام، ولديه مشروع دستور لدولة الخلافة، يعرضه عليكم جاهزًا للتطبيق.

١٠. إن حزب التحرير يدعوكم لهذا، وهو موجود معكم في الساحات والميادين والمساجد والمنابر، وهو يدأب في العمل لخير الإسلام وخير هذه الأمة، وهو يقود بينكم حملات للتغيير على أساس الإسلام تحت عنوان «التغيير الحقيقي فرض ووعد»، وهو مع الثائرين والمحتجين، يوجه ويسدد ويقارب لهم، ليسيروا في الاتجاه الذي يرضي الله عنا، حتى لا ننخدع وتُسرق جهودنا. وحزب التحرير، وهو يفعل ذلك، يدعو جميع المهتمين بقضايا الأمة إلى تقديم ما لديهم من رؤية متكاملة للخروج بمشروع للأمة ينقذها، ويتحدى العلمانيين لأن يجاهروا بأفكارهم الليبرالية للالتفاف على الجماهير.

١١. لقد أكدت ثورات الربيع العربي وأشارت إلى طريقة التغيير الواجب اتباعها لخلاص الأمة وإعادة الحكم بالإسلام. وهي الطريقة التي يسير فيها حزب التحرير، فهي طريقة أمر بها شرع الله، ويصدقها الواقع

اليوم، إضافة إلى أنها منتجة لإنجاز التغيير، فما حصل من التفاف وسحق للثورات دليل على ذلك، على النحو التالي:

أولًا: أكدت الثورات على ما يقوله الحزب من أن الأنظمة في بلاد المسلمين هي أنظمة غير شرعية، لا يجوز الالتقاء معها، لا اعترافًا بها ولا مشاركة لها في الحكم والتشريع. ومن أجل هذا لا تجد الأمةُ الحزبَ منخرطًا فيما يسمى العمل السياسي الوطني، الذي ينسجم مع منظومة الأنظمة الفاسدة، في هذا البلد أو ذلك.

ثانيًا: أكدت الثورات على ما يدعو إليه الحزب، من وجوب تغيير الأنظمة بالكلية، وإقامة نظام الخلافة على أنقاضها، فغير ذلك لا يخلص الأمة؛ لأن البديل حركات إسلامية «معتدلة» تطيل عمر النظام وتساعد في إقصاء الإسلام، أو قوى علمانية تعيد إنتاج النظام.

ثالثًا: أكدت الثورات على ما يقوله الحزب، من أن جيوش المسلمين هي بيضة القبان وطوق النجاة، في إيصال الأمة إلى الحكم بالإسلام. وعندما نقول جيوش المسلمين نقصد القيادات المخلصة فيها، التي تؤمن بما يؤمن به الثوار وكل أبناء المسلمين وقياداتهم المخلصة، والذين يريدون الإسلام، وليس القيادات المأجورة، التي وضع الإسلاميون أيديهم بيدها، فاستدرجوها وأفشلوها ثم انقلبوا ضدها!

١٢. إن حزب التحرير لن يمل أن يذكر الأمة أن التغيير الصحيح يقتضي السير على خطا النبي ﷺ، في إقامة حكم الله في الأرض، وأنه ما لم تلتزم الأمة بطريق الرسول وأمر الله، فستظل تدور حول نفسها، ولن تصل إلى شيء، ولو قامت ألف ثورة. فدون الوعي والتبصر لمعالم طريق التغيير الذي يرضي الله عز وجل، سيظل الكافر المستعمر والأنظمة العميلة، يقودون الأمة من ذل إلى ذل، وسيستمر في تضليلها والالتفاف عليها والبطش بها.

أما خارطة طريق حزب التحرير للأمة وقد أعلنت عن نفسها، وثارت على حكامها، فالتالية:

أولًا: يدعو الحزب أبناء المسلمين ليستمروا في الخروج على حكامهم، في كل بلاد الأمة للتعبير عن رفضهم لوجودهم، ووجود من يدعمهم في بلادنا، الكافر المستعمر. ويدعوهم أن تكون شعاراتهم تدعو إلى الحكم بالإسلام والخلافة، وأن لا يقبلوا أية شعارات علمانية ليبرالية، بل يأخذوا على يد من يروجها وينبذونه. ويدعوهم أيضًا لرفض التعاون مع الأنظمة ومشاركتها السياسة، فلا يقبلون بانتخاباتها، ولا يدخلون برلماناتها، ولا يسيرون معها، في أي مشروع سياسي تريده. فالوعي على مخططات الغرب والأنظمة هو رأس سنام الفكر والعمل للتغيير.

ثانيًا: يدعو الحزب أبناء الأمة الثائرين وقياداتهم السياسية إلى احتضان الجماعة أو الحزب الذي يدعوهم إلى دين الله والحكم بالإسلام، ممن يعمل معها ويصدق النصيحة

لها، ويدعوها إلى صافي الإسلام، ويقف في خندق العداء مع حكامها ويكافحهم، ولم يتلوَّث عمله السياسي بمشاركة الأنظمة، ولم يقبل المال السياسي القذر، ذلك الحزب الذي أثبت قدرته السياسية، وجهوزيته لقيادتها من خلال دعوته لها دعوة الحق منذ أن قام فلم يتغير ولم يتبدل، ومن خلال تبنيه مصالحها، وإعداده لدستور متكامل جاهز للتطبيق في دولة الخلافة. إن حزب التحرير يدعو الأمة لأن تحتضنه، فهو الرائد الذي لم يكذبها يومًا ليقودها إلى خلافتها الراشدة الموعودة.

ثالثًا: يسير الحزب ويقود الأمة وكل ثوارها في دعوة أبناء الأمة، المخلصين في الجيوش للإطاحة بالأنظمة العميلة للمستعمر، وتسليم الحكم لأهله ونصرة الأمة لتطبيق الإسلام في خلافتها. ويدأب الحزب، يدعمه حراك الأمة، في هذا العمل حتى ينجح بإذن الله. مهما تأخر الوصول إلى الخلافة؛ لأنها ميقات من رب العالمين لا يخلفه، وهو يمتحن عباده ويعلمهم ليرى ثباتهم على الحق. ولعل في فشل الثورات إلى الآن خيرًا كبيرًا يصب في وعي الأمة ويحركها باتجاه التغيير الحقيقي الذي ينجيها.

أخيرًا نقول: إن ثورة الأمة سائرة ومتجددة، ولن يقف قطارها إلا في محطة الخلافة القادمة، بإذن الله، ووعد الله بالاستخلاف والتمكين يقرب ويقرب، فالإسلام بات أقوى من أن يصده صادٌّ، والأمة مهيأة اليوم لأن تقاد بالإسلام، ولا تحتاج إلا أهل نصرة مؤمنين، من جيوشها، لا يهابون إلا الله، لتلتحم إرادتهم بإرادة الأمة، وإرادة المؤمنين الصادقين الواعين، الذين يحملون دعوة رسولهم بحق، ويطمعون برضا ونصر الله لهم.

لقد آن الأوان لأن تدرك الأمة أن طريق التغيير الذي يدعوهم إليه حزب التحرير، هو الطريق الذي ينجيهم ويمكن لهم، ويستجلب نصر الله عز وجل، الطريق المنضبط والمنبثق عن الكتاب والسنة. وهو الطريق الذي يدأب أعداء الأمة لصرفها عنه، حتى يستمر تيهها، وهو الطريق الذي يصحح كل مفردات فشل وإفشال الثورات.

واليوم، وفي ظل حالة الغليان المكبوت، التي تعيشها شعوب الأمة الإسلامية، في انتظار لحظة الانفجار الكبير، فلا خلاص إلا بأن تلتفت الأمة إلى المشروع الحقيقي الوحيد الذي يرفعها ويعيد سيرتها الأولى، خير أمة أخرجت للناس، في دولتها، الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وبذلك فقط يمكن للثورات أن تصحح مسارها، وأن تبلغ هدفها، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله...اللهم عجل لنا بها واجعلنا من جنودها وشهودها،قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ■

نداء من ثورة الشام إلى أخواتها من الثورات المتجددة:

(ثورة الشام... مسيرة وعبر)

مصطفى أبو الوفا

عندما انطلق ما يعرف بثورات الربيع العربي في تونس ومصر وما أعقبهما، كان الناس، وخاصة النخب المفكرة ومن له اطلاع على الوضع السياسي ومن تقدم به العمر أيضًا في سوريا، يستبعدون أن تقوم الثورة فيها؛ لأنهم يدركون طبيعة نظام أسد الأب والابن القمعية، وحالة الرعب التي نشرتها أجهزة المخابرات والقمع بين الناس الذين توارثوا الخوف منذ أحداث الثمانينات التي ارتكبت فيها أجهزة نظام أسد الأب المجازر المروعة وأخفت وقتلت آلاف الشباب في أقبيتها وسجونها؛ ولكن هذه التوقعات خابت عندما كتب أطفال درعا على جدران مدارسهم عبارات ثورية (أجاك الدور يا دكتور) تعاملت معها أجهزة المخابرات بما اعتادت عليه من بطش وقمع لينتفض أهل حوران لكرامتهم المستباحة، ولتكون هذه الانتفاضة شرارة الثورة الأولى، وما لبثت أن انتقلت من مدينة إلى مدينة، ومن بلدة إلى أخرى؛ لتشمل معظم سوريا...

كان الناس يخرجون من مساجدهم وهم يكبرون ويرفعون شعاراتهم ضد الظلم والقهر ويهتفون ملء حناجرهم بتلك الشعارات الخالدة التي انبثقت من عقيدتهم وتعبر عن تطلعاتهم للعيش في ظل نظام الإسلام، فكانت حناجرهم تصدح **(هي لله هي لله)** و**(قائدنا للأبد سيدنا محمد)** ومن ثم **(الأمة تريد خلافة من جديد)**... شعارات حطمت جدار الخوف الكبير الذي بناه الطغاة والمجرمون فأسقطت شرعيتهم، وزلزلت كراسيهم، وأرعبت الدول الكافرة كأميركا وغيرها، وحتى دول الجوار الإقليمية من هذه الثورة، فبدأت أعمال الكيد لها ومحاولات القضاء عليها.

لقد أدركت هذه الدول أن نجاح ثورة الشام يشكل خطرًا وجوديًا عليها؛ لذلك اعتبرت القضاء عليها أمرًا حيويًا لا بد منه، فاستنفرت أميركا، بوصفها الدولة الأولى في العالم وسيدة نظام أسد المباشرة، أدواتها وجهودها، وحاكت مكائدها للقضاء على هذه الثورة وللحفاظ على نظام العمالة في دمشق.

- فكانت أولى المكائد للثورة هي جرها قسرًا إلى ساحة العمل المسلح عن طريق الإفراط في استخدام القوة في مواجهة الثائرين السلميين؛ وذلك بهدف القضاء على الحالة الشعبية للثورة، وجرِّ مكوناتها إلى الساحة التي يتفوق فيها نظام بشار، وتعطيه المبررات

لقمع الثورة بشكل تام. ولما عجز نظام بشار عن القضاء على ثورة الشام وبدأت منظومته العسكرية تنهار أمام ضربات المخلصين من أبناء الشام وعظيم إقدامهم وتضحياتهم وثباتهم، أوعزت أميركا لإيران وحزبها وميليشياتها الطائفية بدعم نظام العمالة في دمشق، ولما لم تتمكن أيضًا من القضاء على ثورة الشام سمحت بالتدخل الروسي المباشر.

- تم تقسيم الأدوار بين الدول المتآمرة على ثورة الشام، فبعضها كما ذكرنا دعم النظام عسكريًا بشكل مباشر، وبعضها تلبَّس لبوس الداعم للثورة بما يعرف زورًا بـ (أصدقاء الشعب السوري). حيث قدمت هذه الدول نفسها على أنها الداعم لثورة الشام والمناصر لها والمؤيد لمطالبها كالسعودية وتركيا وقطر، وقام هؤلاء الأصدقاء الأعداء بإنشاء ما يسمى بالمعارضة السياسية في الخارج من أجل أن تكون هي الممثلة للثورة والمعبرة عن مطالبها (كالمجلس الوطني والائتلاف وهيئة التفاوض ومن ثم الحكومات السورية المؤقتة وحكومة الإنقاذ وغيرها)... وفي الحقيقة لم يكن ذلك إلا شركًا وفخًا تمكنت من خلاله جر الجميع، المعارضة السياسية وبعض الفصائل، إلى مستنقع المفاوضات والمؤتمرات والتنازلات...
- تم إغراء قادة الفصائل بالمال السياسي المسموم حيث عمدت أميركا لتجميع ما يسمى الدول الداعمة بغرف دعم « الموك « في الأردن و» الموم « في تركيا، وهي كانت أشبه بغرف عمليات، وذلك بهدف التحكم بالدعم وتوجيهه إلى من ينصاع لتعليمات هذه الغرف الداعمة، هذا وقد سبب هذا المال السياسي المسموم ويلات جسيمة على ثورة الشام أهمها:

١ - كان المال السياسي المسموم أداة لسيطرة الدول الداعمة على العمل الميداني بشكل مباشر؛ حيث كان الداعم يتحكم بجبهات القتال التي يجب أن تفتح، وغالبًا ما تكون جبهات ليست حيوية؛ وذلك لتفريغ طاقات الثائرين وهدر جهودهم في معارك جانبية.

٢ – كان المال السياسي المسموم سببًا في تكبيل قادة الفصائل وجعلهم يلتزمون بالخطوط الحمراء التي وضعها الداعمون من أجل المحافظة على نظام العمالة، ومنع خوض معارك أساسية حاسمة تؤثر عليه أو تؤدي إلى سقوطه.

٣ – كان المال السياسي القذر سببًا في إفساد ذمم قادة الفصائل؛ فانحرفوا عن ثوابت ثورتهم، وتاجروا بتضحيات أهلهم وإخوانهم، وأصبحوا أدوات طيعة في خدمة مخططات أعدائنا.

- تم تصنيف فصائل الثورة تصنيفات مختلفة من إسلاميين ومتشددين وجيش حر ليسهل ضرب بعضهم ببعض، ولصرفهم عن الهدف الأساسي الذي قاموا من أجله وهو إسقاط نظام الإجرام في دمشق؛ وهذا أدى إلى شرذمة قوى الثورة، وأدى بتوجيهات من الداعمين إلى حالة اقتتال مَقيت بين فصائل كان من المفترض أن تكون يدًا واحدة وفي خندق واحد ضد نظام بشار المجرم الذي

ثارت عليه.

- كما أن قيام الدول المتآمرة وعلى رأسها أميركا وأدواتها بتصنيع القيادات السياسية كالمجلس الوطني والائتلاف وهيئة التفاوض ومن ثم الحكومات السورية المؤقتة وحكومة الإنقاذ وغيرها، إنما كان من أجل إيجاد الجهة السياسية التي يراد لها أن تمثل ثورة الشام؛ ولكن ليس وفق مطالب أهل الشام الحقيقية بل وفق ما تسمح به الدول المتآمرة وتريده، وتحت سقف ما يسمح به المجتمع الدولي ومنظماته الرأسمالية.

- وكذلك كانت السيطرة على القيادات الميدانية التي لها ثقل على الأرض هدفًا رئيسيًا للمتآمرين على ثورة الشام؛ فبذلت الجهود وأنفقت الأموال من أجل شراء ذمم الكثير من القيادات الميدانية؛ حيث كان لمواقف تلك القيادات الدور الأكبر في خداع العناصر من أجل تمرير مخططات أعدائنا بذرائع ومبررات شتى، ويساندهم جوقة ممن يسمون «شرعيين» جعلوا المصلحة، وفي الحقيقة هي مصلحة الدول الداعمة، أساس تبريراتهم وترقيعاتهم لتصرفات القادة ومواقفهم المتخاذلة.

- أما الهدن والمفاوضات والمؤتمرات التي تنوعت وتعددت من جنيف إلى الرياض إلى الآستانا وسوتشي، فقد كانت الفخ الكبير الذي سقط فيه قادة الفصائل بعد القيادات السياسية المصنَّعة، وكانت السبيل الذي سلكته الدول المتآمرة لحرف وجهة الصراع من إسقاط نظام بشار إلى إعادة الشرعية الدولية إليه، وإلى مواجهة الإرهاب، وليكون الحل هو ما تمليه الدول المتآمرة بعيدًا عن ثوابت ثورة الشام وتطلعات أهلها الذين يتم ترويضهم بالقتل والتدمير والتهجير والترويع حتى ينتزعوا روح الثورة من نفوسهم، وليرضوا بمجرد العيش الآمن المستقر الذي باتوا يشعرون بافتقاده.

- ولقد كان لإغراء الفصائل المقاتلة بالسيطرة على المناطق وإشغالها بذلك أثر سلبي كبير على عملها الأساسي الذي قامت من أجله، وهو إسقاط النظام، ونصرة أهلهم لدفع القتل ورفع الظلم عنهم، ومن ذلك :

١ – إشغال الفصائل المقاتلة بإدارة المناطق التي تسيطر عليها، وهذا صرفها عن غايتها في إسقاط نظام الإجرام.

٢ - تحولت جهود الفصائل إلى محاولة السيطرة على مناطق جديدة، أو الدفاع عما هو تحت سيطرتها؛ وهذا كان أحد أسباب الفرقة والاقتتال فيما بينها؛ فانحرفت البوصلة وتحول إخوة الأمس إلى أعداء اليوم.

٣ – قيام الفصائل المسلحة بمحاولة إدارة المناطق أو فرض حكومات وتشكيلات ذات طابع شعبي لتكون واجهة لها، في الوقت الذي كانت تفتقر فيه للإمكانيات، وتفتقد عقلية الإدارة والرعاية، بل تتسم بعقلية التسلط والجباية، وهذا ما جعلها في عداء وتنافر مع الحاضنة الشعبية مما جعلها تفقد سندها الطبيعي وحاضنتها؛ فلجأت إلى التصرفات الأمنية المقيتة لفرض سلطتها ولسلب سلطان

الناس من جديد؛ مما زاد الطين بلة.

لقد تضافرت – كما مر سابقًا - جهود دولية كبيرة بإمكاناتها المختلفة وجيوشها ومراكز دراساتها الاستراتيجية للقضاء على ثورة الشام المباركة؛ ولكن رغم كل ذلك، بفضل الله ورعايته، ورغم دخولنا في العام التاسع، وأهل الشام يكابدون الصعاب ويواجهون القتل والتدمير والتهجير ويقدمون التضحيات الجسام، فإن نار الثورة ما زالت متَّقدة، والتطلع إلى إسقاط نظام الإجرام وإقامة حكم الإسلام مازال يغمر القلوب المؤمنة الواثقة بوعد ربها و بشرى رسولها.

ونحن إنما نستعرض ذلك لنؤكد عظم الكيد لهذه الثورة المباركة التي لم تكن صراعًا بين أطراف دولية كغيرها من الثورات، بل كانت صراعًا بين الصادقين من أهل الشام الذين يتطلعون إلى إيجاد دولة الإسلام وبين أميركا وحضارتها وأدواتها، ونحن إذ نقرأ الواقع ونشخِّصه إنما نفعل ذلك من أجل بيان هذه المكائد والمكر لمواجهتها، ونحن نجدد عهد ثورتنا، وليكون ذلك منارًا وعبرة لإخوتنا في بلدان المسلمين الأخرى.

إن هذا الكيد والتآمر لم يكن له أن يؤثر أو يحقق نجاحًا عندما تتوفر ثلاثة أمور جوهرية ما زلنا نؤكد عليها وندعو إخوتنا لتبنِّيها والالتزام بها وهي:

أولًا: المشروع الذي ينبثق من عقيدتنا وهو مشروع الخلافة على منهاج النبوة الذي يجمع كل مكونات الثورة من حملة للمشروع وأنصارهم، وحاضنة شعبية تحتضن حملة المشروع وأنصارهم، لنواجه به جميعًا مشروع الدولة المدنية العلمانية التي يريد الكافر أن يحكمنا بها ويفرضها علينا.

ثانيًا: اتخاذ قيادة سياسية واعية تكون هي صاحبة المشروع، فتدرك مخططات الدول ومؤامراتها بما تملكه من وعي سياسي لتقود السفينة بوعيها وحكمتها إلى غايتها وهي إسقاط النظام وإقامة حكم الإسلام.

ثالثًا: اتخاذ ثوابت للثورة والتمسك بها وعدم المساومة عليها أو التنازل عنها، وتتلخص هذه الثوابت بثلاثة أمور:

١ – العمل على إسقاط النظام بكافة أركانه ورموزه:

لأن التغيير يجب أن يكون جذريًا انقلابيًا شاملًا، لا يوافق على الترقيع والحلول الجزئية، ولا يرضى بخدعة إزالة رأس النظام مع بقاء أجهزته وأركانه وتشريعاته قائمة، بل لا بد من إسقاط النظام بأركانه ورموزه جميعًا

٢ – رفض المال السياسي المسموم وقطع يد الدول المتآمرة على الثورة:

لقد ظهر لنا جليًا دور الدول على اختلاف تصنيفاتها في التآمر على ثورة الشام المباركة، وظهر لنا دور المال السياسي القذر في شراء الذمم وحرف البوصلة وهدر الجهود؛ لذلك لا بد من قطع يد الداعمين المتآمرين، والاعتماد على الإمكانات الذاتية، وعلى إمكانات المخلصين من أبناء الأمة، وهي كثيرة ووافية وكافية بإذن الله تعالى.

٣ – إقامة الخلافة على منهاج النبوة:

لا بد أن يكون واضحًا لدينا ومحددًا

عندنا ما هي الدولة التي نسعى لإقامتها بعد إسقاط نظام القهر والظلم والقمع الذي نعمل لإسقاطه. وهذا النظام الذي نسعى إليه، والدولة التي نعمل لإقامتها هي الخلافة الراشدة الثانية التي فرض ربنا علينا العمل لإقامتها، ووعد المخلصين من العاملين بها، وقد بشرنا بها رسولنا الكريم أنها تأتي بعد هذا الحكم الجبري الذي يعيشه المسلمون في كل بلادهم بقوله صلى الله عليه وسلم: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها... ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**» رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات.

إن ما قدمناه من كلام يجب أن يكون منارة حق وهدى لمن كتب عليه أن يسير في هذا المسار الذي باتت دول الغرب، وعلى رأسه أميركا، تتحكم به، وعندها خبرة المكر والإجرام فيه، وتمتلك ناصية حكام عملاء ومعهم توابعهم من الأوساط السياسية والعسكرية والحزبية التي ستحاول أن تسرق الثورة من أهلها... وحذارِ حذارِ ممن يقدمون أنفسهم على أنهم من الدول الداعمة كدول الخليج من غير استثناء، أو الدول التي ظاهرها إسلامي بينما باطنها ترشح منه العمالة والخيانة كتركيا وإيران والسعودية.

إن من يسير في هذا المسار ليس له من منقذ إلا بأن يعتصم بحبل الله المتين، ويهتدي بسيرة رسوله الكريم، وأن يتوجه لأهل القوة من أبناء البلد المخلصين؛ ليكونوا أنصار الله كما كان للرسول أنصاره، فيطلب منهم نصرة دين الله بأخذ الحكم وتسليمه إلى القيادة السياسية الواعية التي تدرك مخططات الدول ومؤامراتها بما تملكه من وعي سياسي، والتي تتبنى مشروع إقامة دولة الخلافة؛ لتقود السفينة بالتزامها ووعيها وحكمتها إلى غايتها، وهي إسقاط نظام الطاغوت وإقامة حكم الله في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

إن تآمر كل الدول على ثورة الشام ومحاولتها إعادة تأهيل نظام بشار وفرض الدستور العلماني، واعتبار كل المخلصين إرهابيين يجب القضاء عليهم... ما كان إلا لمنعهم من إقامة دولة الخلافة التي هي فرض ربهم، ومظهر وحدتهم، ومصدر قوتهم، ومبعث عزّتهم، والتي ستنهي تسلط دول الغرب الكافر المستعمر عليهم، وستنهي مآسي المسلمين في كل بلادهم نتيجة البعد عن التحاكم لشرع الله وحده، والتي ستعيد أمة الإسلام أمة واحدة، ولتعود دولة الخلافة كما كانت الدولة الأولى في العالم، تطبق نظام الإسلام، وتحمله رسالة هدى ونور إلى العالم.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. ■

الغرباء

ابو حنيفة التحريري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ..." أخرجه ابن ماجة وغيره، واللفظ لابن ماجة.

مع اشتداد الخطوب، واحتلاك الظُّلمة، وتكالب الظَّلَمة، وخذلان الإخوان... يجد العاملون لإقامة الخلافة أنفسهم في غربة يحسبونها وحشة وجفاء، ولكنها بإذن الله الأُنسة بكل من سلك مدارج السالكين على صراط الله المستقيم... ولعل في هذه الأبيات التي جاشت بها القريحة نفحةً ترفع عن الغرباء غُمَّةَ الاستيحاش في زمن الخذلان.

غُرباءُ لَكِنْ ما شَكونا غُربَةً ... لَيسَت بِغُربَةِ مَسكَنٍ وَدِيارِ.

لَكِنَّها هَجرٌ لِكُلِّ رَذِيلَةٍ ... وَفَواحِشٍ ومُحَرَّمٍ وَشَنارِ.

بِتنا بِذاتِ الكَهفِ نَأْوي عُزلَةً ... أَضحَت بُيوتُ اللائِذينَ كَغارِ.

أَضحى الحَرامُ مُحلَّلًا تَبًّا لَهُم ... وَالحَقُّ أَمسى باطِلًا بِدِياري.

وَالكُفرُ عَربَدَ كاتِمًا أَنفاسَنا ... رَبَضوا بِكُلِّ يَمينَةٍ وَيسارِ.

والمارِقُونَ مِنَ الطُّغاةِ تَجَبَّروا ... باعوا البِلادَ بِصَفقةٍ وقِمارِ.

والضَّارِبونَ بِسَيفِهِم دِرعٌ لَهُم ... نَصَبوا المخافِرَ حَولَهُم كَسِوارِ.

وَالنَّاعقونَ يُسَبِّحونَ بِحمدِهِم ... لَعَقوا اللُّعاعَةَ من فُتاتِ بَوارِ.

أَمَّا البَقِيَّةُ لا تَسَلنِي عَنهُمُ ... هامُوا بِغَيرِ مُسَدَّدٍ وَقرارِ.

مِن بينِ هذا الفَرثِ قُمنا صَفوَةً ... حِزبًا نَقِيًّا مُبصِرًا لِمَسارِ.

غُرَباءُ نَحمِلُ كُلَّ خَيرٍ لِلورى ... نَصِلُ الليالِي بَعضَهَا بِنَهارِ.

ما ضَرَّنا كَيدُ الطُّغاةِ وبَطشُهُمْ ... ما كُنتُ أَرضى ذِلَّةَ الخَوَّارِ

ما هَدَّنا ضِيقُ الزَّنازِنِ والسُّجو ... نُ نَوَدُّها فَاشمَخْ بِكُلِّ فَخَارِ.

ما صَدَّنا غَدرُ الأَكابِرِ أَجرَموا ... جُرمُ الخَسِيسِ مُخَضَّبٌ بِصَغارِ.

ما رَدَّنا عَزفُ الجُموعِ وَنَأْيُهُمْ ... ما كُنتُ أُسلَبُ عَزمَتي وَقَراري.

إِنَّ الخِلافَةَ يا ابنَ أُمِّي شِرعَةٌ ... وَرِياسَةٌ لِلمُسلِمينَ بِدارِ.

فَاصبِرْ مَعَ التَّحريرِ نَفسَكَ جاهِدًا ... وَاقبِضْ على حَرِّ الثَّباتِ جِمارِ.

وَالزَمْ طريقَ المصطفى وَغِراسَهُ ... ذاكَ الطَّريقُ مُعَقَّبٌ بِظَفارِ.

فَانصُر إِلَهي دَعوةً قد يُتِّمَتْ ... وَغدا الغَريبُ بِوحشَةٍ وَقِفارِ.

والوَعدُ وَعدُكَ لا يُرَدُّ قَضاؤُهُ ... يا مَن أَويتَ مُحَمَّدًا في الغارِ.

عَمَّيتَ عنهُ المبصِرينَ بِبابِهِ ... والطَّالِبينَ حَجَبتَهُم بِستارِ.

فاحجِبْ إِلَهي عن أَميرٍ لائِذٍ ... بِحِماكَ يَرمُقُ نُصرَةَ الأَنصارِ.

وَامنُنْ عَلينا بِالعُقابِ خِلافَةً ... غُرَباءُ نَسأَلُكَ اللَّمامَ بِدارِ. ■

مخطّطات الغرب لتحريف الإسلام:
«الإسلام الأميركي» و«الإسلام الفرنسي» نموذجاً (١)

الأستاذ بسّام فرحات

ما فتئ الصّراع بين الشّرق الإسلامي والغرب النّصراني منذ مواجهاته الأولى (مؤتة - تبوك - أجنادين - اليرموك...) في سيرورة صداميّة محمومة تخبو نارها حينًا وتستعر أحيانًا؛ لكن لا تبرد ولا تستكين ولا تنطفئ، وقد كان للحقّ فيها صولاته كما كان للباطل أيضًا جولاته ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾... ولئن مُنيت أوروبا النّصرانيّة في الجولة الصّليبيّة الأولى بهزيمة نكراء وارتدّت خاسئة وهي حسيرة، فإنّها في الجولة الصّليبية الاستعماريّة مطلع القرن الـ١٩ الميلادي بدت أكثر تصميمًا وعزمًا على إخضاع المسلمين، وأكثر تمكّنًا من الوسائل الماديّة، وأكثر استنارةً ووعيًا من حيث الخطط والأساليب، متّخذةً من الانكسار الذي مُنيت به في القرون الوسطى تجربةً ميدانيّة للوقوف على نقاط قوّة الخصم وضعفه، وامتحانًا استخلصت منه أثمن الدّروس وأبلغ العبر نوجزها في ثلاثة:

أوّلًا: إنّ هزم المسلمين في حرب دينيّة سافرة هو ضربٌ من المستحيل ومطمح بعيد المنال.

ثانيًا: إنّ الغزو العسكري لا يمكن أن يُثمر ما لم يكن مصحوبًا بغزوٍ فكريٍّ حضاريٍّ.

ثالثًا: إنّ قوّة المسلمين تكمن في عقيدتهم وما يبنى عليها من أفكار بصفتها عقيدةً سياسيّةً روحيّة قادرة على بعث المسلمين من رمادهم.

وتبعًا لذلك فإنّ الهجمة الاستعماريّة الأخيرة لم ترفع الصّليب شعارًا مستفزًّا، ولا اتخذت من القدس وجهةً معلنة، ولم تكتفِ بإسقاط دولة الخلافة وتمزيق المسلمين، بل تسترّت عن استهداف الإسلام عقيدة وأنظمةً وثقافةً بالحماية والتّعمير والتّمدين والتّطبيب، وفتحت على المسلمين ثلاث واجهات متوازية متكاملة: الأولى عسكريّة لاحتلال الأرض وتفكيك الدّولة وإقصاء الشّريعة، والثّانية فكريّة لغزو العقول ونشر الثّقافة الغربيّة نظريًّا وتطبيقيًّا، أمّا الثّالثةُ فعقائديّة لفرض عقيدة فصل الدّين عن الحياة والقضاء على الإسلام بالإجهاز على عقيدته السّياسيّة الرّوحية الكفيلة ببعث الرّوح مجدّدًا في الأمّة الإسلاميّة... وقد استتبع هذا الانقلاب في الأساليب تحوّلات جذريّة على مستوى الخطط المعتمدة في الغزو بحيث اتّخذت شكلًا جديدًا غايةً في الخبث والدّهاء والمكر: فبما أنّ الحصون المنيعة لا تؤخذ إلاّ من الدّاخل، انعقد عزم الكافر المستعمر على ركوب العقيدة الإسلاميّة ذاتها في محاولة

لاختراقها ونسفها وتدجينها وتوظيفها، ومن مأمَنِهِ يُؤتى الحَذِرُ... من هذا المنطلق شهد الصّراع بين المعسكرين تطوُّرًا نوعيًّا تحَوّلت حَلَبَتُه بمقتضاه، من خارج العقيدة الإسلاميّة بوصفها عقيدةً شيطانيّة منحرفة، معاداة مرفوضة ابتداءً بالجملة: (يجب محوها من الوجود)، إلى داخل العقيدة الإسلاميّة باعتبارها مادّةً خامًا جَمُوحًا عصيّةً على التّرويض تحتاج إلى بعض التّشذيب والتّنقيح والتّعديل حتّى تتأقلم مع الحضارة الغربيّة وقيمها، وتستجيب للمواصفات الرّأسماليّة، وتُكرّس لتحقيق مصالح الكافر المستعمر؛ فيتيسّر بالتّالي التّعايش معها - ولو على مضض - إلى حين تركُّز الثّقافة الغربيّة ومفاهيمها الحضاريّة ووجهة نظَرها في الحياة...

صليبيّة تبشيريّة أم رأسماليّة مصلحيّة؟

ورغم أنّ وجه الصّراع في نسخته الحاليّة رأسمالي صرف، تحرّكه المصالح والمنافع الماديّة، وتَضمُر فيه النّاحية الصّليبيّة التّبشيريّة الكنسيّة، ويأخذ شكل الاستعمار والسّيطرة على مقدّرات الشّعوب وثرواتها؛ إلاّ أن ذلك لا يعني البتّة أنّ هذا الصّراع لا يستهدف القضاء على الإسلام، وأنّه مجرّد حرب مصالح وليس حرْبًا دينيّة عقائديّة يقودها الغرب النصراني الرّأسمالي ضدّ الإسلام والمسلمين، فالهدفان يتقاطعان ويتكاملان بحيث إنّ الدّافع الرّئيسي للحملة الاستعماريّة، هو بالأساس، الخطر الكامن في الأمّة الإسلاميّة على مصالح هذا الغرب ونفوذه الدّولي، بل وعلى وجوده ذاته... فيجب التّفريق بين مشغل التّبشير والتّنصير الذي فشل فيه الكافر المستعمر مع المسلمين واقتنع بفشله إلى درجة أنّه تخلّى عنه، ومشغل القضاء على الإسلام الذي يحول دونهم ونشر مبدئهم بين المسلمين، ووضع اليد على مقدّراتهم وثرواتهم... فالصّراع من وجهة نظر الغرب تخلّى عن مظهره التّبشيري الكنسي الذي تميّز به في العصور الوسطى، واتّخذ شكل الصّراع المبدئي العقائدي، وما الدّيانة إلاّ جزء لا يتجزّأ من العقيدة والمبدأ... فالغرب ينظر إلى الإسلام بوصفه خصْمًا حضاريًّا مبدئيًّا لا خصمًا دينيًّا فحسب، إنّهم ينظرون إلى قيم الإسلام باعتبارها بيئة معادية لقيمهم ومشاريعهم، وأرضيّةً خصبةً لنموّ المقاومة ضدّهم ورفض هيمنتهم وسيطرتهم، بينما هم يريدون شعوبًا هادئة مستكينة منقادة للاستعمار لا تحمل أيّ دوافع أو مشاريع للمواجهة والرّفض... يريدون تضليل المسلمين لتسهيل السّيطرة عليهم والاستفراد بخيراتهم، يريدون لهم ردّةً بالتّفصيل فيظلّون يسلبونهم عقيدتهم شيئًا فشيئًا، وحُكمًا إثر حُكمٍ، إلى أن يستحيلوا نسخةً مشوّهةً من منظومتهم وزرًا صدِئًا في ماكنة مصالحهم... وإنّ السّلوك الاستعماري الحالي، من حيث منطقه وخططه وأساليبه وبرامجه، إنّما هو ثمرة مُراكمة عبر سيرورة تاريخيّةٍ انطلقت من النّسخة الصّليبيّة، وما فتئت تطوّر نفسها وتجوّد عطاءها وتشذّب أخطاءها عبر التّجربة والممارسة الميدانيّة للصّراع ضدّ المسلمين، جيلًا بعد جيل، إلى أن تحقّق حلمها بعد الحرب العالميّة الأولى: فهُدمت دولة الخلافة، وأُزيل الإسلام من الوجود، ومُزّقت بلاد المسلمين إلى أكثر من ٥٠ مزقة فُرضت عليها

العمالة والتّبعيّة وتطبيق أحكام الكفر... إلاّ أنّ العقيدة الإسلاميّة السّياسيّة الرّوحية ظلّت تنبض بالحياة: فالمبادئ لا تنتهي بسقوط الدّول التي تطبّقها، ولكن تنتهي إذا تخلّت عنها الشّعوب التي تحملها وتعتنقها - وهذا ما حصل مع الاشتراكيّة الماركسيّة - أمّا المبدأ الإسلامي فقد تواصل وجوده حيويًّا متّقدًا؛ لأنّ الأمّة الإسلاميّة بمختلف شعوبها ظلّت تعتنقه رغم أنّه غير مطبّق عليها وغير موجود دوليًّا، بل لقد دبّت في أبنائها المخلصين الواعين منذ خمسينات القرن المنصرم أحاسيس النّهضة والتحرّر والقيادة وإنقاذ البشريّة على أساس تلك العقيدة؛ ممّا دقّ عند الغرب ناقوس الخطر وحتّم الانتقال إلى الخطوة الثالثة من الحرب على الإسلام ألا وهي استهداف العقيدة ذاتها... وكانت أميركا قد تولّت كبر نشر المبدأ الرّأسمالي بعد الحرب العالميّة الثّانية، ثمّ وبعد سقوط جدار برلين صارت تعمل لتفرُّد هذا المبدأ عالميًّا، وقد نجحت بمساعدة العالم الحرّ في جعل الرّأسمالية أساس العلاقات والأعراف الدّولية، وهي تريد الآن جعلها دين أمم وشعوب الأرض كلّها بحيث لا يكتفون بتطبيقها قَسْرًا، بل يعتنقونها ويُكيّفون مقاييسهم وقناعاتهم على أساس أفكارها ومفاهيمها... هذه الحملة الأميركية لعولمة المبدأ الرّأسمالي - وإن نجحت في سائر أنحاء العالم - إلاّ أنّها تعثّرت في العالم الإسلامي وفشلت فشَلًا ذريعًا؛ ممّا حَدَا بالغرب الاستعماري عمومًا إلى تطوير خططه وأساليبه بحيث تتولّى دُولهُ بأجهزتها الرسميّة وعملائها من الحكّام والمفكّرين مهمّة الإجهاز على العقيدة الإسلاميّة ذاتها، واستبدال عقيدة فصل الدّين عن الحياة بها... وقد انعقد عزمهم على اختراق تلك العقيدة وفرقعتها من الدّاخل للسّيطرة عليها وعلى أتباعها وتوظيفهم لصالحهم... وقد أفرز هذا الحراك السّياسي مشروعين متوازيين متكاملين، يتّفقان في الهدف - احتواء مشروع الأمّة - ويختلفان في الطّرح وزاوية النّظر والوسائل والأساليب، أحدهما سياسي عسكري، والآخر فكري حضاري... وإنّهم وإن تبادلوا الأدوار والمواقع والخبرات وانخرطوا بكليّتهم في إرساء المشروعين، إلاّ أنّ الأوّل تولّت كِبْرَ قيادته ميدانيًّا أميركا، أمّا الثّاني فقد تزعّمت التّنظير لهُ (رائدة الحريّات وحقوق الإنسان) فرنسا.

الإسلام الأميركي

المشروع الأول المنسوب إلى العمّ سام هو مشروع سياسي عسكري أكثر منه فكري، وهو عَمَليّ تطبيقيّ ميدانيّ آنيّ قصير المدى يستهدف المسلمين قبل الإسلام، عبر دراسة واقعهم اليوم ودراسة الحركات والمنظّمات والجماعات الإسلاميّة دراسةً واقعيّة ميدانيّة بغية فهمها واختراقها والسّيطرة عليها وتوظيفها في تدجين الإسلام وأتباعه... فبعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر بدأت التّقارير الأميركية تتحدّث عن الإسلام وعن المواصفات التي تخوّل له التّواجد والنّشاط، وقد نُعت هذا الإسلام المنشود بأوصاف عدّة (الإسلام المعتدل - الوسطي - الحداثي - المدني - الدّيمقراطي...) وبما أنّ الأمور بأضدادها تُعرف، فإنّ هذه المواصفات تحيل ضمنيًّا

على الإسلام (المتطرّف - الأصولي - الإرهابي - الرّاديكالي - المتشدّد...) المرفوض أميركيًا. وإذا تأمّلنا في الأسس والمعايير التي تفصل بين (الإسلامَيْن) نجد أنّ المصالح الأميركية هي الفيصل: فالإسلام المتطرّف هو الذي يهدّد مصالح أميركا، والإسلام المعتدل هو من يحقّق مصالحها ويَضمنها ويتوافق ويتعايش معها... هذا إجمالًا، أمّا تفصيلًا: فإنّ الغرب الاستعماري المغرق في البراغماتيّة والميكيافلية ليس له ابتداءً أيّ مشكلة مع الأديان ما دامت مفصولةً عن الحياة ولا تُهدّد مصالحهُ، بل قد يركبها ويوظّفها لتخدير الشّعوب والتحكّم فيها وفي مقدّراتها (الهند نموذجًا)... إلاّ أنّ الإشكال مع الإسلام أنّه يملك من المقوّمات ما يمكن أن يجعله بديلًا حضاريًّا ومنافسًا مستقبليًّا خطيرًا يثير مخاوفهم ويهدّد مصالحهم بل وجودهم... ومن هذه المقوّمات:

١- الشّمول والكمال: أي الاكتفاء الذاتي القيمي والتشريعي، فالإسلام ليس مجرّد ديانة روحيّة كهنوتيّة بل هو عقيدة ومبدأ وفكرة كليّة ومنظومة حياة متكاملة لم تترك كبيرة ولا صغيرة إلاّ فصّلت فيها القول ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾... هذا الاكتمال يُكسِب المسلمين استقلاليّةً وصلابةً فكريّة ومناعةً ذاتيّةً أمام الغزو الحضاري والاختراق الثّقافي، وهو لا يروق للأعداء لأنّه يسدُّ الفراغات التي يتسلّلُ من خلالها بأفكاره وتشريعاته، ويحول دون مصالحهم ومشاريعهم الهدّامة المستهدفة للإسلام والمسلمين.

٢- النّزعة الجهاديّة: فالإسلام عقيدة قتاليّة مُزوّدة بمخالب توقظ روح العزّة في معتنقيها، وتزرع بذور المقاومة في أتباعها، وتصوغ في قلوبهم منظومة من القيم تجعل من الموت في سبيل الله شهادةً وبدايةً للحياة الحقيقيّة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾... وهي عقيدة تجعل من الجهاد أي القتال طريقةً واجبة هجوميّة لا دفاعيّة لحمل الدّعوة الإسلاميّة، بما يحوّل المسلمين إلى قنابل موقوتة توشك أن تنفجر عليهم في أيّ لحظة.

٣- الانتشار: فالإسلام عقيدة حيّة نامية فيها قابليّة التوسّع وتحمل في ذاتها عوامل التمدّد والانتشار، لأنّه دين الفطرة والجِبِلّة، ترتاح له نفوس الشّعوب وتُقبِلُ عليه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولأنّه يخاطب البشريّة جمعاء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ويزرع في أتباعه عقليّة الانتشار والتوسّع ويجعل منها عبادة، فيوجب عليهم تبليغ الدّعوة بالقول والفعل والقتال والفتوحات ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ممّا أثار فزع الكافر المستعمر وهلعه، لا سيما وهو ينتشر بين ظهرانيه...

٤- القدرة على صهر الشّعوب: العقيدة الإسلاميّة بوتقة تصهر الشّعوب والأجناس وتوحّد بينهم على قدم المساواة عبر رابطة الأُخوّة الإسلاميّة التي تجعل منهم كالجسد الواحد وكالبُنيان المرصوص ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، وهذا مخالف للقاعدة الاستعماريّة الذّهبيّة (فرّق تَسُد). فوحدة الشّعوب وتكَتُّلُها في أخطر وأهمّ

وأغنى منطقة في العالم من حيث الموقع الاستراتيجي والثّروات يمثّل تهديدًا مباشرًا للمصالح الأميركية.

هذا هو جماع المخاوف الأميركية والغربيّة عمومًا من الإسلام، وعلى ضوئها انخرطت الماكنة السّياسيّة الأميركية في تشذيب العقيدة الإسلاميّة وإصلاح الإسلام وصياغة مواصفات الإسلام الأميركي؛ فشنّت حربًا على الشّريعة للتشكيك في كمالها وتشويهها في أذهان المسلمين، واتّخذت من تفصيلاتها الجزئيّة البسيطة مادّةً للاستهزاء والسّخرية عَسَاهَا تُكرّس مناطق الفراغ الكفيلة بتسلُّل الثّقافة الغربيّة... وشنّت حرْبًا عسكريّة ميدانيّة وأخرى إعلاميّة فكريّة على الجهاد وحركاته أثخنت فيهم، ووصفتهم بمصطلحات مُنفّرة تقف حاجزًا بينهم وبين المسلمين (همجيّة - بربريّة - وحشيّة - أصوليّة - تطرّف - دعوة للعنف - تكريس للكراهية...) ووسّعت من مفهوم (الإرهاب) ليشمل كلّ مسلم يقف حائلًا دون تحقيق مصالحها ومطامعها... كما سعت إلى تجريد الإسلام من أحد أهمّ عوامل قوّته (الدّعوة وقوّة الحجّة) عبر عقد مؤتمرات (حوار الحضارات والأديان وأبناء إبراهيم) التي تؤسّس للبحث عن المشترَكات بدل الحقائق، وتكرّس حوار المجاملات المتبادلة بدل مقارعة الحجّة بالحجّة؛ وبذلك تضرب فكرة الدّعوة إلى الإسلام، وتفرض فكرة التّعايش المشترك، وتحصر انتشار الإسلام في سياقات سهلة الاحتواء (صوفيّة - سلفيّة علميّة - تبليغ - هرطقات...) وعملت في الأثناء جاهدةً على تكريس تقسيم العالم الإسلامي عبر زرع الألغام الحدوديّة بين الكيانات، وتغذية بذور الفرقة والاختلاف لتأييد التشتّت والضّعف، ووظّفت مفهوم (الأقليّات) العرقيّة والإثنيّة لمزيد تقسيم المقسّم وتفتيت المفتّت... إن أميركا تعلم جيّدًا أنّ محو الإسلام تمامًا من كيان الشّعوب وإخراجهم منه بالكليّة مطمح بعيد المنال؛ لذلك لجأت إلى محاولة احتوائه وإفراغه من مبادئه التي تهدّد مصالحها عبر قصقصَة أجنحته ونزع مخالبه وتقليم أظافره وجعله مُخفّفًا منزوع الدّسم ليتحوّل إلى جثّة هامدة وجسد بلا روح... وليتيسّر لها ذلك، لا مفرّ من توظيف أطراف منتسبة إلى الإسلام والمسلمين تدعمهم إمّا مباشرةً أو عبر الأنظمة التّابعة؛ ليتولّوا عمليّة التّوجيه الفكري للأمّة، وتركيز الحضارة الغربيّة والعقيدة الرّأسماليّة في أذهان المسلمين باسم الاعتدال والوسطيّة واليسر والاجتهاد والمقاصد والتّجديد والتّطوّر والحداثة... مع محاربة الإسلام من الدّاخل بمعاول الهدم الكامنة فيه والمتمثّلة خاصّةً في الهرطقات والمذاهب المنحرفة (نصيريّة - يزيديّة - إباضيّة - صفويّة - بهائيّة - قاديانيّة - أحمديّة...) وإذكاء الفتن المذهبيّة والطّائفيّة والعرقيّة. وكلّ هذا الخضم هو من قبيل الفوضى الخلاّقة التي تفرز عبر آليّة العرض والطّلب الإسلام المنشود بمواصفاته الأميركية: يدعم العمل الدّيمقراطي، وينبذ العنف، ولا يُضمرُ العداء للغرب، ويتشكّل وفق أهواء ومصالح العمّ سام.

مراكز البحث

إنّ خطورة مشروع الإسلام الأميركي وفعاليّتهُ ونجاعتُه وتداعياته الكارثيّة على

الأمّة الإسلاميّة تكمن في كونه ثمرة دراسة واقعيّة ميدانيّة تمتاز بالعمق السّياسي وبعد النّظر الاستراتيجي، أجريت من طرف مراكز البحث والفكر والمنظّمات البحثيّة، على يد كبار المفكّرين والخبراء والباحثين على غرار برنارد لويس صاحب أطروحة الشّرق الأوسط الكبير، وميلتون فريدمان الملقّب بكارل ماركس الرّأسماليّة وصاحب النّظريّات الاقتصاديّة المتطرّفة، وفرانسيس فوكوياما صاحب أطروحة نهاية التّاريخ، وصامويل هنتنجتون صاحب أطروحة صراع الحضارات، وهي كلّها أطروحات تبنّتها الإدارة الأميركية... فقد أصبحت مراكز البحث هذه جزءًا لا يتجزّأ من السّياسة الأميركية، وأضحى خبراؤها وباحثوها يلعبون دورًا خطيرًا في توجيه السّياسات وتشكيل الرّأي العامّ وتكوين أفكار القادة والرّؤساء بصفتهم مستشاريهم... أخطر هذه المؤسّسات البحثيّة على الإطلاق هو (مركز راند) وهو أبرز مركز أبحاث في العالم، وقد أُسِّسَ تحت إشراف البنتاغون. وتكمن خطورته في قربه من مراكز اتّخاذ القرار في الإدارة الأميركية وشدّة تأثيرِه فيها: فتقاريره هي التي تشكّل ملامح استراتيجيّة الأمن القومي الأميركي وتصوغ النّظرة الأميركية للإسلام والمسلمين والسياسة العمليّة تجاه منطقة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا... هذه المراكز اتّخذت من الإسلام بكلّ أفكاره وتيّاراته وجماعاته مادّة بحثٍ رئيسيّةً، وتناولت صورة الإسلام الذي يمكن اعتباره معتدلًا، وسُبُل توجيه المسلمين نحوهُ... ودعت إلى فهم طبيعة الإسلام وتصنيف المسلمين إلى متشدّدين ومعتدلين، وحثّت على دعم توجّهات محدّدة داخل الطّيف الإسلامي (إسلام مدني ديمقراطي طُرُقي...) وبناء شبكات التيّار العلماني واللّيبرالي لمواجهة الأفكار الإسلاميّة المتشدّدة... كما نوّهت بأهمّية جعل تركيا نموذجًا يُحتذى به للتّغيير في باقي دول الشّرق الأوسط إن هي استمرّت على نفس الخطّ المعتدل... وغير خافٍ على المتابعين أنّ هذه (التّوصيات) قد التزمت بها الإدارة الأميركية بصفتها مشاريع حكومة، وهي تسير فيها هذه الأيّام بحذافيرها... أمّا آخر هذه التّقارير فيتمثّل في الوثيقة المسرّبة سنة ٢٠١٨م، عن مركز بحث في وزارة الخارجيّة الأميركية، والتي تنصّ صراحةً على الدّفع باتّجاه (الإصلاح الإسلامي) وتدعو إلى إيجاد (شخصيّة مارتن لوثر مسلم لتحديث الإسلام) على أن يستهدف هذا الإصلاح بالأساس (جماعتين مهمّتين هما: المرأة والشّباب؛ لإيصال رسائل إلى الإسلاميّين بأنّ الولايات المتّحدة تسعى إلى نشر الأخلاق الأميركية ورؤيتها الليّبراليّة)...

الحكومات الملتحية

لقد اشتركت تقارير هذه المراكز منذ تسعينات القرن المنصرم في نبوءة مبكّرة ما فتئت تؤكّد عليها وتغذّيها، مفادها أنّ جماعات الإسلام السّياسي سوف يواجهون فشَلًا ذريعًا وسقوطًا مدوّيًا بمجرّد وصولهم إلى السّلطة، وسيصبح من السّهل تشويهُهم وعزلهم عن الجماهير، ولن يعودوا بعدها مطلَبًا جماهيريًّا كما كانوا... فتلك الجماعات لا تملك مشاريع سياسيّة بل مجرّد شعاراتٍ جوفاء، فإذا أُوصلوا

إلى السّلطة فسيذوبون فيها ويستسلمون لها ويتخلّون عن شعاراتهم الإسلاميّة، أو سيفشلون ويتّضح أنّهم لا يمتلكون أيّة رؤية لتحقيق نهضة ما، ولا بديلًا للتنفيذ على أرض الواقع، وسَيُنسَبُ فشلُهم إلى الإسلام كَكُلّ... من ناحية أخرى فإنّ وصول الإسلاميّين المعتدلين المتصالحين مع قيم العلمانيّة من شأنه إقصاء أصوات الرّاديكاليّين المتشدّدين والجهاديّين بحكم وجود منفذ سهل ومُغرٍ وقانوني للتّغيير؛ وبذلك تُمتصُّ العواطف الدّينيّة عند الشّباب ويقع احتواؤها فلا تخرج عن السّيطرة... وقد عبّر رجل المخابرات الأميركية جرهام فولّر عن هذه الفكرة في كتابه «مستقبل الإسلام الأميركي ٢٠٠٣» بقوله: «لا شيء يمكن أن يُظهِر الأسْلَمَةَ في صورةٍ غير جذّابة أكثر من تجربة فاشلة في السّلطة»، وأضاف «إنّ مسألة حبّ الشّعوب لأميركا قضيّةٌ فرعيّة، أمّا الأهمّ فهو كره الشّعوب للأفكار التي تخافها أميركا» في إشارة إلى تشويه الإسلام بإفشاله في تجربة الحكم... على هذا الأساس ومنذ سنة ٢٠٠٣م، تواترت التّقارير والتّوصيات للإدارة الأميركية بضرورة دعم العمليّة الدّيمقراطيّة، واستدراج تيّار الإسلام السّياسي إلى السّلطة بما يساعد على احتواء التطرّف، وتلطيخ سمعة تلك الجماعات بمشاريع العمالة، وجعلهم يتنازلون عن الكثير من أفكارهم، ثمّ إفشالهم وتعميم الفشل على الإسلام السّياسي كَكُلّ... ومنذ سنة ٢٠٠٦م، بدأت هذه التّوصيات تجد طريقها للتّجربة والتّطبيق الميداني مع الإخوان في مصر الذين حازوا على ٨٨ مقعدًا في مجلس الشّعب، وفي الفترة نفسها وصلت حماس إلى السّلطة بضوء أخضر من أميركا وكيان يهود. ثمّ أصبحت الخطّة قيد التّنفيذ بعد ثورات الرّبيع العربي مع الحكومات الملتحية، حيث أُوصِل التيّار الإسلامي إلى السّلطة في تونس ومصر لاحتوائه واستخدامه في امتصاص النّفس الثّوري وتمرير المشاريع الاستعماريّة قبل أن يقع إفشالهم والانقلاب عليهم أو إذابتهم في نسيج الدّولة العلمانيّة الحديثة... لقد تعاملت أميركا مع الحركات الإسلاميّة بمنتهى الميكيافليّة والبراغماتية بحيث تستعمل المتطرّفين لتحقيق أغراضها السّياسيّة، ثمّ تستعمل المعتدلين لتحجيم نفوذ المتطرّفين، وإذا انتهى تقاطع المصالح معهم توكل بالجميع، العلمانيّين والحكومات، لمحاربتهم واستئصالهم، والقاعدة المشهورة في ذلك ذكرها مركز مكافحة الإرهاب في تقريره لسنة ٢٠٠٤م، تحت عنوان (سرقة دفتر خطط القاعدة) بقوله: «يجب أن تعلم الإدارة الأميركية أنّ أصدقاء اليوم هم أعداء الغد... فليس هناك أصدقاء دائمون أو أعداء دائمون، هناك فقط مصالح دائمة».

الإسلام الفرنسي

المشروع الثاني والمنسوب إلى فرنسا هو مشروع فكري نظري أكثر منه سياسي عمَلي، أمّا ثماره فليست آنيّة بل هي بعيدة المدى، فهو مشروع تأسيسي يستهدف الإسلام قبل المسلمين عبر وضع اليد على نصوصه ومصادره وآليّات فهْمِهِ واستنباط أحكامه؛ لِمَسخِه وتحريفِه وقولبته ونسخ تشاريعه وتطويعها لخدمة أغراض الكافر المستعمر الدّنيئة ومشاريعه المسمومة

في تمييع المسلمين وتكريس انحطاطهم وتبعيّتهم واستبعاد نهضتهم، وهو بذلك يكون قد أسّسَ لتقاليد جديدة وخطِرة في التّعامل مع النّصوص الشّرعيّة - حدًّا وفهمًا واجتهادًا واستنباطًا وتفسيرًا وتأويلًا - تقطع كُليًّا مع المنظومة الفقهيّة الاجتهاديّة الإسلاميّة، استنطقت تلك النّصوص بما يتناقض كليًّا مع الشّرع الحنيف، ورامت بكلّ وقاحة وصفاقة إلى سحب - لا البساط فحسب - بل الإسلام برُمّته من بين أيدي المسلمين... وقد تولّت رسم ملامح هذا الإسلام المختلَق والمـُدَّعى والمتوهَّم المدرسةُ اليعقوبيّة اليساريّة الفرنسيّة التي تنكر الدّين وتفصله عن الحياة، وتُقصيه بالكليّة عن أنظمة المجتمع، وتقصُرُه على الطّقوس التعبّدية، وتزجّ به في غياهب المعابد والمقابر... ومن أبرز أعلام ومنظّري هذه المدرسة - المتطرّفة حتّى بالمفاهيم العلمانيّة - نذكر المستشرق الفرنسي ذا الأصول اليهوديّة مكسيم رودنسن وتلامذته من أمثال أوريانا فاوتشي وبرنار لويس وأندريه قلوكسمان وبرنار هنري ليفي وروبار مينار والطّاهر بن جلّون، هذه الجوقة الصّهيونيّة المكشوفة التي احترفت الطّعن في الإسلام والتّشكيك في ثوابته، وأوقفت عليه نفسها وتكوينها وإنتاجها الفكري، واتّخذت من ذلك هدفًا وعقيدةً ومنهج حياة، هالها في العقيدة الإسلاميّة أمران: أوّلًا وحدة الإسلام والنّاحية الأمميّة فيه، وثانيًا وضوح الإسلام ومصداقيّة النّاحية التّشريعيّة فيه... فخطاب الشّارع موجّه للبشريّة جمعاء على قدم المساواة، والشّريعة تعالج مشاكل جنس الإنسان بما يوافق الفطرة ويقنع العقل ويملأ القلب طمأنينةً، والنّصوص الشّرعية بيّنة بليغة فصيحة مُزوّدة بآليّات عمليّة مضبوطة دقيقة لفهمها وتفعيلها واستنباط أحكامها، ممّا جعل من العقيدة الإسلامية بمثابة الإسمنت المسلّح الذي شدّ وما زال لِبنات العالم الإسلامي، والبوتقة التي انصهرت فيها تلك الفسيفساء من الأعراق والإثنيّات واللّغات... وأمام استحالة انتزاع تلك العقيدة الفطريّة الجبليّة من قلوب المسلمين، فلا أقلّ من تحويلها من عامل قوّة وتوحيد ونهضة ورقيّ إلى عامل ضعف وتفرقة وتفكُّك وانحطاط وتخلّف، وذلك بفرقعتها من الدّاخل إلى إسلامات (إقليميّة - وطنيّة - عرقيّة - مذهبيّة - طُرُقيّة...) متباينة، عقيدةً وشريعةً وطقوسًا ومقدّسات ومواصفات، متناحرة متقاتلة فيما بينها، وهو مطلب عسير المنال ما دام القرآن (النصّ المرجعي المؤسّس للدّيانة) موحّدًا واضحًا بيّنًا في أذهان المسلمين مفعّلًا منزّلًا على الوقائع الجارية... فلا مفرّ إذًا من المبادرة بضرب وحدته ووضوحه وتكريس عقمه التّشريعي وضبابيّة أحكامه وميوعتها بما يُفضي إلى خلق تعدّدية مرجعيّة تؤدّي بدورها إلى شكل من التعدّدية الدّينيّة ثمّ السياسيّة من خلال اعتماد قرآن وإسلام وشريعة وأحكام خاصّة بكلّ وطن وشعب وعرق ومذهب... وقد عبّر الرّئيس الفرنسي السّابق ساركوزي عن هذا المنزع في (التعدّدية الإسلاميّة) بقوله: (نحن ضدّ إسلام في فرنسا، مع إسلام فرنسي). [يتبع]

أردوغان والإسلامية:

هل يمكن لأردوغان أن يشكل قيادة للأمة الإسلامية؟

يلماز شيلك

أردوغان والإسلامية: هل يمكن لأردوغان أن يشكل قيادة للأمة الإسلامية؟

يلماز شيلك

في هذه المقالة التي تدور حول السياسة التي ينفذها أردوغان؛ أردت أن أبدد بعض الالتباس الذي يدور في أذهان الناس. فبعض الناس يرون في أردوغان قائدًا ينفذ سياسة إسلاميةً وعثمانيةً جديدةً، وبعض الذين يحملون مشاعر إسلاميةً يؤمنون بهذا ويدعمونه. وبعض أوساط القوميين والعلمانيين يقولون إن أردوغان يحمل أجندة إسلامية خفية، ويريدون بذلك تحريض أعوانهم وأوساطهم.

وبعضهم يرى أن أردوغان خلع رداء الإسلام ودفع بظاهر كفه الخطاب الإسلامي والأهداف الإسلامية منذ زمن بعيد، ولا يعدو ما يردده من حينٍ إلى آخر واصطباغه بلون إسلاميٍ سوى الجهود التي يبذلها للاحتفاظ بدعم الشعوب الإسلامية. وهنا أحاول إزالة اللبس وكشف الغموض عن ماهية السياسة التي ينفذها أردوغان من خلال الأحداث وأدلتها الدامغة.

لقد أجدبت هذه البلاد ولم تعد تنبت بالتزامن مع إلغاء الخلافة في ٣ آذار/مارس عام ١٩٢٤م، وهذه البلاد التي استمرت في تخريج حشدٍ كبيرٍ من القادة السياسيين في جميع الميادين طوال أربعة قرون من التاريخ الإسلامي؛ لم تعد تنبت الرجال منذ مئة عام، ونحن اليوم شهود النتائج الثقيلة لهذا الوضع، وكم هو رائعٌ ما عبر به عن هذا الوضع السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله حين قال: «المسألة مسألة قحط الرجال». وقد أراد بالطبع رجل الدولة المسلم الذي جبل بالعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي والمشاعر الإسلامية، وامتلك البصيرة السياسية التي تنأى به عن الغرب والتأثر بالغرب، وإلا، فالرجال الذين يحملون مواصفات الحكام والسياسيين (!) في عصرنا كانوا كثرًا في أيامه، لكن الخليفة الحاذق البصير كان يتجنب هذا النمط من الرجال، ولا يريد أن يراهم في الوسط السياسي ولا في أجهزة الحكم.

وبعد هدم الخلافة تسلط على الأمة الطغاة الجبابرة الظالمون تمامًا كما أخبر به رسول الله ﷺ. وقد بلغ هؤلاء من الطغيان

أن امتلأت سجونهم بالمسلمين، وارتكبوا في شعوبهم مجازر قل نظيرها في التاريخ، ولم يرقبوا فيهم عهدًا ولا ذمةً، وحكموا بالقبضة الحديدية. وتركيا لم تكن استثناءً، ونالت نصيبها من هذا الظلم والطغيان. وهكذا كان شأن الحكام طوال تاريخ الجمهورية، فعلِّقت مشانق عدد لا يحصى من العلماء، وأنّت السجون والزنازين بآلام المسلمين المعذَّبين، وتحولت إلى كابوس لا يرحم، وديست الشعائر والقيم الإسلامية، ودبرت المكائد التي جعلت المسلمين يواجهون بعضهم بعضًا باستمرار. ورغم وصول بعض السياسيين البريئين من هذا إلى السلطة من حين لآخر؛ فقد استمرت هذه السياسة في عهدهم على العموم. واستمرت الحال على هذا المنوال حتى صعود أردوغان إلى الحكم.

وعندما ترك أردوغان الفهم اليعقوبي الإنجليزي، وسار في حكمه للشعب بالديمقراطية الأميركية الألين نسبيًا؛ لقي قبولًا لدى الشعب. وهذا بالطبع خبث أميركي صرف، وهي إجراءات لكسب رضا الشعب يقوم بها أردوغان من خلال الدعم السياسي الذي يتلقاه من أميركا. وقبل الحديث عن ماهية هذه الإجراءات، أريد الحديث عن كيفية وصول أردوغان أو كيف أوصلته أميركا إلى السلطة.

يعود الاتصال الأول لأردوغان بأميركا إلى عام ١٩٨٤م، عندما كان رئيسًا لتشكيلات حزب الرفاه في بي أوغلو من خلال اللقاء الذي جمعه بالسفير الأميركي مورتون أبراموبتز وقتذاك، في الوقف التابع للحزب في قاسم باشا وفق ما ذكره نصوحي غونغور الصحفي المقرب من أردوغان في كتابه «الحركة الحداثية»[١]. ولم يكذبه أردوغان، ووصفه السفير أبراموبتز بقوله: «أفضل أردوغان صاحب ربطة العنق والعصري في مظهره على أربكان»[٢].

ثم حكم على أردوغان بالسجن لمدة عشرة أشهر بسبب شعر ألقاه في سيرت في ١٢ كانون الأول ١٩٩٧م، وقد أخلي سبيله بعد أربعة أشهر بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٩٩م، ثم رفع عنه حظر العمل السياسي وتولى رئاسة الوزراء. ومنذ ذلك الحين بدأ تلميع نجم أردوغان من أميركا، وتم تسويقه نموذجًا للمجتمع والأوساط الإسلامية على وجه الخصوص. واستطاع بالفعل أن يحدث تأثيرًا كبيرًا في الأوساط الإسلامية بما يمتلكه من مظهرٍ إسلاميٍّ، أي صلاته وتلاوته القرآن الكريم وخمار زوجته، وبسبب هذه الخصائص اكتسب محبة الأمة وقبولها الكبير، فاستطاع الخروج بأغلبية كبيرة في الانتخابات الأولى التي شارك فيها. ومنذ ذلك الحين عملت أميركا على تلميع نجم أردوغان وتقديمه

١ نصوحي غونغور / Nasuhi Güngör، «الحركة الحداثية – تقييمٌ على محور النظام العالمي الجديد» / "Yenilikçi Hareket - Yeni Dünya Düzeni Ekseninde Bir Değerlendirme"، منشورات Anka، ص ٨٣. وكذلك ذكرته صحيفة أيدنلك / Aydınlık في عددها الصادر في ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٦.

٢ المرجع السابق.

نموذجًا إقليميًا، وخطت خطواتها في إطار سياسة الإسلام المعتدل التي تتبعها، وحققت نجاحًا كبيرًا.

وفي هذا السياق، وقعت الحادثة التي أحدثت ضجة كبيرة في المنتدى الاقتصادي العالمي المنعقد في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٩م في دافوس. فقد توجه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان في ذلك الحين بكلامه لرئيس وزراء كيان يهود شمعون بيريز: «**صوتك يرتفع كثيرًا، وأنت أكبر مني سنًا، وأعلم أن سبب ارتفاع صوتك أكثر مني هو ما يوجبه شعورك بالذنب، ولن يرتفع صوتي بهذا القدر، فلتعلم هذا جيدًا، وحين يتعلق الأمر بالقتل أنتم تعرفون جيدًا كيف تقتلون، وأنا أعرف جيدًا كيف قتلتم أطفالًا على الشواطئ...**». وطغت أمواج هذه الكلمات على القمة وانتشرت في العالم، ولقيت قبولًا كبيرًا عند المسلمين جميعًا على امتداد الجغرافيا الإسلامية، حتى إن المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية أطلقوا شعارات «خليفتنا أردوغان»، وبدأ الناس يسمون أبناءهم باسمه. ولا ينبغي تجاهل الأقوال والمقاربات التي تزعم بأن الحدث الذي وقع في دافوس لا يعدو كونه مسرحية، وقد ذكرت هذه المزاعم على لسان مقربين من حزب العدالة والتنمية مثل النائب الأسبق، ومن مؤسسي حزب العدالة والتنمية الأستاذ الدكتور نوزات يالجين تاش[٣]. وحتى لو تجاهلنا هذا الزعم؛ يظهر أمامنا تراجع أردوغان عقب الحادثة في تصريحه للصحفيين؛ حيث قال: «**تجاوز مدير الجلسة الذي كان ينتظر منه أن يلتزم بالموضوعية وفق قواعد المؤتمرات الدولية معايير الاجتماع، وحاول إنهاء الجلسة دون أن يعطي حقًا للمداخلين وأنا بينهم. وعندما قمت بالمبادرة وبدأت في الكلام، لم يسمح لي بالتعبير عن آرائي، وقمت بالاعتراض على مدير الجلسة، وتركت الجلسة التي كانت على وشك الاختتام، وأردت هنا أن أبين لكم هذا الأمر على وجه الخصوص؛ لأنه يمكن هنا تحريف الهدف...**»[٤]. ورغم هذه الخطوة إلى الوراء؛ ركزت وسائل الإعلام الأميركية على وجه الخصوص على هذا الحدث تركيزًا مفرطًا، واستخدم في تصعيد شعبية أردوغان، لكنه من جانب آخر لا تزال العلاقات مع كيان يهود الغاصب حتى اليوم في مستوى الصديق والحليف، وليس في مستوى «قاتل الأطفال».

لقد تمكن أردوغان منذ صعوده إلى السلطة من إحياء الروابط التي كانت منقطعة بين السلطة والشعب وتأسيس الجسور بينهما من جديد، وأحيا في المجتمع نظرة إيجابية للدولة، ودخل في عملية مصالحة بين

٣ صحيفة Sözcü، ٢٠ تموز ٢٠١٤. https://www.sozcu.com.tr/2014/gunun-icinden/one-minute-cikisi-bir-kurguydu-560171/

٤ http://www.hurriyet.com.tr/gundem/erdogan-tavrim-moderatore-10887334

المسلمين والدولة التي كانوا ينظرون إليها على أنها نظام كفر، وحل على سبيل المثال المشكلة القائمة في التعليم وخمار المرأة التي أزمنت سنوات طويلة حتى تفحمت في الوظائف العامة، فرفع حظر غطاء رأس المرأة في دوائر الدولة والجامعات والمدارس والدوائر الأمنية والجيش. ورفع القيود المفروضة على مدارس الأئمة والخطباء، وتلقى الناس ما قام به أردوغان على أنها إجراءات إسلامية رغم أنه قام بكل ما قام ويقوم به في إطار الحريات الديمقراطية. وبينما كان ينفق الأقوال التي ينال بها رضا الناس من جانب؛ يطبق من جانب آخر النظام الرأسمالي الديمقراطي الكافر الذي يرضي الكفار المستعمرين. وبينما يترك الزنا والفواحش التي حرمها مباحة من جانب، يطبق الربا والبنوك الربوية والنظام المالي القائم عليهما وما شابه ذلك من جانب آخر، ويتبع السياسات التي تنشره إلى كل زوايا المجتمع. أي أنه باسم إرضاء الغرب الكافر يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، فقال في الزنا على سبيل المثال والخصوص: «لقد قمنا بمثل هذه الخطوة (إباحة الزنا) وفق مطالب الاتحاد الأوروبي وغير ذلك، لكننا أخطأنا في ذلك...»[٥]، والله سبحانه وتعال يقول:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾، ثم يقول في الربا: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾. ورغم ذلك أعلن للناس بشارة الائتمانات الربوية في ظل الأزمة الاقتصادية لتسديد الناس ديونهم الربوية بديون ربوية جديدة مخفضة على حد زعمه من أجل كسب رضا هذه الشريحة من الناس. وليته قام بهذه الجهود في سبيل إرضاء الله بدلًا من السعي لتحقيق مطالب الغرب، ومعلوم أن الإعراض عن الإسلام طاعة للكافرين ندامةٌ في الدنيا وخسرانٌ يوم القيامة مبين.

وقد استطاع أردوغان الحصول على النجاح في جانب من سياساته. فاستطاع على سبيل المثال أن يحقق نموًا في الاقتصاد منذ توليه رئاسة الوزراء عام ٢٠٠٣م وحتى عام ٢٠٠٩م، واستطاع تحقيق زيادة في الناتج الإجمالي القومي محققًا نموًا في معدل حجم الاقتصاد من ١,١١٪ إلى ١,٣٧ من الاقتصاد العالمي. واستطاعت تركيا تحقيق أفضل أداء مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي. وسدد كذلك ديونه على صندوق النقد الدولي. وحقق نوعًا من الاستقرار السياسي النسبي، وزيادة في القوة الاقتصادية والرفاه الاجتماعي. لكن هذه النجاحات التي حققها في هذه الميادين إنما كانت بفضل الدعم الأميركي السياسي والاقتصادي. حتى مستشارو أردوغان يزورون أميركا بكثافة باسم تأمين سلاسة هذا الدعم، ويقدمون طلباتهم للمسؤولين الأميركيين لاستخدام أردوغان بشكل أكبر فاعلية. ويلفت الانتباه تصريحات مستشاره الخاص جنيد زابو في ذلك الوقت؛

٥ https://www.yeniakit.com.tr/haber/cumhurbaskani-erdogan-zina-yasasinda-yanlis-yaptik-426450.html

حيث قال في كلمته التي ألقاها في معهد أميركان إنتلربرايز عام ٢٠٠٦م: «استفيدوا من هذا الرجل، فهذا الرجل مكانة كبيرة في العالم الإسلامي بسبب معتقداته، ويؤمن بالنموذج الغربي للديمقراطية؛ لذلك أرى أن لا تفكروا بالانقلاب عليه! واستخدموه! ينبغي عليكم أن تستفيدوا منه هنا وفي أوروبا، وهذا هو عرضي لكم!» [٦].

يُشاهد فشل كامل في المجالات التي ذكرتها سابقًا؛ حيث إن القدرة الشرائية للشعب قد ضعفت كثيرًا، وارتفع مستوى الفقر يومًا عن يوم، على عكس مستوى الرعاية المجتمعية فهو ينخفض مع مرور الأيام. كذلك فإن البنوك تستعمر الشعوب بمنح القروض، وتصادر جميع مدخرات الأشخاص المدينين لها، إضافة إلى أن الشعب قد وصل إلى درجة الإفلاس في جميع النواحي تقريبًا. عدا ذلك فقد ازدادت مع الأيام أخبار استغلال النساء والأطفال في المجتمع. وانخفض عمر تعاطي المخدرات إلى مستوى المدارس الابتدائية. وبالتالي فإن المجتمع يواجه صدمة إنسانية كبيرة. وإن كان هناك سبب لذلك فلن يكون غير السياسة التي يتبعها أردوغان والنظام الديمقراطي الغربي الذي يطبقه على المجتمع.

كذلك، ومع مرور الأيام، فإن البعد عن الإسلام يبرز أكثر في بعض سياسات وخطابات حزب العدالة والتنمية. ففي خطاب أدلى به بن علي يلدريم رئيس الورزاء الأسبق ورئيس البرلمان حاليًا، عام ٢٠١٤م؛ حيث تحدث مفتخرًا: «**كان هناك مصنعان للخمر في مدينة تكيرداغ قبل أن نحصل على السلطة، لكننا رفعنا العدد إلى ١٨ مصنعًا**».

وبالطريقة نفسها نرى نيهاد زيبكتشي المرشح الحالي لرئاسة بلدية إزمير الكبرى من حزب العدالة والتنمية، في برنامج تم بثه على قناة سي إن إن تورك، يجيب على سؤال وجهه له مقدم البرنامج عن إنتاج الخمر ورُخِص أماكن بيع الخمر قائلًا: «لم أواجه سؤالًا كهذا من قبل. فلم يكن هناك شيء كهذا في الماضي، سواء في إزمير أو دنيزلي أو أي مكان قدمت منه، ففي أي منطقة في دنيزلي يوجد مطاعم تقدم الخمر، كذلك فإن رخصة معظم هذه الأماكن تحمل توقيعنا»، وأضاف زيبكتشي أيضًا: «وفيما يتعلق بدعم إنتاج الخمر بإزمير، فإن ذلك يعتبر اقتصادًا، فهو يعد منتجًا، أي صناعة وتجارة، فهو اقتصاد. ففي النهاية لست مفتيًا له هوية وشخصية دينية. ولست رئيس الشؤون الدينية. فذلك لا يهمني أبدًا. ولن أتقدم بأي فتاوى، إلا أن ذلك يعتبر إنتاجًا زراعيًا مثل زراعة الزيتون والتين، مثل زراعة القطن، فكذلك العنب أيضًا هو نتاج عرق جبين عمالنا وجهدهم، جهد مزارعينا» [٧]

٦ http://www.milliyet.com.tr/-kullanin-/siyaset/haberdetayarsiv/12.04.2006/153103/default.htm

٧ https://tr.sputniknews.com/turkiye/201902141037652910-zeybekci-

فهذه جميعها نتاج السياسات التي يتبعها أردوغان. ومع ذلك فليس هدفنا هو الوقوف على الوضع الشخصي لأردوغان، بل نقدنا له نوجهه نحو النظام الذي يقوم بتطبيقه. لأن أفعاله ليست إسلامية قطعًا. فطوال فترة حكمه التي تستمر منذ ١٦ عامًا لم يكن له أي فعل إسلامي أبدًا في موضوع واحد حتى، بل على العكس فقد اتبع السياسة التي حرمها الله تعالى، سواء على نطاق السياسة الداخلية أم الخارجية، ولا زال يواصل اتباعها حتى الآن. فبينما يحكم البلد على أساس العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة، يقول بعدم علمانية نفسه والأفراد من جهة، ومن جهة أخرى يقول بكل جرأة إن الدولة تكون علمانية، ويواصل سياساته على هذا النحو. غير أن أردوغان بينما كان رئيسًا للوزراء عام ٢٠٠٦م، وفي المنتدى الاقتصادي العالمي في الشرق الأوسط المنعقد في مصر في تلك الفترة، طرح أحد الصحفيين عليه السؤال: «**هل حزب العدالة والتنمية حزب ذو محور ديني؟**» فأجاب: «**نحن ننتسب إلى دولة علمانية ديمقراطية ذات قانون اجتماعي. فنحن نسيِّر جميع أعمالنا في هذا الإطار، أما إن كنت تسأل عن وضعي الشخصي، فأنا مسلم أحاول أن أكون متدينًا، ولكن ليس لدي صلاحية تقدير درجة ذلك**»[٨]. وبشكل مشابه ففي زيارة قام بها إلى مصر في عهد حكم الإخوان المسلمين قام بالدعوة للعلمانية، حتى إن الشعب المصري وقادة الإخوان المسلمين ذهلوا أمام ذلك. إن أردوغان يرى أنه من الخطأ الفادح وصف حزب العدالة والتنمية وحكومة حزب العدالة والتنمية بأنها متدينة وحزب إسلامي. كما أشار أردوغان إلى ذلك بشكل واضح وصريح في برنامج حزب العدالة والتنمية.[٩] علاوة على ذلك فإن الدستور والقوانين التي تم تغيير العديد من نصوص بنودها من قبل حزب العدالة والتنمية لا تحتوي حتى بندًا إسلاميًا واحدًا. إن هذا لوحده كافٍ لفهم أن السلطة هي غير إسلامية، ورؤية أنه لا علاقة لها بالإسلام، غير وصف رئيس الجمهورية أردوغان لشخصه أنه مسلم؛ حيث إن أردوغان في التصريح الذي قدمه إلى مجلة نيوزويك في ١٠ شباط ٢٠٠٨م، قال: «**إن تركيا قد تمكنت من النجاح في الأمر الذي قال الجميع إنها لن تتمكن من النجاح به، بفضل حفاظها على التوازن بين الإسلام والديمقراطية والعلمانية والحداثة. فحكومتنا تثبت قدرة مسلم متدين على الحفاظ على أفكاره العلمانية. كذلك يتم الإشارة دائمًا إلى حزب العدالة والتنمية في الغرب على أنه (حزب ذو جذور إسلامية)، غير أن ذلك خطأ، حيث إن حزب العدالة والتنمية ليس حزبًا منحصرًا بالمتدينين فقط، بل نحن حزب تركي**

٨ http://www.hurriyet.com.tr/sarabin-desteklenmesi-bir-ticarettir-diyanet-isleri-baskani-degilim/

٩ A.g.e

gundem/erdogan-din-eksenli-bir-parti-degiliz-4450933

معتدل، كما أننا نعارض تمامًا النزعة القومية العرقية، والقومية الوطنية والشوفينية الدينية، وتركيا بديمقراطيتها تعتبر مصدر إلهام لبقية العالم الإسلامي، لم تتغير الأحكام الدينية إلا أن مواقف الشعب التركي التي تتعلق بالدين قد تغيرت. التوسع الحضري للبلاد، وزيادة الثروة، ونوعية الحياة جلبت فهمًا مختلفًا. في الماضي لم يكن لدى الناس أي بديل. أما الآن فقد وفرنا حرية الاختيار»[10]

إن أردوغان يشعر بالحاجة إلى التأكيد على أنهم حزب غير إسلامي، في جميع زياراته، سواء إلى الدول القائمة في العالم الإسلامي أم الدول الغربية. وبعد لقاء أردوغان برئيس أميركا باراك أوباما في ٨ كانون الأول ٢٠٠٩م في البيت الأبيض، توجه إلى جامعة جون هوبكينز حيث ألقى خطابًا قال فيه: «**إن حزبنا ليس حزبًا إسلاميًا أبدًا، ليس هناك تيار عثماني جديد داخل الجمهورية التركية، هذه نسبة فقط، الذين يقومون بالنسبة مثل تغيير الوجهة، فهم يسعون للتغطية على السلطة الحالية. تغيير الوجهة المتعمد (الادعاء بتحول وجهة تركيا من الغرب إلى الشرق) والمذكور في الآونة الأخيرة يعتبر ادعاء ظالمًا. فكوننا هدمنا بعض العادات والتقاليد في السياسة الخارجية هو حقيقة. فأصبحت تركيا بسلام مع جميع جيرانها. فنتجول في العالم بقدم مثل البوصلة وأخرى ثابتة. إن تركيا صاحبة موقع كهذا. نفتح أبوابنا على مصراعيها**»[11] وهكذا أكد على كونهم حزبًا غير إسلامي.

كما أفاد أردوغان في صحيفة لو فيغارو الصادرة في فرنسا بتاريخ ٧ نيسان ٢٠١٠م بالأهمية الكبيرة التي تحملها زيارته إلى باريس حيث قال: «بعض الفرنسيين ينظرون إلى عضويتنا بأحكام مسبقة. علينا أن نسعى من أجل تغيير هذه النظرة». وعلى السؤال: «هل تعتبرون حزبكم حزبًا إسلاميًا معتدلًا؟» قال أردوغان: «**نحن لا نعرف أنفسنا كذلك. هناك أحزاب ديمقراطية نصرانية في أوروبا. أنا لا أقبل الإسلام السياسي. حزب العدالة والتنمية ليس حزبًا إسلاميًا. نحن نرى أنفسنا كديمقراطيين محافظين. فإذا رآنا حلفاؤنا الأوروبيون كذلك فسنتخلص من أحكامهم المسبقة بشأننا**».[12]

كذلك وبالطريقة نفسها، فقد تحدث رئيس الجمهورية أردوغان إلى قناة العربية السعودية، وعلى السؤال: «هل لديكم حلم أو غاية مثل إقامة الخلافة؟» أجاب كما يلي: «**العالم يخوض في تغيير وتحول. ومن ضمن هذا التغير والتحول قمنا حتى الآن ببيان النظام الذي نسعى نحن لتطبيقه، وما هو التحول الذي ينبغي إجراؤه حاليًا. ففي الوقت الراهن مثلًا تسير تركيا نحو استفتاء. هذا هو**

١٠ https://www.milligazete.com.tr/haber/763608/bizi-islami-parti-zannediyorlar

١١ A.g.e.

١٢ A.g.e.

استفتاء النظام الرئاسي. فلا يوجد في انتخاب النظام الرئاسي هذا أي مما يتضمنه السؤال الذي طرحته. يعني أن تركيا ليس لديها قلق للخلافة كهذا حاليًا، أو مسألة خلافة أو ما شابهها»[١٣]

أما الأهم من ذلك كله فهو تأكيده على «العلمانية» في الزيارات التي قام بها وعلى رأسها مصر، واقتراحه العلمانية على الشعوب والحكام هناك، ومدافعته عن ذلك وكأنه عمل صائب. وحين وجه له السؤال: «يمكنكم الجمع بشكل جيد بين مفاهيم الإسلام والعلمانية. فما هي توصياتكم للعالم العربي بهذا الشأن؟» أجاب قائلًا: «أنا ارى صعوبة في شرح لمَ تأخر العالم الإسلامي إلى هذا الحد في إنشاء هذه الرابطة. نحن عندما أسسنا حزبنا، أحضرنا تعريف العلمانية. عندما كان السيد مرسي في وظيفته عقدت أثناء زيارتي مؤتمرًا في مبنى الأوبرا في القاهرة. في هذا المؤتمر شرحت عن العلمانية في ذلك المساء، وشرحت علاقتها بالإسلام. إذًا، فما هو تعريفنا للعلمانية في حزبنا الذي أسسناه؟ لا يصبح الأشخاص علمانيين دفعة واحدة، ولكن الدولة تصبح كذلك. في العلمانية تكون الدولة على نفس المسافة من جميع المعتقدات. وتضمن أن تعيش كل فئة اعتقادها كما تريد. هل يوجد في ذلك ما يعارض الإسلام؟ لا، إلا أن البعض لا يزالون يسعون لسحب ذلك إلى أبعاد أخرى.»[١٤]

الافتراض بحمل أردوغان شخصية إسلامية خفية كما يعتقد البعض قد ذهب مع الريح بعد هذه الأقوال جميعها. على العكس فإن جدول أردوغان حافل بالأفكار والأحكام غير الإسلامية من مثل العلمانية والديمقراطية والحريات والقومية والوطنية. إلا أن أردوغان يعتبر سياسيًا خبيرًا وماهرًا للغاية في تقديم جميع أعماله بحلة إسلامية. ومن أبرز صفاته أنه يملك وجهة نظر براغماتية وميكافيلية قدر الإمكان، وقدرته على إجراء تحولات داهية في سبيل مصالحه. وخاصة أن مستشاريه خبراء في هندسة المجتمع، ويقومون بتحديد أقوال وأفعال أردوغان وحكومته وفقًا لاستطلاعات الرأي التي يجرونها. فالمقولة «**بإمكاني ارتداء ملابس قس إذا استدعى الأمر**»[١٥] التي استخدمها في الزمن الذي كان فيه رئيس بلدية إسطنبول الكبرى، يدل على أن نهجه السياسي المصلحي كان قد بدأ بالتشكل منذ ذلك الوقت. وبالطبع فينبغي أن لا ننسى الدعم الإعلامي المهيأ من أجل خدمته؛ حيث إن الإعلام يبقي دائمًا على الساحة بعض الأمور التي تخدم مصلحة أردوغان، وفي المقابل يخفي عن الجمهور

١٣ https://www.youtube.com/watch?v=5arGh4ZhHso

١٤ https://www.sabah.com.tr/gundem/2017/02/18/cumhurbaskani-erdogan-el-arabiyaya-konustu

١٥ https://odatv.com/iktidar-icin-papaz-elbisesi-de-giyerim-3107141200.html

الأمور التي من الممكن أن تخلق تصورًا سلبيًا. فإن الإعلام يلعب دورًا مهمًا جدًا؛ حيث إن الإعلام قد تسبب سابقًا في سقوط الحكومات في تركيا، كما تسبب في ترك دنيز بايكال زعيم حزب الشعب الجمهوري منصبه ببث فيديو سري. كذلك فقد تسببت فيديوهات مشابهة في استقالة مدراء رفيعي المستوى من مناصبهم في حزب الحركة القومية. كذلك فمعظم وسائل الإعلام المعارضة لأردوغان اضطرت للإغلاق أو البيع أو استبعاد العاملين المعارضين نتيجة للضغوط الموجهة لها. فحاليًا عدد وسائل الإعلام التي لديها الشجاعة للحديث ضد أردوغان في الإعلام التركي تعتبر قليلة جدًا لدرجة إمكانية عدها على الأصابع.

فبفضل الدعم الإعلامي الذي يقف خلفه، فإنه قادر على الحديث بحرية في أي وسط يريده وبأي موضوع يرغب. ومع ذلك فإنه لا يروق له كثيرًا استخدام الألفاظ الإسلامية في الأعمال السياسية، حتى إنه حين يرغب يسكت الشبان الذين يتلون الآيات القرآنية في اجتماعاته، ويطلب منهم قراءة القرآن في المقابر. فمثلًا عندما عقد مؤتمر محافظة غيراسون في شهر آذار عام ٢٠١٨م، وبينما كانت مجموعة من الشبان يقرؤون معًا آية من سورة آل عمران، قاطع قراءة الشبان وقال: «اتركوها لي، اقرؤوها إن شاء الله في المقابر، أما في الاجتماعات السياسية فاتركوها لنا. لنعلم جيدًا ماذا سنقرأ وأين نقرأ ذلك. اعتمدوا علينا. ستتركون هذه لنا، حسنا؟ ولنعلم جيدًا كيف وصلنا إلى هنا. فهل نحن في ضريح أو مسجد، علينا الفصل بينها، أم نحن في اجتماع سياسي؟ علينا فصل ذلك أيضًا؟»[١٦]

نعم، للأسف إن تصرفات أردوغان ليست من أجل الشعب المسلم كما يعتقد البعض، بل على العكس من أجل كسب رضا وسعادة أميركا التي مُنحت لها السلطة، وتثبيت نفوذها السياسي في تركيا. غير أنه لا أحد غير الله تعالى يستحق أن نسعى لكسب رضوانه. أما أردوغان فهو بعيد كل البعد عن ذلك، فأفعاله هي هذه حتى اليوم. إلا أنه وبدعم الشعب التركي المسلم الذي يدعمه، فقد سنحت له عدة فرص كبيرة لكسب رضا الله والمؤمنين. وخاصة في ١٥ تموز في محاولة الانقلاب، قد سنحت له فرصة عظيمة بدعم المسلمين الذين فدوا أرواحهم للإسلام وقدموا صدورهم كدروع على الرغم من الأسلحة والدبابات والطائرات. فبينما سنحت له فرصة كسر قيود الكفار المستعمرين والعمل من أجل عزة الإسلام والمسلمين بفضل دعم الشعب الذي فدا روحه دفاعًا عن الإسلام، وبينما سنحت له فرصة التتويج بالإعلان عن انقلاب إسلامي صباح ١٦ تموز، إلا أنه صرف وجهه، وسعى لإظهار نصر الإسلام على أنه نصر للديمقراطية، حيث إنه وصف الذين فدَوا أرواحهم للإسلام

١٦ http://www.sanalbasin.com/erdogan-toplu-ayet-okuyan-akpli-gencleri-uyardi-camide-miyiz-siyasi-toplantida-mi-24261549/

بأنهم شهداء الديمقراطية (!) وبذلك دنس أسماءهم.

إن ذلك كله يشير إلى أن أردوغان لا يعطي الأولوية في النظام السياسي للإسلام بل للديمقراطية. ومهما رفض إلا أن الإسلام الذي يستهدفه ليس إلا الإسلام المعتدل الذي يدعو له الغرب. فإن لم يكن هذا هو فهم «الإسلام المعتدل» الذي تسعى له دول الغرب، إذًا، فما هو؟ أليس هو فهم الإسلام على أنه عبارة عن عبادات فقط دون التدخل في الحياة والسياسة والمجتمع والدولة، فقط ليعيشه الأفراد في حياتهم الخاصة، دون أن يكون له أي انعكاس على الحياة؛ بحيث يكون على صلح مع القيم الغربية مثل الديمقراطية والعلمانية؟ نعم هذا هو فهم أردوغان للإسلام بذاته، وهو في الوقت نفسه المعنى الحرفي للإسلام المعتدل.

وكما أن تصرفاته التي تتعلق بالسياسة الداخلية هي على هذا النحو، فهو يتبع الطريق نفسه في سياسته الخارجية. فهو يسير ولا يحيد قيد شعرة إطلاقًا عن خط السياسة الخارجية الذي رسمته له وخططته وطلبته أميركا التي منحت له السلطة. إلا أننا أول ما رأينا من آثاره كان في ١ آذار ٢٠٠٣م، قبل احتلال أميركا للعراق، نرى ذلك في الإذن الذي طلبته من تركيا لاستخدام أراضيها وأجوائها في العمليات التي ستسيرها في شمال العراق، والترخيص غير المقبول الذي صدر نتيجة الجلسة السرية في ١ آذار ٢٠٠٣م في البرلمان بهذا الشأن. وبعد مرور ١٣ سنة أدلى أردوغان بتصريح جوابًا على سؤال صحفيين بهذا الشأن وقال: «أنا أساند ترخيص ١ آذار، والمعارضون لم يصرحوا بذلك، في ذلك الوقت رجاني بوش، ولكن للأسف بقينا لوحدنا بسبب خطأ أصدقائنا. لو أنه تم تطبيق ترخيص ١ آذار لجعل ذلك تركيا تجلس على الطاولة. من المهم جدًا رؤية الأفق»[١٧]

كما نرى، فمنذ السنوات الأولى للحكم، وأردوغان وحكومته حريصون على السير في السياسة الخارجية على الخط الذي رسمته أميركا، وأن الأفق المرسوم لتركيا ليس إلا أفق أميركا بكل وضوح. أما المثال الحي اليوم على ذلك فهو سقوط شهدائنا في سوريا والبلاد الإسلامية الأخرى؛ حيث إن أردوغان يقوم بإرسال الجنود الأتراك إلى العديد من الدول الأخرى خارج حدود بلادهم بموجب الطلبات الأميركية. فمثلًا أكثر من ٥٠,٠٠٠ جندي تركي تقريبًا يؤدون وظيفتهم في سوريا والعراق وقطر والصومال والبوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا ولبنان وأفغانستان وجمهورية شمال قبرص التركية. وجود هؤلاء الجنود في تلك البلدان ليس إلا من أجل حماية مصالح أميركا الكافرة المستعمرة، وليس لأي سبب آخر. فلو كان العكس هو الصحيح لما كان سهلًا ورخيصًا إراقة دماء المسلمين اليوم في سوريا أو غيرها من البلدان الإسلامية إلى هذا الحد. فبينما

١٧ https://www.stratejikortak.com/2017/03/14-yilinda-1-mart-tezkeresi.html

ينبغي إرسال هؤلاء الجنود إلى البلدان من أجل حماية أعراض المسلمين ومقدساتهم، فللأسف يتم إرسالهم لحماية مصالح الكافر المستعمر. غير أنه من المؤلم جدًا رؤية تركيا وبعض البلاد الإسلامية اليوم يعتبرون أردوغان معاديًا لأميركا؛ حيث يتم التلاعب بذلك بهذه الطريقة من قبل عدد من الدوائر ووسائل الإعلام. فلو أن الأمر جرى كما يعتقد بعض المسلمين، ولو كان أردوغان فعلًا معاديًا لأميركا وفي حالة حرب معها، لما كان إلى جانب حليفته القديمة أميركا، بل في مواجهتها في العراق وسوريا والعديد من المناطق الإسلامية الأخرى. ولما كان اتخذ موقفًا في صف الائتلاف الغربي بل في صف المسلمين. ولما بحث عن العزة والشرف بجانب «أصدقائه وحلفائه» أميركا والغرب، بل على العكس بجانب الله ورسوله والمسلمين ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

إلا أن أردوغان فعل العكس تمامًا. فقام بإطلاق حرب قذرة بالوكالة باسم أميركا في المنطقة. فأنقذ أميركا من غرقها في سوريا. فقدم ماء الحياة لها وللنظام السوري الظالم. فقد استخدم ولا زال كل إمكانياته لعرقلة الثورة السورية المباركة. ففي السنوات الأولى للثورة، وعندما أطلق شعب بانياس نداء استغاثة، لم يكن من أردوغان إلا أن سد أذنيه وتركهم دون أي مساعدة [١٨]. غير أن أردوغان وجيشه الذي يقوده لديه ما يكفي من القوة لإسقاط نظام الأسد وإنهاء المسألة السورية في ٢٤ ساعة؛ حيث إنه قبل ٢٠ سنة تقريبًا من الآن في أيلول ١٩٩٨م، قبل أن يتولى أردوغان منصبه، وقبل أن يصل الجيش التركي إلى هذه الدرجة من القوة، حينما كان قائد القوات البرية في ذلك الوقت هو الجنرال أتيلا آتش؛ حيث طلب إخراج عبد الله أوجلان من سوريا، وقام بتهديد نظام حافظ الأسد بقوله: «نفد صبرنا»، وعليه قام حافظ الأسد بطرد عبد الله أوجلان من سوريا.

كذلك فإن أردوغان قد وجه أقوى الضربات للثورة السورية، وكانت من بينها عملية درع الفرات. فبينما تم إنشاء درع الفرات في تركيا بحجة الوقوف ضد (الإرهاب) إلا أنه تم بسببه فتح خرق في خطوط المقاومين، فانقسم المعارضون والثوار السوريون وانفصلوا، وبسبب هذه العملية تم تسليم حلب لنظام الأسد. واليوم السياسة نفسها يتم اتباعها في إدلب أيضًا.

غير أن أردوغان الذي وصف قبل فترة قصيرة بشار الأسد بأنه ظالم وقاتل لشعبه وإرهابي، وكعادته فقد تراجع عن قوله، ولم يتردد بالإعلان عن إمكانية الالتقاء بالنظام الذي لطالما كان يعتبره عدوه حتى الأمس. وفي لقاء أجرته قناة الدولة الرسمية TRT التركية بتاريخ ٢٠١٩/٠٢/٠٣م، أفاد أردوغان عن اتباع وحدات الاستخبارات سياسة خارجية بمستوى منخفض مع سوريا؛ حيث قال: «حتى لو لم يكن هناك

١٨ https://www.timeturk.com/tr/2011/04/13/banyas-halkindan-basbakana-cagri.html

حوارات بين الزعماء، إلا أن هناك أعمالًا متبادلة يتم تسييرها بين وحدات الاستخبارات، وحيث إن المنظمات الاستخباراتية لا تحمل وجهة نظر الزعماء إن كانوا لن يجتمعوا فنحن كذلك. بإمكان الزعماء الخروج عن المحور في معظم الأحيان، فتقوم وحدات الاستخبارات بالاستفادة من ذلك»[١٩]

لذلك فإن جميع الخطوات السياسية والعسكرية التي يخطوها أردوغان بشأن سوريا، تكون نحو منفعة أميركا ومصالحها. طبعًا هذا الأمر ليس منحصراً في سوريا وحدها. فالالتفاف نفسه في السياسة الخارجية أظهره بشأن المسألة الفلسطينية عندما قال: «القدس هي الخط الأحمر بالنسبة لنا».

ففي حادثة سفينة مافي مرمرة التي انطلقت من تركيا لخرق الحصار الذي طبقه كيان يهود على غزة، وبعد قتل المسلمين على يد الجنود اليهود، فقد استعمل أردوغان بعد ذلك عبارات الإرهابي والسفاح ليصف كيان يهود. وحينها أعلن عن قطع جميع العلاقات التجارية والسياسية مع كيان يهود. ولكن كما هي عادته، فقد رجع عن هذه الأفعال والأقوال حيث بدأ بإظهار ردة فعل معاكسة على المنظمات التي نظمت رحلة سفينة مافي مرمرة؛ حيث إنه في ٢٠١٦م، بعد اللقاء الذي أجراه مع بوتين رئيس دولة روسيا في المجمع الرئاسي، أدلى أردوغان بتصريح أوضح فيه قيامه بخطوات مهمة في طريق تحسين العلاقات مع كيان يهود التي كانت قد تعكرت بعد الاعتداء على سفينة مافي مرمرة؛ حيث قال: «أنتم تجهزون وتنطلقون لإرسال مساعدات إنسانية كهذه من تركيا، فهل سألتم رئيس وزراء تلك الفترة؟ نحن أصلًا لطالما أوصلنا المساعدات اللازمة إلى غزة، وإلى فلسطين، نحن نقوم بهذه المساعدات في الأصل ولكن ليس لعرض قوتنا، بل قمنا بذلك ولا زلنا على الأصول الدبلوماسية كما هي الدبلوماسية الدولية، وسنقوم بذلك على الوجه نفسه في المستقبل، لن نقوم بذلك بقرع الطبول، قمنا بذلك بأدبنا وأخلاقنا، وهكذا سنواصل»[٢٠] بعد ذلك تم التعتيم على مسألة تعويض أهالي الضحايا وعادت العلاقات إلى مجاريها مجددًا.

الطريف الغريب في المسألة هو ارتفاع حجم التبادل التجاري بين تركيا وكيان يهود في الفترة التي كان يدَّعي فيها أن العلاقات بينهما سيئة؛ حيث إن أردوغان صرح بارتفاع حجم التبادل التجاري بنسبة ١٤٪ في السنة الواحدة بين تركيا والدولة التي وصفها بـ«دولة الاحتلال والإرهاب». [٢١]، إلى جانب ذلك ففي ٢٠٠٢م، العام الذي استولى حزب العدالة والتنمية فيه على السلطة، كان حجم التبادل

١٩ https://www.bbc.com/turkce/haberler-turkiye-47111848

٢٠ http://www.hurriyet.com.tr/gundem/erdogandan-mavi-marmara-cikisi-gunun-basbakanina-mi-sordunuz-40123952

٢١ https://t24.com.tr/haber/son-bir-yilda-turkiye-israil-arasindaki-ticaret-hacmi-yuzde-14-artti,513934

التجاري مع كيان يهود يبلغ ١,٤ مليار دولار، إلى أن وصل ذلك الرقم حاليًا إلى ٤,٩ مليار دولار. [٢٢]، خاصة أنه تمت المحافظة دائمًا على العلاقات العسكرية، وواصل طيارو كيان يهود تلقي تعليمهم في تركيا.

كما يمكننا رؤية مظاهر السياسة الخارجية الأخرى على عدم اهتمام أردوغان بدماء المسلمين المراقة، في علاقاته مع روسيا التي تريق دماء المسلمين في القفقاس وسوريا وآسيا الوسطى، والعلاقات مع الصين التي تريق دماء المسلمين في تركستان الشرقية. ولكن حتى لا أطيل الكتابة في مقالنا سأكتفي بهذه.

والحاصل أن الظاهر في السياسة التي يتبعها أردوغان وفي تصرفاته ليس الإسلام للأسف، ولكن مصالح الدول الغربية المستعمرة. غير أن الأمة الإسلامية بقدر عطشها لقائد مسلم غيور عليها فقد تحمست وتأملت منه الكثير. وفتحت قلوبها لأردوغان على أمل العودة إلى أيام العز القديمة. لكنه ضيَّع هذه الفرصة، ودفع هذا الشرف بظاهر كفه. فبدل أن يطبق أرقى دين أنزله الله لنا، وهو الإسلام، على واقع الحياة، مال نحو الإسلام المعتدل مشروع الغرب. ربما اكتسب اعتبارًا لدى الغرب، لكن فقد اعتباره لدى الأمة الإسلامية. فالقلوب التي كانت تفيض بحبه بدأت تمتلئ ببغضه؛ حيث كشف ما خلف الستار، وظهرت الهويات والوجوه الحقيقية. فقد خلف مَن قبله وفضل الوقوف في صف الخاسرين آخرتهم ودنياهم من أجل كسب رضا الكفار المستعمرين. واحسرتاه! بئس الاختيار وبئست الخسارة... ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ .

لكن ليعلم أبناء الأمة المخلصون أن الله هو مالك الدين والدعوة، ولن يضيع المؤمنين أبدًا؛ حيث إن الله سيرسل نصرته في الوقت الذي تشتد حاجة الأمة فيه إلى النصرة عندما تفقد الأمل. بالتأكيد هذا امتحان لنا. فجميع الذين وثقت بهم الأمة وساندتهم وتأملت فيهم الخير منذ هدم الخلافة حتى يومنا هذا، كشف الله وجوههم الحقيقية، عاجلًا أم آجلًا. في مصر، والعراق، وسوريا، وفلسطين، والخليج، وباكستان، وماليزيا، والسودان، واليمن، وإيران، وآسيا الوسطى... فلم يبقَ أي رئيس تثق به الأمة، وأردوغان أحدهم، فمع الوقت يفقد شعبيته أكثر فأكثر. فرائحة فساد الأنظمة التي يطبقها في السياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد والجيش والقضاء والتعليم قد أزكمت الأنوف؛ حيث إن الأمة الإسلامية أصبحت على يقين أن لا مبدأ غير الإسلام، ولا حكم غير الإسلام، ولا حل غير الإسلام. فحين تهب من أجل نصرة الإسلام ينصرها الله تعالى. وما ذلك على الله بعزيز.

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشورى: ٢٢٧] ■

٢٢ http://eborsahaber.com/92078/2018/gundem/turkiye-ile-israil-arasindaki-dis-ticaret-hacmi-49-milyar-oldu/

دور الإعلام في فرقة الأمة ومحاربة مشروعها التوحيدي

المهندس باهر صالح

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين

إنّ الأصل في الشعوب والأمم الحية أن تتكاتف عناصرها وتتداعى مكوناتها لما يصيبها ويلمُّ بها من مصائب أو نكبات، وأن يتزاحم أبناؤها في ممر العبور نحو العزة أو النصر أو التحرير. فإذا ما وقعت الأمة تحت احتلال أو مصيبة تداعى أبناؤها على اختلاف مهامهم وقدراتهم للعمل على الخلاص من ذلك الاحتلال، والتصدي لتلك المصيبة، فهي كالجسد الحي إذا ما اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وخلاف ذلك يعني أنّ هناك مشكلة في الوظائف الحية للجسد، أو موتًا لبعض الأعضاء أو للجسد كله.

وإذا ما كان الحديث عن الأمة الإسلامية، فهي أولى وأدعى لما لديها من مبدأ وثقافة زاخرة بمعاني العزة والوحدة والحياة الجماعية والمجتمعية المتميزة؛ بحيث لا يرى الفرد عزًا له بدون عزة الجماعة، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ما يصيب المجتمع يصيبه بحكم جزئيته الفكرية والشعورية في المجتمع.

ولعل وثيقة المدينة هي أبلغ صورة لهذا الكلام، فقد جاء فيها: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ... وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ**

بَيْنَهُمْ، وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ... وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...».

والأمة الإسلامية قد انتكبت منذ أن هُدمت دولتها في ٢٨ من رجب لعام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٣م، فغاب شرع الله عن التطبيق، وحل مكانه استعمار وأنظمة وضعية، وقطعت أوصالها ووضع لذلك دساتير وحدود وسدود، وتسلط عليها العدو بالاستعمار العسكري والاقتصادي والفكري والسياسي، وسخر لذلك أدوات ومنابر وهيئات وحكومات، ومع تصاعد دور الإعلام في نهايات القرن العشرين، أولى الاستعمار الإعلام اهتمامًا كبيرًا، تمويلًا وتدريبًا وتسخيرًا؛ حتى تحول من الوصف بالسلطة الرابعة على سبيل المجاز إلى الحقيقة، وبات يزاحم السلطات الثلاث في التأثير والقدرة على فرض السياسات والخطط والبرامج على الشعوب والجماهير.

وبدل أن ينحاز الإعلاميون إلى قضايا أمتهم بوصفهم جزءًا منها، همهم واحد، ومصابهم واحد، رضوا أن يصبحوا أداة بيد الحكام والاستعمار لتثبيت أركانه وإطالة عمره في بلاد المسلمين. فباتت الحروب الإعلامية جزءًا لا يتجزأ من الحروب السياسية والعسكرية على بلاد المسلمين، وصار يُنفق على الإعلام أكثر مما يُنفق على غيره من أدوات فرض السيطرة والاستعمار على بلاد المسلمين.

فكما أصبح الدعاة إلى التغيير الجذري محل اتهام وملاحقة وتضييق من الحكومات وأجهزتها الأمنية في بلاد المسلمين، أصبحوا في مرمى الإعلام تشويهًا ومحاربةً لأفكارهم، وإقصاءً لشخوصهم، واستبعادًا لهم من دائرة الضوء ونوافذ الوصول إلى الجماهير.

فحيثما ترى مصلحة الغرب في بث أفكار معينة تحول دون التحرر والنهضة، تجد وسائل الإعلام تنبري ببرامجها ووجوهها التي صنعتها للمشاهد في الترويج لتلك الأفكار ولدعاتها، وفي التعمية والتغطية على من يرفضها أو يحاربها، حتى وصل الحال بأن فرضوا طوقًا إعلاميًا وجدارًا فولاذيًا حول الدعاة للتغيير الحقيقي؛ للحيلولة دون أن تصل أصواتهم إلى الجماهير، وأفكارهم إلى الشعوب.

ومن الأفكار المحورية التي عمل الاستعمار وأدواته على الترويج لها ونشرها في العالم الإسلامي تلك التي ترسخ حالة الفرقة والتشرذم التي أدرك الغرب أنها من أهم ركائز دوام الاستعمار وإضعاف الأمة، وعمل على محاربة الأفكار التوحيدية والمفاهيم التي من شأنها أن تزيل أسباب الخلاف والفرقة، وجهد في محاربة الدعاة للوحدة والعاملين للتغيير.

فعلى سبيل المثال، عظّم الإعلام من أهمية الأفكار القومية والوطنية للدول، وجعل من الحدود الوطنية للدول ثوابت لا تحتمل النقاش، وأثار النكير على كل ما يهددها أو يزعزع من مكانتها، فتلك قطر والسعودية والأردن ومصر والإمارات وتركيا وإندونيسيا...، وذلك فخامة الرئيس وجلالة الملك ومعالي الوزير ودولة رئيس الوزراء...، حتى صُوّرت فكرة الوحدة بين أي قطرين أمرًا يستحيل حصوله طبيعيًا، لأنه إما أن يكون تعديًا على سيادة دولة أو احتلال دولة لأخرى، وتعامَوا بل طمسوا كل الأفكار والمفاهيم التي جعلت المسلمين أمة واحدة، وحاربت كل أشكال التفريق أو الخلاف، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ**» أخرجه مسلم في صحيحه، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

وعمل الإعلام على نشر وتعزيز الأفكار التي زرعها الاستعمار لتفتيت الأمة وشرذمتها، كفكرة الطائفية وتقسيم العالم الإسلامي إلى «سنة وشيعة»، وصنع من أجل ذلك مفكرين وإعلاميين وقادة ودعاة أشكلوا على المسلمين دينهم، وصوروا للمسلمين بأنّ الخطر الشيعي على السني أو السني على الشيعي أخطر من الاستعمار نفسه! حتى وصل الحال بأن وصف حكام الخليج الخطر الإيراني على المنطقة أعظم من خطر كيان يهود، وتساوق معهم مريضو النفوس، وسايرهم في ذلك ضعاف الفهم الفقهي والفكري والسياسي، حتى صنعوا للمسلمين عدوًا وهميًا من بينهم، وأشغلوا المسلمين بعضهم ببعض، وأوجدوا للمتحمسين للدين متنفسًا للغضب ومحلًا لتفريغ الطاقات والحماسات، مع أنّ المشاهد المحسوس أن الحكام المحسوبين على «السنة» هم كالحكام المحسوبين على «الشيعة» في عدائهم للإسلام ومكرهم بأهله، وتقاطرهم مع الاستعمار في حرب الأمة وسعيها للتحرر.

وبذلك شتت الغرب من خلال فكرته هذه والتي ساهم الإعلام بشكل جلي في نشرها، شتت جهود أبناء الأمة وأرهق المندفعين للتغيير في حرب تعيق التغيير وتعرقل الجهود الرامية للوحدة والنهضة من جديد.

أما على صعيد مشروع الأمة التوحيدي، ألا وهو مشروع الخلافة الراشدة، فقد حظي بنصيب الأسد من تآمر الإعلام عليه وعلى العاملين له، فعلى الرغم من إدراك الأمة بشكل شبه يقيني أن توحدها وخلاصها مما هي فيه من ويلات ونكبات لن يكون إلا بالإسلام الصافي، وتنامي الإدراك بالحاجة الماسة لخلافة راشدة تجمع شعث الأمة وتلملم جراحها، وعلى الرغم من تكاثر الداعين لهذا المشروع وتصاعد

نشاطاتهم وفي مقدمتهم حزب التحرير، على الرغم من ذلك كله، إلا أنّ الإعلام مصرّ على مواصلة التعمية على هذا المشروع بل ومحاربته بأخبث الوسائل والأفكار.

فمن جانب عَمِل الإعلام على تشويه فكرة الوحدة على أساس الإسلام في ظل الخلافة الراشدة، وأبرز مشاهد التشنيع على ذلك متخذًا من ممارسات فردية أو حزبية أو فصائلية شماعةً ومبررًا لمهاجمة الفكرة والنيل منها، وحمّل المشروع تجاوزات ومخالفات البعض في تجاهل تام للموضوعية أو الشفافية أو الدقة التي من المفترض أن تكون بديهيات العمل الإعلامي.

وعمل الإعلام على تضخيم المخاطر والعواقب التي قد تترتب على التمسك بالإسلام المبدئي لتخويف الجماهير والشعوب من نتيجة السعي للتمايز عن الغرب وحضارته، وعدم القبول بالتعايش مع أفكار الكفر والاستعمار، متخذًا مما حلَّ بالمخلصين والجموع التي نادت بالتمسك بالإسلام في الشام وأفغانستان والعراق ومصر من نهايات مأساوية وعواقب وخيمة دليلًا حسيًا على ذلك، ليوجد قناعة لدى الشعوب بأن مسايرة الغرب وأفكار الحداثة الغربية هي الطريق الأسلم والأوفر حظًا في هذا العصر، وتلك هي الميكافيلية أو البراغماتية التي أراد الإعلام الترويج لها والبرهنة على صوابها بشكل عملي دون الحاجة للجدل الفلسفي الذي لا تقوى عليه تلك الأفكار المتهافتة.

ومن خلال إبراز شتى أنواع الاختلاف بين الشعوب في العالم الإسلامي، سواء على أساس جهوي، أم قومي، أم طائفي، أم مناطقي، أم فصائلي... عمل الإعلام على تصوير الوحدة في العالم الإسلامي أشبه بالحلم المستحيل، إذ صور تلك الفواصل المصطنعة على أنها سواتر وحواجز وجودية يتطلب تخطيها أو تجاوزها إراقة للدماء، وخوض معارك ضارية ستخسر فيها كل الأطراف؛ ليجعل من التعاون أو التعايش مع كل تلك الفواصل هو أسمى الغايات الممكنة وأقل الحلول تكلفة.

أما تلك الأفكار وأولئك العاملون والداعون للوحدة والمشروع التوحيدي، فقد تجاهلهم الإعلام إلى درجة لم تُبقِ شكًّا عند المراقبين بتآمر الإعلام على ذلك المشروع والعاملين له، فنشاطات ميدانية وفعاليات ضخمة ينظمها حملة الدعوة ومن ساندهم في فكرتهم عبر العالم الإسلامي بأكمله ووسط الجاليات المسلمة في الغرب، وبشكل متواصل دونما انقطاع، لا تحظى بأدنى اهتمام أو تسليط للضوء عليها، حتى بمجرد تغطية لحدث أو فعالية، مع أنّ الأصل أن تحظى هكذا نشاطات وفعاليات باهتمام واضح من الإعلام

لكونها تحتل حيزًا كبيرًا من اهتمامات الشارع وتوجهات الشعوب، والأصل أن تثار حولها النقاشات والحوارات والبرامج التي تساهم في خلق حالة وعي جماهيري عام على جدواها وصحتها.

لكن بدلًا من ذلك، يتجاهل الإعلام بشكل متعمد كل تلك النشاطات والفعاليات والحراك المجتمعي، وكأنّ شيئًا لم يكن، إلى درجة توهم البسطاء بانعدام تلك الأفكار أو الداعين لها رغم ملامستهم وإحساسهم الفعلي المباشر بحملة الدعوة ونشاطهم وحراكهم، في حين يتهافت الإعلام على تغطية كل تافه أو ساقط، حتى لو لزم أن يملأ فراغ الشاشة بتقارير تتحدث عن نبتة أو حشرة في بلاد الواق واق، فالمهم عنده أن لا تقفز أفكار المشروع الإسلامي التوحيدي إلى الشاشة، وأن لا يشعر المشاهد أو القارئ بفراغ يدفعه للبحث أو التدبر بحال الأمة ضمن رؤية شاملة تستدعي الحل الجذري المتمثل بخلافة راشدة على منهاج النبوة.

وملخص القول، إنّ الإعلام بات أداة فعالة بيد الاستعمار كما الحكام في بلاد المسلمين، وهو يعمل على محاربة أية أفكار قد تؤدي إلى وحدة الأمة واستعادة عزتها، سواء بالتعمية، أم بالتضليل، أم بالتحريف، وبأساليب خبيثة يتسع مداها لتشمل البسيط والمعقد، المرحلي التدريجي والشمولي، المباشر وغير المباشر، والمهم عنده أن تبقى أطروحات الاستعمار وحلوله ومشاريعه هي محل البحث والتفكر والنظر، وأن تغيب عن الشاشة أفكار الإسلام المبدئية التي من شأنها أن تهز الاستعمار أو تطيح بعروشه في بلاد المسلمين، وهم في كل ذلك إنما يركنون إلى ما أوتوا من قوة ومال ومكنة، ولكن يبقى الله هو حَسْبَ المؤمنين المخلصين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾، ويبقى وعد الله بنصر أوليائه أوثق وأصدق وعدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾، وسيبقى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ حاضرًا في أذهان العاملين المخلصين للتغيير، وستبقى، بعون الله، عزيمة حملة الدعوة صلبة لا تزعزعها الجبال، فهم إنما يستمدون العون ويعتصمون بالله وحده القاهر فوق عباده. والله معهم ولن يترهم أعمالهم. ■

صناعة الإحباط السياسي... أبعاده، وطرق مواجهته

طارق أبو علي

الناظر في أحوال الأمة الإسلامية اليوم يجد حالة من القنوط واليأس تتفاقم وتتزايد وتنتشر، وهذه الحالة لم تكن وليدة سياسة عشوائية تخبطية؛ بل كانت سياسة ممنهجة وذات أبعاد واضحة، وإذا أردنا أن نقف على أبعاد هذه السياسة وطرق مواجهتها لا بد من الوقوف على حقيقتها.

حقيقة سياسة الإحباط:

كلمة الإحباط مأخوذة في اللغة من «ح.ب.ط» ولها في اللغة معانٍ متعددة، ومن معانيها المأخوذة منها: (الحبوط)، والحبوط هو: الجمل أو الناقة التي تأكل نبتة سامة فينتج عن أكلها أن ينتفخ بطنها، فيظن الرائي للجمل أو الناقة أن الانتفاخ لحمًا نما في الجمل، والجمل السمين قيمته أعلى من قيمة الجمل النحيف، فيظن صاحب الجمل أن هذا الجمل سيجلب له عائدًا أكبر؛ فإذ بهذا الانتفاخ هواء سام نتج من النبتة السامة التي أكلها، فما هي إلا أيام ويموت الجمل الذي كانوا يعقدون عليه آمالًا كبيرة في أنه سيجلب لهم نفعًا كبيرًا، فينتج عن هذه الحالة إحباط عند صاحب الجمل، فسمي الجمل الذي هذه حالته بـ«الحبوط».

ومنه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ فالكافرون بقوتهم ومالهم وسلطانهم في الدنيا يظنون أنهم على الحق؛ وهذه الانتفاخة في الظلم ما هي إلا سراب، فسرعان ما يزول ظلمهم وملكهم، فعبر الله عن هذه الحالة بلفظ (حبطت).

إذًا، عندما نتكلم عن صناعة الإحباط السياسي عند المسلمين، فإننا نتكلم عن حالة من التسمين والوهم والنفخ الشكلي الذي يقصد من خلاله قتل الحالة السياسية النافعة للدولة والمجتمع؛ حتى تصل إلى حالة من اليأس والقنوط من أي تغيير سياسي حقيقي عند الأمة.

أبعاد الإحباط السياسي:

كل أمة تمر بفترات من القوة أو الضعف، فلا توجد أمة على وجه الأرض تسير في منحنى ثابت؛ بل كل الأمم تسير في منحنيات متعرجة صعودًا ونزولًا، وتفقد الأمم حالة الصعود في المنحنى إذا وصلت إلى حالة من القناعة باستحالة الصعود، فحينها لا تجد في منحنيات هذه الأمة إلا حالة النزول حتى تصل إلى قعر المنحنى، وهي حالة الموت.

وأمة الإسلام في تاريخها الطويل مرت

بفترات من القوة أهَّلتها لتتربع على عرش الأمم، وهذه الحالة كانت ناتجة عن ثقة هذه الأمة بمبدئها ونفسها، فقد رأيت النبي ﷺ يراسل الملوك والأباطرة، ولم تكن دولة الإسلام وقتها إلا دولة وليدة، فقد كانت رسائله ليست رسائل ود وحب واستجداء؛ بل رسائل إخضاع وصناعة أتباع، وفي مفهوم الدول المعاصرة أن الدول حديثة النشوء تسعى لطلب الود من الدول الأخرى المحيطة بها لنيل شيء من الشرعية، أما دولة النبي ﷺ فقد ضربت هذا العرف الدولي الشائع، وفرضت واقعًا جديدًا، ولم يكن هذا حكرًا على النبي ﷺ؛ بل وجدت صحابة رسول الله ﷺ مع أنهم لا يملكون شيئًا ذا بال مقارنة مع غيرهم من المال والعتاد والقوة، رأيتهم يدخلون على ملوك الفرس والروم كأنهم هم الملوك، كربعي بن عامر، وكل هذا للثقة بهذا المبدأ.

وقد مرت الأمة الإسلامية بفترات ضعف؛ لكن هذا الضعف لم تُكتب له الديمومة، فما هي إلا فترات قد تطول وقد تقصر حتى ترجع الأمة كما كانت، وربما أقوى.

وهذه الحالة من التعرجات في منحنى القوة والضعف في حياة الأمة قد وعى عليها الاستعمار الحديث، فمصالحهم لا تتناسب مع دوام استفاقة الأمة ورجوعها، فحدد أعداؤنا ومن سار على منهجهم مسار الصراع، فكان مكمنه، في أمرين:

الأول: نزع الثقة بالإسلام.

فالإسلام هو الذي صنع للعرب حضارة وثقافة، فالعرب قبل الإسلام كانوا بلا هوية ولا قيمة ولا مكانة، فكانت ملوك العرب من المناذرة والغساسنة خدمًا للفرس والروم وعملاء لهم، فلما جاء الإسلام نهض بهم، وجعل الملوك تدين للمسلمين وتطلب ودّهم، وأصبحت دولة الإسلام صانعة السياسة الدولية، فإذا نزعت الثقة بالإسلام فقد غابت عنهم قيمتهم ومكانتهم.

الثاني: نزع ثقة الأمة بنفسها ومقدراتها.

المسلمون يملكون مقدرات جعلت كلاب الغرب يسيل لعابهم عليها، فأصبح هدفهم أن تسلم هذه المقدرات لهم دون مقابل، تحت حجة حماية الدول التي صنعها من أخطار موهومة صنعها الاستعمار: كالخطر الإيراني، أو كبَّر حجمها: كالجماعات (الإرهابية) حسب زعمهم، فأصبح الشعار الكبير: «المال مقابل الحماية»، وكل فترة يتم إيجاد صراعات موهومة وأزمات مصطنعة حتى يبقى مسار المال مستمر التدفق إلى الغرب، ولعل سياسة ترامب الأخيرة أظهرت هذه الحقيقة بجلاء مع أنها قديمة بقدم الاستعمار العسكري ووجود دول الضرار منذ إسقاط الدولة الإسلامية.

كيفية استمرار الاستعمار وأدواته في تعزيز الإحباط السياسي:

تعي دول الغرب، وعلى رأسها أميركا، حقيقة القوة الكامنة في الأمة الإسلامية، ويعرفون أن مصالحهم مرهونة ببقاء حالة الإحباط عند الأمة الإسلامية. وثورات الربيع العربي تعتبر حالة خطيرة عند دول الغرب، فمصالحهم مربوطة في وأد كل تفكير للخروج من ربقة الاستعمار وأدواته من حكام دول

الضرار، فكانت الحاجة ماسة لاتباع أساليب مكر ودهاء أشد مكرًا ودهاءً من السابق؛ لترويض المسلمين والحفاظ على مصالحهم، وأقف على بعض هذه الأساليب:

أولًا: الإعلام ودوره في رفع سقف الآمال والأحلام الموهومة.

فرض الحراك الفكري والسياسي للأمة في الآونة الأخيرة واقعًا جديدًا على الإعلام ألزمه بأن يخرج عن الثوب التقليدي للإعلام الحكومي والرسمي، وهذا الإعلام الجديد بدأ يستخدم أساليب أكثر دهاءً ومكرًا؛ لأن الوعي تنامى، وكلما تنامى الوعي احتاج الإعلام إلى أساليب أشد خبثًا ودهاءً، وقد وجدنا مجموعة من الأساليب الخبيثة الماكرة، التي تنفس المشاعر، وتحرف البوصلة عن التغيير الحقيقي، ومن هذه الأساليب:

١- توسعة المساحة النقدية للأعمال الحكومية الرسمية.

٢- البرامج الساخرة التي توسعت، والتي نجحت إلى حد كبير في تنفيس الكبت السياسي.

٣- تسليط الضوء على بدائل للأنظمة، وهي في حقيقتها تغيير وجوه لا تغيير منظومة.

٤- تسليط الضوء على أن المراد للشعوب العربية هو حالة إصلاحية للمعيشة والاقتصاد، دون البحث عن التغيير الحقيقي الشامل.

٥- تسليط النقد على الممارسات الرسمية، وليس على النظام المطبق؛ حتى تصبح القضية إصلاح ممارسات دون تغيير نظام.

٦- رفع سقف الآمال على التغييرات الشكلية بعد الثورات، حتى يكتشف الناس أنها لم تغير من واقعهم شيئًا؛ فيزداد الإحباط من التغيير.

فأخطر ما في الإعلام هو الإيهام بنجاح بعض التغييرات، وقرب تحقق المعجزات السياسية، فعندما تصل الشعوب إلى حالة من النشوة بالإنجازات، تجد نفسها لم تحقق شيئًا، بل ربما ازداد الواقع سوءًا، وهذا يزيد من حالة الإحباط السياسي.

ثانيًا: محاولة إفشال كل بديل حضاري.

يعتبر الغرب الإسلام هو أخطر حالة على مصالحه كبديل حضاري حقيقي، وحتى يُفقِد الثقة بالإسلام كبديل حضاري حقيقي، سمح من خلال الأنظمة بوجود مساحة لدخول الإسلاميين إلى الحكم؛ لكن بمشروع لا علاقة له بالإسلام؛ بل من غير مشروع أصلًا، وإنما تغيير وجوه فقط، فظن الناس أن الإسلام وصل إلى الحكم، والإسلام تركه الداخلون للحكم عند بوابة الحكم الخارجية، ودخلوا من غيره، ورغم هذا حرص الكفار وعملاؤهم على إفشالهم، وحرصوا على أن ينسب هذا الفشل للإسلام؛ حتى يزداد الإحباط من احتمالية وصول الإسلام إلى الحكم.

ثالثًا: استباق الأحداث من أجل فرض حالة من الإحباط.

يحرص أعداؤنا على أن تبقى زمام الأمور بيدهم، فهم في سياستهم لا يستبقون الأحداث

فقط؛ بل يصنعون الأحداث، ويغيرون في السياسة كما يريدون؛ لكن في الآونة الأخيرة اختلفت المعادلة، فنزلوا في سياستهم من صناعة الأحداث إلى استباقها، فحجم الحراك في الأمة كبير، وحتى لا تخرج الأمور من أيديهم تعاملوا مع إدارة الأزمة دون حل جذري لها، أي إنهم يهدفون إلى إطالة أعمار الأنظمة العميلة لهم، من خلال تغيير الوجوه تارة، ومن خلال القمع والبطش تارة، ومن خلال زيادة مساحة من الحرية الموهومة تارة أخرى، وغيرها من الأساليب التي تهدف إلى إحباط أي تغيير حضاري حقيقي، أو تأخيره على الأقل.

رابعًا: إيجاد قناعة بأن الموجود أفضل من المتوقع.

مع وجود حالة التخبط السياسي عند من جاؤوا بعد الثورات، وعدم وجود حلول حقيقية، وربما ازدادت الأوضاع سوءًا بصناعة أزمات، حرصت قوى الكفر على إطالة عمر هذه الأزمات، مثل الاقتتال في اليمن، وحالة التيه في ليبيا، وحالة التخبط في تونس، وحالة القمع في مصر، وحالة القتل والدمار في سوريا، هذه الحالات صنعها الاستعمار وأدواته لتجعل الكثيرين يقولون: يا ليتنا بقينا كما كنا.

حرص الحكام في الدول التي لم تحدث فيها الثورات في كل مناسبة على التهديد بأنكم إن خرجتم في ثورات فسيحصل لكم مثل ما حصل في سوريا أو اليمن أو ليبيا، فارضَوا بالموجود أفضل لكم مما تتمنونه وتتوقعونه.

خامسًا: إيصال قناعة أن أي مشروع سياسي لا بد أن يخرج من بوابة الظالمين.

لبقاء زمام الأمور بيد الكفار وأذنابهم، حرصوا على أن لا يخرج أي تغيير إلا من بوابتهم، ومن يريد أن يغير من غير هذه البوابة ينكل به، وتشن عليه حربٌ شعواء، سواء إعلامية أم حقيقية، ويُتهم بالفساد والإفساد و(الإرهاب)، فوجدت قناعة عند الشعوب والجماعات أن السلامة في التغيير من بوابة الظالمين، ومعلوم أن من دخل تلك البوابة سيخلع دينه ومبدأه قبل أن يدخل البوابة... ووُجد إسلاميون واقعيون يبررون ذلك، تحت حجة: المصلحة العامة، والضرورات، وغيرها، التي تهدف إلى تبرير الخروج عن أحكام الإسلام، والدخول من بوابات الظالمين.

طرق مواجهة صناعة الإحباط السياسي:

الإحباط هو عبارة عن شعور بالعجز، تتولد عنه العزلة التي تدفع لعدم العمل لتغيير الواقع الذي يعيش فيه الإنسان، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه. والذي يدفع المسلم للوقوع في وحل الإحباط والعجز فصل صلة العمل بالله عز وجل، وعدم إدراك معية الله عز وجل في الغاية والعمل، ولمواجهة هذه الحالة من الإحباط نذكر بعض الطرق التي نواجه من خلالها هذا الشعور:

أولًا: الوعي السياسي.

هناك فرق بين العمل السياسي والوعي السياسي، فقد وجدنا جماعات إسلامية تقوم بأعمال سياسية؛ لكن دون وعي الواقع السياسي، ودون إدراك المعادلة الدولية، ودون الوقوف على كيفية تلاعب الدول الكبرى بالعالم، فهذا أوقع كثيرًا من الحركات السياسية

الإسلامية في شباك الألاعيب الدولية، فأصبحوا لتخبطهم السياسي جزءًا من المعادلة الدولية، وقد وجدنا كثيرًا من أصحاب الحركات الإسلامية يقولون: إننا لم نكن ندرك حقيقة الواقع السياسي وأبعاده؛ فاصطدمنا بهذا الواقع، كما رأينا في مصر وتونس وفلسطين وغيرها.

والحقيقة أن الذي أوقعهم في هذا الشَرَك والإحباط السياسي هو عدم الوعي السياسي، فلو كانوا يعلمون المعادلة الدولية، والأبعاد السياسية لجنبوا أنفسهم الولوج في أعمال سياسية أحبطتهم وأحبطت ملايين من أبناء الأمة الإسلامية، ولما أصبحوا أضحوكة وألعوبة بيد العلمانيين والظالمين؛ بل وجدنا من تحوَّل إلى ظالم مع الظالمين.

ثانيًا: وضوح المشروع السياسي.

العمومية في عرض الإسلام، وعدم وضوح البديل الحضاري لهذه الأنظمة الكافرة، هو الذي يوقع الإسلاميين في التخبطات السياسية التي أوقعت المسلمين في فقد الثقة بالإسلاميين بأنهم لا يستطيعون أن يديروا الواقع السياسي.

وما وجدناه عند كثير من العاملين في الواقع السياسي هو ليس فقط عدم وضوح المشروع السياسي؛ بل عدم وجود مشروع سياسي أصلًا، وهذا جعل من وصول الإسلاميين إلى الحكم لا يتعدى أن يكون نسخة مشوهة عن الأنظمة السابقة.

ثالثًا: وضوح الطريق لإيجاد المشروع السياسي.

الغاية مهمة، ووجود المشروع السياسي مهم؛ لكن كيف نصل إلى إيجاد هذا المشروع السياسي هو في غاية الأهمية؛ لأن التخبط في الطريق الموصل إلى الغاية يولد حالة من اليأس والقنوط؛ بل جعل كثيرًا من الإسلاميين يدخلون من بوابة الظالمين، وجعلهم يدخلون ضمن المعادلة الدولية الفاسدة، وأصبحوا في كثير من البلدان أبواقًا للظالمين. فالإسلام فكرة ومنه الطريقة، فوضوح الفكرة والطريقة هو من أهم العوامل التي تجعل للمسلم معيارًا يحكم فيه على من حاد عن الجادة.

رابعًا: بث روح الأمل عند الأمة.

الخطاب النفسي لا يقل أهمية عن الخطاب الفكري، فكلاهما صنوان. فالأمة الإسلامية بشَّرها الله تعالى بالنصر والتمكين والاستخلاف؛ وما هذه الابتلاءات التي نراها إلا من أجل أن يميز الله الخبيث من الطيب. والفتن والابتلاءات عامل تنقية وتصفية للمسلمين، فقد قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ والله تعالى يتكرم على عباده بالنصر والتمكين في أحلك الظروف، فالله تعالى نجّى موسى عليه السلام من فرعون في قمة تكبره؛ بل أغرق الله فرعون وجنوده، ونجّى محمدًا ﷺ عندما طلبوه حيًا أو ميتًا بمائة ناقة؛ بل أقام له الدولة التي ملأت الأرض عدلًا وقسطًا، والنماذج في ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾■

ابن زايد اقترح تنظيم "اغتيالات" سرية ضد زعماء طالبان

كشف موقع (ميدل إيست آي) التابع لقطر أن ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد عرض تنظيم برنامج اغتيالات سري يستهدف كبار القيادات في طالبان، وذلك أثناء لقائه بوزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في الثاني عشر من كانون الثاني/ يناير من هذا العام، وذكر الموقع نقلًا عن مصدر توفرت لديه معلومات مفصلة عن اللقاء، أن ابن زايد أخبر بومبيو بأن واشنطن تخاطر بالسماح لأفغانستان بأن تسقط مرة أخرى في أيدي "الملتحين الأشرار والمتخلفين" وحذره من أن سحب القوات الأميركية من أفغانستان يهدد بإعادة عقارب الساعة إلى عام ٢٠٠١م، إلى ما قبل الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للإطاحة بحكومة الطالبان في كابول. وتأمل الولايات المتحدة في حال نجاح الصفقة أن تسمح لها قبل نهاية عام ٢٠١٩م بالبدء في سحب ما يقرب من أربعة عشر ألف جندي مازالوا في البلاد. بدلًا من ذلك، اقترح محمد بن زايد تنظيم وتمويل عملية على نمط عمليات "بلاكووتر" لشن حملة اغتيالات ضد قيادات الصف الأول للطالبان؛ وذلك لمنعهم من تحقيق مطالبهم السياسية الأساسية، حسب ما قال المصدر.

وذكر الموقع أن الإمارات العربية المتحدة قد أيدت من قبل جهود الولايات المتحدة للتوسط في إبرام صفقة سلام مع الطالبان، واستضافت أول جولة من المفاوضات المباشرة وجهًا لوجه بين الجانبين في العشرين من ديسمبر/ كانون الثاني من العام الماضي في أبو ظبي. إلا أن المعلومات تشير إلى أن ابن زايد شعر بالإحباط والسخط بسبب نقل جولات المحادثات التالية إلى الدوحة، عاصمة قطر، تحت إلحاح الطالبان أنفسهم.

الوعي: أصبحت الإمارات وحكامها وكرًا للمؤامرات ضد الإسلام والمسلمين وعلى المكشوف. وصارت نصائح حكامها الإجرامية في ذلك متقدمة على إجرام مسؤولي الغرب. وهذا الخبر كشفه موقع (ميدل إيست آي) التابع لقطر، ليس من باب كشف الخيانة؛ ولكن من باب التنافس على الخيانة. ونسأل الله أن يجعل اليوم الذي يشفي فيه صدورنا منهم قريبًا.

تدخل بريطاني في اليمن

كشفت صحيفة الغارديان البريطانية، أن وزير الدولة البريطاني لشؤون آسيا وعد بالتحقيق في الأنباء التي تشير إلى قيام القوات البريطانية بتدريب مقاتلين أطفال

ضمن قوات التحالف الذي تقوده السعودية في حرب اليمن، خاصة وأن هناك تقارير تشير إلى أن ٤٠٪ من جنود قوات التحالف السعودي في اليمن هم من الأطفال، وهو ما يعد انتهاكًا للقانون الدولي. كما وعد الوزير البريطاني، بحسب الغارديان، بإجراء تحقيق حول مزاعم إصابة عدد من الجنود البريطانيين من قوة "ساس" في اشتباك مع قوة حوثية في اليمن. وقالت "الغارديان" إن التقارير أشارت إلى أن القوات الخاصة لم تشارك فقط في العمليات الإنسانية، وإنما هناك فرق للتوجيه داخل اليمن، تضم أطباء ومترجمين ومراقبين جويين، مشيرة إلى أن عدد الجنود البريطانيين الذين أصيبوا كانوا خمسة وليس اثنين فقط.

. وأشارت الصحيفة إلى أن الوزير البريطاني عاقد العزم على إجراء التحقيق على الرغم من أنه لدى الحكومة البريطانية سياسة عامة تتمثل في عدم مناقشة عمليات قواتها الخاصة. وكذلك قال وزير التنمية الدولية السابق، أندرو ميشيل، قال هو الآخر، إن المزاعم الواردة في التقارير خطيرة للغاية؛ لأنها تعارض ضمانات متتالية قدمها الوزراء بعدم مشاركة القوات البريطانية في الحرب اليمنية ، وأن دورها يقتصر على تقديم الدعم اللوجستي العام فقط للسعوديين في الرياض.

الوعي: هذه هي بريطانيا الخبيثة تؤكد دائمًا أن لها وجهين ولسانين تظهر بهما إنسانيتها وتبطن استعمارها... إنها أفعى تنتظر من يقطع رأسها.

صحيفة فرنسية تنتقد تعامل الغرب مع السيسي رغم القمع

نشرت مجلة "سلايت" الناطقة باللغة الفرنسية تقريرًا بينت فيه أنه في الوقت الذي يمارس فيه رئيس سلطة الانقلاب في مصر عبد الفتاح السيسي أبشع أنواع القمع ضد معارضيه والمجتمع المدني، يواصل العالم الغربي توقيع اتفاقيات تجارية مع نظامه وعقد صفقات بيع الأسلحة. وكان ماكرون قد عزز من تقاربه مع السيسي عبر توقيع اتفاقيات تجارية بلغت قيمتها مليار يورو-جيتي. ونقلت المجلة ما قاله الشاب المصري محمود الأحمدي، الذي نفذ في حقه حكم الإعدام بتهمة اغتيال النائب العام: "إذا أعطيتني صاعقًا كهربائيًا أمام جميع الحاضرين وأمام عدسات الكاميرا، فأنا مستعد لأن أجعل أي واحد منهم يعترف بأنه قتل السادات". وأضاف هذا الشاب متوجهًا للقاضي: "سيدي، لقد تعرضنا لصعقات كهربائية تكفي لتزويد مصر بالتيار الكهربائي طوال عشرين سنة" ومع هذا نفذ حكم الإعدام برفقة ثمانية شباب آخرين.من قبل محاكم تعرف بالتعذيب وليس بالعدالة.

الوعي: الغرب كله مفضوح على رؤوس الأشهاد أنه صاحب أسوأ حضارة خالية من القيم شهدها التاريخ. فكما هي مرحلة الاستضعاف بالنسبة إلى المسلمين، هي مرحلة الافتضاح بالنسبة إلى الغربيين. والفرج بعدهما مباشرة إن شاء الله تعالى.

دايلي تلغراف: الصين تحتجز مليون مسلم في معسكرات وتعاملهم "مثل البهائم"

نشرت صحيفة دايلي تلغراف تقريرًا يروي يوميات المعتقلين في مراكز "التأهيل" الصينية، الذين "يعاملون مثل البهائم".

وروت صوفيا يان، من مدينة ألماتي في كازاخستان، حال المعتقلين قائلة: "يدق الجرس في الخامسة صباحًا في الزنزانة المكتظة بالمعتقلين، فيلبس كل واحد منهم لباسًا خفيفًا أزرق اللون. قبل أن يأخذه الحراس المسلحون إلى الحمام ليغتسل في دقائق معدودة أمام أعين الحرس". واستقت صوفيا يان تفاصيل الحياة في مراكز الاعتقال التي تقيمها الصين في مقاطعة شينجيانغ، من ٨ معتقلين سابقين تحدثوا إليها. وأضافت صوفيا أن الفطور اليومي لكل معتقل هو شاي وقطعة خبز، كما يقضي المعتقلون بقية اليوم "جالسين على مقاعد لتعلم لغة الماندرين، وترديد الأغاني الوطنية وحفظ تعاليم الحزب الشيوعي... ولكي يحصل المعتقل على قليل من الأرز في منتصف النهار وفي السادسة مساء عليه أن يمجد الرئيس الصيني ويهتف بالصوت العالي يعيش شي جين بينغ"، بينما يتعرض الذين يرفضون إلى الصعق بالكهرباء، بحسب التقرير.

وتقدر الأمم المتحدة عدد المعتقلين بنحو مليون من المسلمين الأيغور والكازاخستانيين. ويرفض أغلب المعتقلين السابقين الذين فروا إلى كازاخستان بعد الإفراج عنهم كشف أسمائهم خوفًا على سلامة ذويهم الذين لا يزالون في الصين. أما الصين فهي تنفي وجود هذه المراكز؛ ولكنها أقرت بذلك في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، وقالت إنها مراكز للتأهيل المهني، هدفها منع المسلمين من التحول إلى "إرهابيين".

الوعي: إنها مرحلة الاستضعاف الدولية للمسلمين، وهي مرحلة ما قبل الظهور إن شاء الله، وستشكل، بإذن الله، حافزًا قويًا لوحدتهم على دول دولة الخلافة الموعودة.

فرانسوا دوروش: أنظمة العرب تدفع للغرب ثمن بقائها في الحكم

وصف فرانسوا درويش رئيس الاتحاد الوطني للأطباء الفيدراليين في فرنسا والحقوقي الدولي،في مقابلة خاصة مع "عربي٢١" القمة العربية الأوروبية التي عُقدت مؤخرًا بمدينة شرم الشيخ المصرية، بحفل تنكري يقوم فيه "الأوروبيون بجمع الأموال من الأثرياء العرب العابثين، لدعم الاقتصادات الأوروبية بشكل أقرب لدفع الجزية منه لأي شيء آخر".

وقال دوروش، الذي يشغل أيضًا منصب رئيس "منظمة عدالة وحقوق دون حدود" إن الإعدامات في مصر تتم بصورة ممنهجة وبشكل ترهيبي للمجتمع المصري كي لا تكون هناك أي معارضة لنظام السيسي. ودعا المهتمون بالشأن المصري وخاصة المعارضة، إلى ضرورة التوضيح

للغرب بأنه لا يوجد ما يسمى بمصطلح "الإرهاب الإسلامي" الذي يحذر منه السيسي ونظامه الانقلابي، قائلًا، "إن هذه مخططات تديرها أجهزة مخابرات تابعة للنظام الانقلابي في مصر، وعملياتها تحدث في أوقات بعينها لترسل برسائل محددة إلى الغرب، ومفادها وجوب دعمه، وإلا واجهوا الخطر الإسلامي وحدهم". وأضاف درويش: "يجب أن نعمل جميعًا لكشف هذه المخططات والأيادي الخفية التي ترسم الوحش الإسلامي المستخرج من كتب الأساطير الذي يتعارض تمامًا مع تعاليم الدين الإسلامي".

الوعي: إذا كان حكام المسلمين هم بلاء على شعوبهم، فإن حكام الغرب هم أس هذا البلاء، وهذا ما على المثقفين الغربيين من أمثال فرانسوا درويش أن يعوه، لا أن يصرحوا وكأن حكام الغرب يتصرفون بهذا الشكل على غير طبيعتهم.

قبضة السيسي الحديدية تمتد لبرامج رمضان

نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" تقريرًا لمراسلها ديكلان وولش، يتحدث فيه عن جهود نظام عبد الفتاح السيسي للتحكم في مسلسلات شهر رمضان، وتأكيد الطابع الداعم للحكومة فيها. ويشير التقرير إلى أن المسلسلات التي يجري الإعداد لها لكي تعرض في شهر رمضان تواجه رقابة. وينقل وولش عن مخرجين وممثلين، قولهم إن مسؤولي حكومة السيسي يملون عليهم النصوص الواجب تمثيلها، ويحددون الأجور، فيما باتت شركة مرتبطة بالجيش تتحكم في بعض البرامج التلفازية الكبرى. وتورد الصحيفة نقلًا عن الدبلوماسي والروائي عز الدين شكري فشير، الذي حولت بعض رواياته لمسلسلات تلفازية، قوله: "بالنسبة للسيسي، فهذا لا يتعلق بالسياسة أو السلطة؛ لكنه يريد إعادة تعليم الرأي العام المصري" ويعلق الكاتب قائلًا إن البرامج الحوارية التلفازية التي كانت تحفل بالنكتة والتعليقات الساخرة أصبحت مؤيدة للحكومة، ما دفع المصريين لتجنبها. وتنقل الصحيفة أن التدخل الحكومي في الإنتاج التلفازي المخصص لرمضان أدى إلى أزمة في داخل هذه الصناعة، مشيرًا إلى أنه مع اقتراب الشهر فإن عدد المسلسلات الدرامية التي يتم إنتاجها انخفض إلى النصف.. وتذكر الصحيفة أن مؤسسة "إعلام المصريين"، المرتبطة بالمخابرات المصرية، سيطرت على أهم البرامج التلفازية، واشترت عددًا من الشبكات التلفازية، بحسب موقع "مدى مصر"، الذي يعد آخر الوسائل الإعلامية المستقلة في مصر. وينقل التقرير عن مخرج معروف، قوله إن كتَّاب النص طلبوا منهم هذا الشتاء الالتزام بعدد من التعليمات: تمجيد الجيش، ومهاجمة الإخوان المسلمين، والتركيز على القيم المحافظة للعائلة، وتجنب الأسئلة التي قادت إلى الربيع العربي عام ٢٠١١م.

قال الله تعالى

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشتة أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

تستمر الآيات في السياق نفسه الذي بدئ بالآية الأولى ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾.

ففي هذه الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ بيان من الله للناس أن من اختار الكفر منهم فقد ضل وغوى، ومن اختار الإيمان فقد هدي ورشد، والله سبحانه سميع لما يعلنون، عليم بما يسرون ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نكرة في سياق النفي، فهي تفيد العموم، أي أنه لا يُكرَه أحد فيما يدين ويعتقد، وسبب نزولها يؤكد ذلك، فقد أخرج ابن جرير وأبو داود والبيهقي عن ابن عباس قال: **"كانت المرأة تكون مقلاتًا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا. فأنزل الله - عز وجل - ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ وفي رواية: إنما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه، وأما إذ جاءهم الله بالإسلام فنكرههم عليه فنزلت ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ من شاء التحق بهم، ومن شاء دخل الإسلام"** قال أبو داود المقلات التي لا يعيش لها ولد[1].

غير أن هذا العموم خصص في حالتين:

أ. الخضوع لأحكام الشرع دون الاعتقاد، فهذا يكره عليه أهل الذمة، فخضوعهم لأحكام الشرع على الوجوب شاءوا أم أبوا كما جاء في الآية الكريمة ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ

١ أبو داوود: ٢٠٣٧، تفسير الطبري: ١٤/٣، البيهقي: ١٨٦/٩

صَٰغِرُونَ﴾ التوبة/آية٢٩ أي خاضعون لأحكام الشرع. فيجوز لهم أن يبقوا على عقيدتهم، عقيدة الكفر في صلواتهم بكنائسهم ومشروباتهم ومطعوماتهم التي أقرهم الرسول ﷺ عليها، ولا يكرَهون على تركها واعتناق الإسلام؛ ولكن لا يجوز لهم أن يحتكموا لغير الإسلام في حياتهم العامة بل يكرهون على الاحتكام للشرع.

ب. مشركو العرب، يكرهون على الإسلام أو القتل كما جاء في الآية الكريمة ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ الفتح/آية١٦ وهي نزلت في مشركي العرب.

وبذلك تكون الآية عامة في غير الحالتين السابقتين، أي أن مشركي العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل.

والكفار الآخرون يقبل منهم الإسلام أو الجزية، فإن لم يفعلوا قوتلوا. وإن قبلوا الجزية لا يكرهون على اعتناق الإسلام، ولكن يكرهون على الخضوع لأحكام الإسلام في الحياة العامة.

فالآية على هذا عامة مخصصة في الحالتين المذكورتين.

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ أي قد تميز الإيمان من الكفر، والصواب من الخطأ، و﴿ٱلرُّشۡدُ﴾ بضم الراء وسكون الشين مصدر رشد يرشد من باب نصر، وهو نقيض الغي وأصله سلوك طريق الهلاك.

﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ (الطاغوت) كل ما عبد من دون الله وكلّ رأس ضلال. وهو مِن طَغِيَ يطغى[٢] ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ العلق إذا جاوز الحد بزيادة عليه، وأصله (طغيوت) ثم قدمت اللام وأخرت العين كما قيل جذب وجبذ وصاعقة وصاقعة، فصار (طيغوت) فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت ألفًا وأصبح وزنه (فلعوت).

﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾: ﴿ ٱسۡتَمۡسَكَ ﴾ أي بالغ في التمسك.

﴿ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ {العروة} ما يعتصم به ويتعلق به.

و﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ فُعلى من الوثاقة، يقال في الذكر الأوثق وفي الأنثى الوثقى، كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى.

وهي تشبيه لمن كفر بالطاغوت وآمن بالله كمن تَمسَّك بحبل محكم مأمون.

وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله فيه دلالة على أنَّ مجاهدة الطاغوت تحتاج عناءً فوق ما يحتاجه الإيمان بالله، فالإيمان موافِق للفطرة ومقنع للعقل، والكفر طارئ على الفطرة، فمن تخلى عن عبادة الطواغيت وعاد إلى فطرته السليمة وجد الطريق ميسرًا للإيمان، ومن حاول أن يبقي تمسكه بشيء من الطواغيت ثم يأخذ بشيء من الإيمان اختلطت عليه الأمور وضلّ وهلك.

٢ أو مِن طغا يطغو كما يقول الطبري، والمصدر في الأولى طَغِيَ يطغي هو (طغيًا، وطغيانًا بالضم والكسر)، والمصدر من الثانية هو (طُغْوًا وطُغوانًا بضمهما)، وأصله من الأول (طَغَيُوت) ومن الثاني (طَغَوُوت) والوزن كما بيناه هو (فلعوت).

وفي هذه الآية بيان وأي بيان لصلابة موقف الذي يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فهو متمسك بحبل الله المتين، كمن تمسك بعروة وثقى شديدة الإحكام لا يصيبها أدنى تشقق أو ضعف.

﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ أي لا كسر لها أو تشقق قبل أن تنقطع، فالنفي هنا ليس للانقطاع بل لما يحدث قبله من تشقق، وهذا نفي بليغ للانقطاع.

وفي اللغة تستعمل (قصم) للانكسار مع البينونة أي إذا تشقق الشيء ثم انقطع وانفصل يقال له (انقصم)؛ وإذا تشقق ولم ينقطع أو ينفصل يقال له (انفصم) فنفي الانفصام نفي للتشقق والانفصال فهو نفي بليغ للانفصال.

والمعنى أن الإيمان الذي يكون عليه من كفر بالطاغوت وآمن بالله، هو إيمان شديد كمن تمسك بعروة محكمة وثيقة وأصبح جزءًا منها لا ينفصل عنها ولا تنفك عنه.

ويختم الله سبحانه الآية بأنه سميع لما يعلنون عليم بما يسرون، لا تخفى عليه خافية، يعلم صدق المؤمنين ونفاق المنافقين وكفر الكافرين ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وتستمر الآيات في بيان حال المؤمنين بأن الله وليهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق ويدخلهم الجنة خالدين فيها أبدًا.

وكذلك يبين حال الكفار، عبدة الطواغيت، بأن طواغيتهم يوردونهم إلى الهاوية، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، ومن الهداية إلى الغواية، فتهوي بهم في نار جهنم خالدين فيها أبدًا.

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي معينهم وناصرهم والمدافع عنهم على نحو قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ الحج/آية٣٨ فهو سبحانه الملجأ لهم من كل سوء.

﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ يهديهم سبيل الرشاد ويوفقهم إلى الخير والصلاح ويثبتهم على الإيمان فلا يقعوا في الكفر والضلال.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ أي أن الذين يلجأ لهم الكفار هم الطواغيت، شياطين الإنس والجن، وهؤلاء لا يزيدونهم إلا غيًا وضلالًا. و﴿ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ في اللغة يجوز فيه الإفراد والجمع، فقد يدلّ على المفرد فيجمع على (طواغيت) وقد يدلّ على الجمع فلا جمع له كما في هذه الآية الكريمة، فطاغوت تفيد الجمع بدلالة ﴿ يُخۡرِجُونَهُم ﴾ للجمع.

﴿ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ أي يحرفونهم عن دين الفطرة السليمة إلى الكفر فإن المرء يولد على الفطرة، ولو خلي بينه وبينها لكان مسلمًا لله خاضعًا له: "**يولد الإنسان على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**"[٣] وهذه الفطرة السليمة التي يولد الناس عليها هي ذاك النور الذي أخرج الطواغيت أولياءهم منه، فحرفوهم عن الفطرة السليمة، وأوردوهم موارد الغواية والهلاك، وزينوا لهم السوء فأطاعوهم فأوردوهم النار خالدين فيها، وبئس الورد المورود. ■

٣ البخاري: ١٢٧٠، مسلم: ٤٨٠٣، الترمذي: ٢٠٦٤

رمضان شهر اللّه... وشهر القرآن... فأكرموا أنفسكم فيه

شهر رمضان خصه الله بإنزال القرآن فيه، فكان أعظم الشهور، وليلة القدر فيه هي خير الليالي، وقد جعله الله موسمًا سنويًا للطاعات، يعظم فيه الأجر، ويجزل العطاء، ويفتح أبواب الخير لكل راغب... هو شهر يصفد الله فيه الشياطين ليفتح لعباده سبيل العبادة والتقرب إليه أكثر مما في غيره؛ لذلك تكون فيه الرحمة والمغفرة والعتق من النار أكثر من غيره، اشتهرت بفضله الأخبار وتواترت فيه الآثار:

- ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» وإنما تفتح أبواب الجنة في هذا الشهر لكثرة الأعمال الصالحة , وترغيبًا للعاملين، وتغلق أبواب النار لقلة المعاصي من أهل الإيمان، وتصفد الشياطين فتغل فلا يخلصون إلى ما يخلصون إليه في غيره. فلا يصلون إلى ما يريدون من عباد الله الصالحين من الإبعاد عن الحق والتثبيط عن الخير وهذا من معونة الله لهم أن حبس عنهم عدوهم؛ ولذا نجد عند الصالحين من الرغبة في الخير والعزوف عن الشر في هذا الشهر أكثر من غيره

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألباني. يعني إيمانًا بالله ورضًا بفرضية الصوم عليه، واحتسابًا لثوابه وأجره، ولم يكن كارهًا لفرضه، ولا شاكًّا في ثوابه وأجره، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

- ومن فضائل الصوم أن الصائم يعطى أجره بغير حساب، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم. والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

- ومن فضائل الصوم : أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان». رواه أحمد.

- عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «إن للجنة بابًا يقال له الريان. يقال يوم القيامة: أين الصائمون؟ فإذا دخلوا أغلق ذلك الباب» رواه البخاري ومسلم.

- إذا قام الصائم بواجب صيام رمضان فقد فتح لنفسه باب التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ وهكذا تبرز الحكمة الشرعية من الصوم، إنها التقوى. فالصائم مأمور بتقوى الله عز وجل، وهي امتثال أمره واجتناب نهيه، وهذا هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح، فالتقوى تستيقظ في القلوب عندما تؤدى هذه الفريضة طاعة لله، وإيثارًا لرضاه. وقول النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري. وإذا تمشَّى الصائم بمقتضى الآية السابقة والحديث، كان الصيام تربية لنفسه، وتهذيبًا لأخلاقه، واستقامة لسلوكه، ولم يخرج من شهر رمضان إلا وقد تأثر تأثرًا بالغًا يظهر في نفسه وأخلاقه وسلوكه.

ومن آدابه المستحبة:

- أن تستقبل رمضان بنية أن تصومه إيمـانًا واحتسابًا بالعزم على التزود فيه بصالح الأعمال، فمن أدركه رمضان ولم يغفر له فقد خاب وخسر.

- إذا رأيت هلال رمضان فقل كما علمنا رسول الله ﷺ: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله هلال رشد وخير». رواه الترمذى وحسنه. وهذا الدعاء فى كل شهر، وهو فى رمضان ألزم .

- تأخير السحور، وأن ينوى بسحوره امتثال أمـر الله ورسوله ليكون سحوره عبادة، وأن ينوي به التقوِّي على الصيام ليكون لـه بـه أجر.

- تعجيل الفطـر، وذلك عند غروب الشمس ، فعـن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «لا تزال أمتي بخيـر ما عجلوا الفطر». رواه البخاري ومسلم.

- أن يفطر علي رطبـات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء، كما في الحديث الصحيح، فإذا صلى المغرب تناول حاجته من الطعام.

- الدعاء عند الفطر؛ إذ ثبت عنه ﷺ – أنه كان يقول عند فطره: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله». رواه أبو داود وحسنه الألبانى.

- أن يستحضر الصائم قدر نعمة الله تعالى عليه بالصيام، حيث وفقه له وأتمه عليه، فليحمد

الصائم ربه على نعمة الصيام التي هي سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات في دار النعيم.

- قيام رمضان بصلاة «التراويح»، وهي سنة مؤكدة، وتسن فيها الجماعة، ولها ميزة وفضيلة عن غيرها لقوله ﷺ :«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الجماعة.

- اغتنام العشر الأواخر، ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله» رواه البخاري. وفي رواية لمسلم عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره».

- الاعتكاف: ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى».

١٢- تحرى ليلة القدر: التي هي خير من ألف شهر؛ لأنها الليلة التي أنزل فيها القرآن. ومن فضائل هذه الليلة ماثبت في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة والدعاء؛ لما روت السيدة عائشة رضى الله أنها قالت للنبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال:«قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى» رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألباني.

- كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة، روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة». وكان جوده ﷺ يتضاعف في رمضان لشرف وقته ولمضاعفة أجره، وإعانة العابدين فيه علي عبادتهم، والجمع بين الصيام والإطعام.

- العمرة: لما رواه ابن عباس، رضى الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» رواه أحمد وابن ماجه.

- شرع الله لنا في ختام رمضان عبادات تزيدنا منه قربًا، وتزيد إيماننا قوة؛ فشرع لنا التكبير عند إكمال العدة من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وشرع لنا صدقة الفطر، وشرع سبحانه لعباده صلاة العيد، وهي من تمام ذكر الله تعالى، ومما شرعه الله عز وجل صيام ستة من شوال، ففي صحيح مسلم من حديث أبى أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر كله». ■

موقف السلف الصالح من العلاقة بين العلماء والحكام

هذه طائفة من مواقف من فهم إرث النبوة حق الفهم، وقام بالميثاق الذي أخذه الله على العلماء حق القيام، فحفظوا العلم ولم يزروا به، فحفظهم الله وجعلهم أئمة بحق، تنير مواقفهم الدرب إلا من أعشت عيناه، فلم ينفعه نور... هذه المواقف الصادقة مع الله صار علماء اليوم من أبعد الناس عنها، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، وصرنا، نحن المسلمين، بأمس الحاجة إليها. نعم، صار علماء اليوم معوانًا للحكام يزينون الباطل، ويزيفون الدين، وكانوا واسطة عقد فارط بين المسلمين وحكامهم... وهذه الطائفة من المواقف هي موجهة إلى علماء اليوم لتذكِّر صالحهم، وتزجر طالحهم، وموجهة إلى المسلمين ليلتفوا حول الصالحين من العلماء، ولينفضوا عن طالحيهم.

- أخرج ابن النجار، عن الحسن أنه قال: «**إن سركم أن تسلَموا ويسلمَ لكم دينُكم، فكفُّوا أيديَكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم، ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم**».

- وقال ابن باكويه الشيرازي في «أخبار الصوفية»: «حدثنا سلامة بن أحمد التكريني، أنبأنا يعقوب ابن اسحاق، أنبأنا عبيد الله بن محمد القرشي، قال: كنا مع سفيان الثوري بمكة، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنَّا نقلي النوى فنأكله، فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله! لو مررت إلى السلطان، صرتَ إلى ما تريد! فقال سفيان: «**والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها**».

- أخبرنا أبو العلاء، سمعت أحمد بن محمد التستري، سمعت زياد بن علي الدمشقي يقول: سمعت صالح بن خليفة الكوفي يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: «**إن فجار القراء اتخذوا سلّمًا إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء، نفرج عن مكروب، ونكلم في محبوس**».

- وأخرج ابن باكويه، عن الفضيل بن عياض، قال: «**لو أن أهل العلم أكرموا على أنفسهم، وشحوا على دينهم، وأعزوا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله، لخضعت لهم رقاب الجبابرة،**

وانقاد لهم الناس، واشتغلوا بما يعنيهم، وعَزَّ الإسلام وأهله؛ لكنهم استذلوا أنفسهم، ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم، فذلوا وهانوا على الناس».

- وأخرج ابن عساكر، عن عبد الجبار بن عبد العزيز أبي حازم عن أبيه، عن جده: أن سليمان بن عبد الملك دخل المدينة، فأقام بها ثلاثًا. فقال: ههنا رجل ممن أدرك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحدثنا؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث إليه، فجاءه، فقال له سليمان: يا أبا حازم! ما هذا الجفاء؟ أتاني وجوه المدينة كلهم ولم تأتني!؟ قال أبو حازم: «**إن الناس لما كانوا على الصواب، كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفرُّ بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا العلم وأتوا به إلى الأمراء فاستغنت به عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية فسقطوا أو تعسوا أو تنسكوا، ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم، لم تزل الأمراء تهابهم».**

- وقال الزجاجي في أماليه: «أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن، أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: مرَّ الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم، ثم قال: «**ما لكم جلوسًا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله».**

- وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر، عن يوسف بن أسباط قال: أخبرنا نجم: أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه، وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما، فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: «**إن خير الأمراء من أحب العلماء، وأن شر العلماء من أحب الأمراء. وكانوا فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم، وكان في ذلك صلاح للأمراء وصلاح للعلماء. فلما رأى ذلك ناس من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء! وطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم فخربت العلماء على الأمراء، وخربت، الأمراء على العلماء».**

- وأخرج البيهقي في «الزهد»، وابن عساكر، عن سفيان: قال: قال بعض الأمراء لأبي حازم: ارفع إليَّ حاجتك قال: «**هيهات! هيهات! رفعتها إلى من لا تختزن الحوائج دونه، فما أعطاني منها قنعت، وما زوى عني منها رضيت، كان العلماء فيما مضى يطلبهم السلطان وهم يفرون منه، وإن العلماء اليوم طلبوا العلم حتى إذا جمعوه بحذافيره، أتوا به أبواب السلاطين، والسلاطين يفرُّون منهم، وهم يطلبونهم».** ■

- وأخرج ابن عساكر، من طريق أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي قال: حدثنا أبو سعيد الأصمعي، عن أبي الزناد، عن أبيه، قال: «**كان الفقهاء كلهم بالمدينة يأتون عمر بن عبد العزيز، خلا سعيد بن المسيب، فإن عمر كان يرضى أن يكون بينهما رسول، وكنت الرسول بينهما**».

- وأخرج الخطيب وابن عساكر، عن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حمَّاد بن سلمة، فبينا أنا عنده جالس، إذ دقَّ داقٌّ الباب فقال: «يا صبية، أخرجي فانظري من هذا! فقالت: هذا رسول محمد بن سليمان الهاشمي - وهو أمير البصرة والكوفة - قال: قولي له يدخل وحده، فدخل وسلم فناوله كتابه، فقال: اقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان إلى حمَّاد بن سلمة. أما بعد: فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته. وقعت مسألة فائتينا نسألك عنها». فقال: «يا صبية هلمي الدواة!» ثم قال لي: «**اقلب الكتاب وكتب: أما بعد، فقد صبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن وقعت مسألة فأتنا فاسألنا عما بدا لك! وإن أتيتني، فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسلام**». فبينما أنا عنده، إذ دقَّ داقٌّ الباب فقال: «يا صبية، اخرجي فانظري من هذا! قالت: «هذا محمد بن سليمان، قال: «قولي له يدخل وحده» فدخل، فسلم ثم جلس بن يديه، ثم ابتدأ، فقال: ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعبًا!؟ فقال حماد: «سمعت ثابت البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد به أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء**».

- وأخرج ابن النجار في تاريخه عن سفيان الثوري قال: «**ما زال العلم عزيزًا حتى حمل إلى أبواب الملوك فأخذوا عليه أجرًا، فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العلم به**».

- وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن بشر الحافي قال: «**ما أقبح أن يطلب العالم، فيقال: هو بباب الأمير**».

- وأخرج البيهقي عن الفضيل بن عياض، قال: «**إن آفة القراء العجب، واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم**». فقيل: كيف؟ قال: «**الرجل يكون عليه من الله نعمة ليست له إلى خلق حاجة، فإذا دخل إلى هؤلاء فرأى ما بسط لهم في الدور والخدم استصغر ما هو فيه من خير ثم تزول النعم**». ■

فريدمان: الشرق الأوسط القديم ينهار.. فما بديله؟

نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» مقالًا ترجمته «عربي٢١" للمعلق الأميركي المعروف توماس فريدمان، يتحدث فيه عن انهيار الدعائم الرئيسية التي قامت عليها السياسة في الشرق الأوسط، وتحكمت في مساره خلال نصف قرن أو يزيد، ويشير فيه إلى أن «شرق أوسط جديدًا يظهر، لكنه لا يشبه ما تصوره البعض في التسعينات من القرن الماضي». ويقول الكاتب إن «هذا الشرق الأوسط الجديد يتشكل نتيجة لما يجري على تويتر والميمات لا جهود الدبلوماسيين، وبسبب البطالة لا الإرهاب، وبسبب الاضطرابات في الشوارع لا القصور، وتدفع بولادته النساء أكثر من الرجال، ولا يعلم أحد عما سيخرج من هذا كله عندما تنجلي الغبار».

وفي هذا السياق، يدعو فريدمان إلى الحذر من انهيار ما يقول إنها خمسة أركان رئيسية للسياسة في الشرق الأوسط:

الركن الأول المنهار هو تراجع دور الولايات المتحدة التي طالما أدت دورًا مهمًا في تشكيل مستقبل المنطقة...

الركن الثاني هو العملية السلمية تقوم اليوم على جهد أميركي إسرائيلي لتحقيق أفضل حل متوفر للدولة الواحدة...

الركن الثالث يتعلق بالحكومات العربية التي كانت تضمن دائمًا وظائف لسكانها لم تعد قادرة على ذلك اليوم...

الركن الرابع الذي انهار هو فقدان الحكومات السيطرة على تدفق المعلومات...

الركن الخامس الذي انهار هو دور الرجل المتسيِّد للمرأة أو النظام الأبوي، الذي كان فيه الرجل يتحكم في المرأة.

ويقول فريدمان «إن المرأة لن تستطيع اكتشاف إمكانياتها في سوق العمل، والاستفادة منها طالما لم تتغير قوانين الزواج والميراث والطلاق وحضانة الأطفال...» ويخلص قائلًا: « يجب أن تكون هناك عملية تشارك في السلطة بين الحكومات والشعب ومؤسسات المجتمع المدني، فلا يمكنك مواصلة الطلب من السكان التضحية من غير أن يكون لهم صوت في طريقة حكم أنفسهم. والصورة التي يراد الوصول إليها هي أن «الشرق الأوسط الجديد لا يواجه مصير الاضطرابات المستمرة». ويختم فريدمان مقاله بالقول: «المشكلة هي أن ما يجري متأخر، فقد تم تأجيل الإصلاح السياسي ولوقت طويل، فيما لا تزال الأعراف الثقافية القديمة متجذرة بعمق». وينوه الكاتب إلى أن هذا هو الشرق الأوسط الجديد.

الوعي: مهما حاول الكاتب أن يبعد ما يحدث عن السياسة الأميركية، فإنه في هذا المقال يتكلم عن شرق أوسط أميركي جديد يسير باتجاه إقامة نظام إقليمي مسيطر عليه أميركيًا، وسالم من الاضطرابات، وسيكون للمرأة ولمنظمات المجتمع الأميركي دورهما الأميركي فيه، وهو يقتضي «تغيير الأعراف الثقافية القديمة المتجذرة» والمقصود بذلك هو تبديل دين المسلمين، وإلغاء الإسلام السياسي... إنها تريد أن تحول المسلمين إلى قطيع من الغنم همه مرعاه... هذه هي جريمتها، ولكن الجريمة الأكبر أن تجد من المسلمين (حركات وعلماء) من يتبنى هذا النهجَ الكفريَّ البيِّنَ ويسير في ركابه، ولكن الله لها ولهم بالمرصاد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾. ■

مؤرخ فرنسي: هذ هو سر التحالف الغريب بين إسرائيل والسعودية

نشرت مجلة "لوبوان" الفرنسية مدونة للكاتب والمؤرخ أنطوان كوبولاني، تطرق فيها إلى التفاصيل المتعلقة بالتطور المفاجئ الذي شهدته العلاقات الدبلوماسية بين (إسرائيل) والسعودية خلال السنوات الأخيرة. وقال الكاتب، في مدونته التي ترجمتها "عربي٢١"، إنه بفضل الاتفاق النووي الإيراني الذي يعود تاريخه إلى شهر تموز/يوليو ٢٠١٥، تمكن باراك أوباما من إرساء سلام نسبي بين (إسرائيل) ودول الخليج السنية. وعمومًا، لا يتمثل السبب الذي جعل أوباما أهلًا للحصول على جائزة نوبل للسلام في إبرامه لهذا الاتفاق الذي تعرض لانتقادات لاذعة بسبب آثاره الضارة على كل من القدس والرياض، وإنما في نجاحه في التقريب بين (إسرائيل) والسعودية. وبيّن الكاتب أن (إسرائيل) اليوم باتت أقل إثارة للجدل في العالم العربي من أي وقت مضى. وإذا لم تصح هذه الملاحظة في الشارع العربي، فإنها جلية ومثبتة في القنصليات. وقال: في الواقع، تساعد تطورات رئيسية على تفسير هذه الظاهرة. منها شروع (إسرائيل) في تطبيق سياسة تعاون مع الأعضاء العرب في مجلس التعاون الخليجي في مجال الأمن وتبادل المعلومات الاستخباراتية. وهذا ما أكده رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنفسه أن (إسرائيل) لديها علاقات مع "جميع الدول التي لا تعترف بها"، وهذا بسبب احتياجاتها في القطاعات الاقتصادية وخاصة في الخبرة في المجال الأمني".

وأورد الكاتب أن آثار هذا الوفاق النسبي بدت محسوسة، ذلك أن غياب المواجهات أو حتى الاحتجاجات التي كانت (إسرائيل) تخشاها من نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس لم يكن أمرًا اعتباطيًا. إلى جانب ذلك، تغير التعامل مع الصراع (الإسرائيلي) الفلسطيني. وفي الحقيقة، لا تبحث إدارة ترامب عن خطوة تطبيق "صفقة القرن"، التي تم الإعلان عنها وسط ضجة هائلة، وإنما تبحث عن تهميش هذا الصراع الذي لم يعد من الضروري أن يظل مصدر إزعاج يحول دون تحقيق أغراض استراتيجية. وأشار الكاتب إلى أن أهداف هذه الخطوة تتمحور أساسًا حول إضعاف إيران، وهذه الغاية تندرج ضمن أبرز أركان الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط. ومن خلال الاستفادة من "الحرب الباردة الجديدة" بين المملكة العربية السعودية وإيران، يسعى دونالد ترامب إلى تشكيل تحالف غير رسمي بين دول الخليج السنية و(إسرائيل) وتحالف آخر غير رسمي بين دول الخليج السنية، ويتعلق الأمر بمشروع إنشاء تحالف استراتيجي في الشرق الأوسط. ونوه الكاتب بأن القضية الفلسطينية تعدُّ عامل وحدة داخل العالم الشيعي... ويظل هذا الملف عنصرًا رئيسيًا في الحرب الباردة الجديدة التي تدور في الخليج بين الدول السنية وإيران. وأشار الكاتب إلى أن التواجد الإيراني في سوريا، المدعوم من روسيا، يزعج (الإسرائيليين) كما يزعج السعوديين، خوفًا من أن تحاصرهم "إمبراطورية فارسية جديدة"، خاصة في ظل تواجد "محور المقاومة الشيعية" في الشمال، وفي حرب اليمن في الجنوب.

الوعي: ترتيب المسرح في المنطقة على هذه الصورة تتحكم به أميركا، فدولة إيران (الشيعية) عميلة لأميركا، وهي تشكل فزاعة لدول الخليج (السنية) وعلى رأسها سعودية سلمان وابنه؛ ما يدفعها للارتماء في أحضان اليهود للدفاع عن عروشهم المتهاوية، وهكذا تمسك أميركا بالمنطقة عن طريق تحالفين هي تسيرهما بالأصل، ويبقى المقصود الأول والأخير هم المسلمون في دينهم. والمفرِّج هو الله وحده سبحانه. ■